

مبدأ حق الشعوب
في تقرير مصيرها
في المعركة
بين القديم والحديث
تونس
على صهوة حصان الوهم

د. يوسف القرضاوي

في المعركة بين القديم والحديث

- القديم عندنا ليس كالقديم عند غيرنا .. إنه يمثل خير قرون أمتنا وعصورها
- عندما كانت لغتنا العربية هي لغة العلم في العالم كله

بدأت المعركة بين القديم والجديد منذ مطلع هذا القرن ، يشتعل أوارها حينا ويخبو حينا ، حتى يخيل لبعض الناظرين أنها انتهت لصالح أحد الطرفين ، والواقع أن الجمر يختفي تحت الرماد ، ينتظر من ينفخ فيه ليعيدها متأججة من جديد .

ولا تزال المعركة مستمرة تحت عناوين مختلفة ، مثل : الأصالة والمعاصرة أو الأصيل والدخيل ، أو الاتجاه الطبيعي والاتجاه المستقبلي ، أو الاستغناء بالنفس والاستيراد من الغير ، أو المحافظة على التراث والثورة عليه ... إلى غير ذلك من التعبيرات التي تختلف ألفاظها ، ومضمونها في النهاية واحد .

والذي يبقى هذه المعركة حية دائما : أن القديم عندنا نحن المسلمين ليس كالقديم لغيرنا ، إنه يمثل خير قرون أمتنا وأزهى عصورها : عصر النبوة الهادية وجبريل فيه رواح غداء ، بين السماء والأرض ، بوحي الله وآياته ، وعصر الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان ، والعصور الذهبية التي انطلقت فيها أمتنا في آفاق الأرض ، تعلي كلمة الله ، وتنشر دين الله ، ولغة القرآن ، وتخرج الناس من عبادة الخلق إلى عبادة الخالق ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

العصور التي كان يهم رب المال فيها أن يجد فقيرا يقبل منه الزكاة ، والتي طلب فيها أمير الخلفاء من ملك الروم أن يطلق أسيرا مسلما بلغه أنه أهانه قائلا : وإلا غزوتك بجنود أولها عندك وآخرها عندي !

العصور التي وقف فيها الخليفة يخاطب السحابة شاعرا بعزة الإسلام ، وكأنما يتحداها في عليائها ، فيقول : أيتها السحابة شرقي أو غربي ، وأمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك !

العصور التي كانت فيها لغتنا العربية هي لغة العلم في العالم كله ، وكانت كتب العلم المكتوبة بالعربية هي مراجع العلماء في الشرق والغرب ، وكانت جامعاتنا الإسلامية قبلة الطلاب من أنحاء الدنيا ، وكانت أسماء علمائنا أشهر الأسماء في هذه المعمورة .

فمن يرفض القديم بهذا الاعتبار إنما يرفض هذا التراث الهائل : يرفض القرآن العظيم ، يرفض السنة المطهرة ، يرفض [illegible] ويرفض [illegible] [illegible] [illegible] عليه وسلم [illegible] [illegible] أيدي هذا الجيل ومن شميم ملحمتان ، يرفض التفوق في العلم ، والإحسان في العمل ، والاجتهاد في التشريع ، والإبداع في الحضارة .

المنطق السليم

صحيح أن بعض الناس يتعبدون للقديم أو للتراث كله ، ويريدون أن يرجعوا إليه بخيره وشره ويأخذوه بعجره وبجره ، وجده وهزله ، وصوابه وخطئه ، معتقدين أن القديم دائما خير من الجديد ، وأن الأمس خير من اليوم ، واليوم أفضل من الغد ، مرددين قول القائل : ما ترك الأول للآخر شيئا ، وليس في الإمكان أبدع مما كان .

والمعري حينما قال في (لاميته) بيته المشهور :

وإني وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل !

كان يحاول أن ينفي وهما شائعا ، بل اعتقادا راسخا بأن الأواخر لا يمكنهم أن يفوقوا الأوائل ، وأن الجديد عالة على القديم ، بل كلامه يدل على أنه نفسه يؤمن بأن هذا هو الأصل والقاعدة ، وأن ما جاء هو شذوذا عن القواعد ، خارقا للعوائد .

وخطأ هؤلاء لا يقل عن خطأ من أعلنوا كفرهم بكل قديم ، وإيمانهم بكل جديد ، معتقدين أن اليوم خير من الأمس ، وأن الغد سيكون خيرا من اليوم ، وأن التطور دائما إلى الأفضل ، وبه تنتقل الحياة من سيء إلى حسن ، ومن حسن إلى أحسن .

وكلا الفريقين على ضلال مبين ، فالواجب أن نميز في التراث بين ما هو إلهي وما هو بشري ، فما كان إلهيا فلا خيار لنا في قبوله بحكم الإيمان ، وبمقتضى الإسلام (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) وما كان بشريا فيجب التمييز بين ماله صفة العموم والخلود مما أجمعت عليه الأمة فيؤخذ به ، وماله صفة المحلية في المكان والتأقيت في الزمان ، مما تعددت فيه وجهات النظر ، واختلف فيه أهل الاجتهاد ، فنعطي حكمه .

وبهذا نعلم أن اعتبار التراث كله اجتهادا بشريا ، أبدعته عبقرية المسلمين ، فكرة غير صحيحة ، واعتباره كله شيئا مقدسا معصوما ، فكرة كذلك غير مقبولة .

وكذلك اعتبار الجديد كله من صنع الملائكة ، أو من وحي الشياطين ، أمر لا يقره عقل ، ولا يقبله الدين .

إن المنطق السليم ما اتخذه إخواننا في ندوة العلماء بالهند ، من شعار عبرت عنه هذه الجملة الموجزة : الجمع بين القديم النافع والجديد الصالح ، وبين العلم الراسخ والإيمان الراسخ .

أعداء الماضي

وعلى الذين يدعون إلى الإسلام أن يعرفوا زمانهم ، كما يعرفون دينهم ، وأن

الجمع بين التقدم النافع والتجديد الصالح وبين العلم الموسع والإيمان الراسخ


أحمد شوقي


محمد إقبال


كمال أتاتورك


مصطفى الرافعي

يصلوا بين الماضي والحاضر، ويلائموا بين الواجب والواقع، وأن ينظروا إلى الاسلام وشريعته بعين، والى العصر ومشكلاته بالعين الأخرى. وبذلك يتصلون بالماضي ولا ينفصلون عن الحاضر، ويتفتحون بالجديد، ولا يهملون القديم. ومن الحكم المأثورة: رحم الله امرءا عرف زمانه واستقامت طريقته.

وهذا الموقف يوجب على امتنا ان تقف من الحضارة الغربية موقف المنتقي المتخير، فتأخذ ما يلائمها، وتدع ما لا يلائمها، مفرقة بين الجوانب المادية — التجريبية والتكنولوجية والتنظيمية — التي لا دين لها ولا جنسية، فهي عالمية بطبيعتها تقتبسها كل الامم بعضها من بعض، بغض النظر عن اختلافها العقائدي والايديولوجي — وبين الجوانب الادبية التي بها تتميز كل أمة عن سواها، وتتجسد فيها مشخصاتها المعنوية من العقائد والشعائر والقيم والتشريع. فهي في هذه ملزمة بما ألزمها الله به وبعث به نبيه وإذا فرطت الأمة في هذه الناحية ومشت وراء غيرها تقلدهم وتتبع سننهم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، فقد انسلخت من شخصيتها، وخسرت نفسها ودينها، وأصبحت ذنبا لغيرها.

والى جوار هذا نرى ان التاريخ الحافل، والواقع الماثل، يحتمان على امتنا ان تحافظ على اصالتها، ولا تذوب في غيرها. فهي لم تحقق مجدا، ولم تصنع نصرا في التاريخ إلا حين تمسكت بدينها وشريعة ربها وفي عصرنا جربت الاستيراد من اليمين واليسار، والتقليد للغرب والشرق، فلم تجن إلا الهزائم والنكسات.

والعجب أن أناسا من جلدتنا لايزالون يقولون: كيف تعودون بنا أربعة عشر قرنا إلى الوراء؟ وكيف تريدون منا أن نتأخر والعالم يتقدم؟!

إن الانسان الرقي هو الذي يتطلع إلى الامام، ولا ينظر إلى الوراء.

إن أعيننا قد ركبت في وجوهنا، ولم توضع في أقفيتنا، لنكتشف ما أمامنا، فننطلق بسرعة ونتقدم بقوة، ولا نظل مشدودين إلى ما خلفنا!

هكذا يفكرون ويقولون...

ونسي هؤلاء أن الذي وضع عيوننا في وجوهنا لننظر إلى الامام، قد جعل في أعناقنا مرونة نقدر بها على الالتفات إلى الخلف، لنعرف ماذا وراءنا. ومن يتعامل إن السيارة التي تنطلق بسرعة إلى الامام، لا تستغني عن مرآة تعكس لسائقها ما يجري وراءه، حتى يأخذ حذره، ويملك أمره على أن من قصور عين الجسد أنها لا تستطيع أن تنظر إلا إلى جهة واحدة هي جهة الامام وفي لحظة واحدة هي اللحظة الحاضرة، وهذا عيب النظر الحسي دائما. أما عين البصيرة، فانها قادرة أن تستوعب النظر إلى الجهات الاربع كلها: يمنة ويسرة وأماما وخلفا، والالتفات الى الزمن كله لتعتبر بأمسه، وتنتفع بيومه، وتستشرف غده.

إن أعداء الماضي، وخصوم التراث، والمعارضين لكل قديم، لا حجة لهم، وليس لهم منطق يقوم على رجليه. إنهم يدعون (العقلانية) و(الموضوعية) ولكنهم يخلعونها عند الحوار والحجاج في هذا الموضوع. فلندع الصراخ والهدير، ولنناقش القضية في ضوء الفكر والمنطق، وهنا نقول لهم بكل هدوء واتزان:

غلاة التجديد

إن الرجوع أربعة عشر قرنا إلى الوراء للاهتداء بوحي الله الكريم، والتتلمذ على رسوله العظيم، والسير على سنة خلفائه الراشدين المهديين هو في الحقيقة تقدم إنساني رائع، تقدم في الافكار والمشاعر والاخلاق والتقاليد، تقدم تحلم به الانسانية الراشدة، وإن لم يتح لها اليوم فرصة تحقيقه والوصول إليه. وأن من الحمق الذي لا يليق بالانسان العاقل أن يرفض الشيء لا لعيب إلا أنه قديم، وأن يرحب بشيء لا لمزية إلا أنه جديد.

والله عرفنا، وعرف الناس قبلنا — بالمنطق والتجربة — أنه ليس كل قديم سيئا ولا كل جديد حسنا. فكم من قديم فيه أكبر المنافع، وكم من جديد يحمل أكبر المضار. وهل عاب الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار أنها قديمة، وأن عمرها يقدر بالملايين أو البلايين من السنين؟!

على أن القديم والجدة أمران نسبيان،

إن أعداء الماضي وخصوم التراث والعارضين لكل قديم، لا حجة لهم ولا منطق

غرب جديد عند قوم، يعد قديما عند آخرين. وكم من شيء يعده الناس في عصر ما جديدا كل الجدة، فاذا تعمقوا في الدراسة وجدوه أثرا قديما عتيقا، عرفته الأمم البدائية منذ أقدم العصور، كالاباحية التي يحسبها بعض الناس من ثمرات هذا العصر، عصر الحرية والنور ـ كما يزعمون، وهي لا تزال من سمات القبائل البدائية، والشعوب الهمجية الى اليوم.

هذا إلى أن الجديد لا يبقى أبدا جديدا، والقديم لم يكن من قبل قديما، فقديم اليوم كان حديث الامس، وجديد اليوم سيصبح قديما غدا، فلاذا كان القدم يسلب الاشياء النسبة حسنها، وكانت الجدة هي وحدها مصدر الحسن والنفع والخير، فمعنى ذلك اننا غدنا (سوفسطائيين) نرى أن الاشياء ليس لها حقائق ثابتة، وأن القيم ليس لها ثبات ولا خلود، ومعنى ذلك: أن مرور الزمن وحده هو الحكم على الاشياء، فهو الذي يجعل الحق باطلا، والمعروف منكرا!

لهذا وقف أولو الألباب في العالم الاسلامي كله ضد الغلاة من دعاة التجديد ـ الثائرين على كل قديم، المنسلخين من كل تراث ـ موقف المنكر الناقد، والساخط المعارض، وسخر منهم أديب العروبة والاسلام مصطفى صادق الرافعي بأنهم يريدون أن يجددوا الدين واللغة والشمس والقمر!!

وقال أمير الشعراء شوقي في قصيدته عن الأزهر:

لاتحذ حذو عصابة مفتونة
يجدون كل قديم أمر منكرا
ولو استطاعوا في المجامع أنكروا
من مات من آبائهم أو عمرا
من كل ساع في القديم وهدمه
وإذا تقدم للبناية قصرا!

وسخر (إقبال) من دعوة (كمال أتاتورك) التجديد ورماه بالاصطباغ والتقليد للغرب، واعتبره محروما من كل أصالة وإبداع، فقال:

(إن ـ كمال ـ تغنى بالتجديد في تركيا ودعا الى محو كل أثر قديم، وتراث قديم، ولكنه جهل أن الكعبة لا تجدد، ولا تعود الى الحياة والنشاط إذا جلبت لها من أوربا أصنام جديدة!! إن زعيم تركيا لا يملك اليوم أغنية جديدة، إنما هي كلها أغاني مرددة معادة، تتغنى بها أوربا من زمان! إن الجديد عنده هو القديم الأوربي الذي أكل الدهر عليه وشرب، ليس في صدره نفس جديد، وليس في نفسه عالم حديث، فاضطر إلى أن يتجاوب مع العالم الأوربي المعاصر، إنه لم يستطع أن يقاوم وهج العالم الحديث، فذاب مثل الشمعة وفقد شخصيته)

ماضيهم وماضينا

إن (التقدميين) قوم يزعمون أنهم ينظرون أبدا الى الامام، ولا ينظرون ساعة الى الوراء، ينظرون الى المستقبل، ولا ينظرون الى الماضي، كأن النظر الى الوراء سبة يبرأ منها!.. وما الماضي؟ إنه كان بالأمس حاضرا حيا ماثلا، وكان من قبل أمس مستقبلا مرجوا [illegible]

إن الله الذي خلق الانسان وجعله [illegible] يحلق بين المستقبل [illegible]

يستوعب فيها أمسه، فلماذا نطلب من الانسان أن يتطلع الى غده فقط، ولكن عليه أن يتصل بأمسه؟ لماذا نريد من المجتمع أن يفقد ذاكرته، مع أننا نعد الفرد الذي يفقد الذاكرة مريضا مبتلى محتاجا إلى علاج!!

إن الانسان يولد وهو يحمل في دمه خصائص أبويه وفصيلته، فضلا عن خصائص نوعه ـ بحكم قوانين الوراثة ـ ومعنى هذا أنه منذ يولد يحمل في إهابه شيئا غير قليل من الماضي (فطرة الله التي فطر الناس عليها) ولولا هذا الماضي لكان طفلا لا ترتقي الى مستوى الكائن الحي.

فلماذا نريد من الانسان أن ينسلخ من ماضيه وتراثه، إذا أراد أن يرسم لنفسه حدود سلوكه، ويحدد منهج حياته؟

والواقع أن الذين يعادوا الدين والتراث من أبناء قومنا، لا يفعلون ذلك نتيجة تفكير حر، أو دراسة موضوعية، إنهم يقفون هذا الموقف مقلدين تابعين، متقمصين شخصية الانسان الاوربي وموقفه من دينه وتراثه.

ولكن الغربيين معذورون حين ينكرون ماضيهم، ويشنون الغارة على قديمهم، وينفرون من كل دعوة تتضمن الرجعة إليه ذلك لأن الماضي الذي سبق حاضرهم وتقدم نهضتهم ماض غير خصب، ليس فيه إلا المطاردة للعلم، والحجر على الفكر، وتحريق العلماء والمفكرين، ليس فيه عدالة ولا تكافؤ، ليس فيه للانسان حقوق ترعى، ولا أخوة يعترف بها، وليس فيه إلا طبقية صارخة، وارستقراطية مستكبرة، وإقطاع متسلط وحكم ظالم وكهنوت يبارك كل هذا الظلم والظلام، ويؤيده باسم الدين، باسم الله والمسيح.

فمن دعا الى تحكيم الدين عندهم في شئون الحياة، فمعناه أنه يعود بالناس الى الوراء، الى الجهل، الى التخلف، الى التعصب المغلق، الى التقليد الأعمى، الى الاقطاع، الى الطبقية، الى حكم الفرد المطلق، الى تسليم الزمام لرجال الكهنوت.

أما نحن فالأمر عكس ذلك تماما، إن ديننا غير دينهم، ومجتمعنا غير مجتمعهم،

وماضينا غير ماضيهم (ولا تزر وازرة وزر أخرى)

مؤرخو الحضارة يعترفون

وينقل المرحوم الاستاذ محمد فريد وجدي عن الاستاذ (دراپير) الاستاذ بجامعة (نيويورك) من كتاب (النزاع بين العلم والدين) هذه الفقرات الناصعة عن ماضي المسلمين وماضي أوربا . فيقول

(ولو أردنا أن نستقصي كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى . لخرجنا عن حدود هذا الكتاب فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا . وأوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم . والفلكيون من العرب قد اهتموا أيضا بتحسين آلات الإرصاد وتهذيبها وبحساب الأزمنة بالساعات المختلفة الاشكال . والساعات المائية والسطوح المدرجة الشمسية . وهم أول من استعمل البندول (الرقاص) لهذا الغرض . أما في العلوم التجريبية فقد اكتشفوا الكيمياء . وبعضا من محللاتها الشهيرة (بحمض الكبريتيك) و (حمض النتريك) و (الكحول) وقد استخدم العرب علم الكيمياء في الطب لأنهم أول من نشر علم تحضير العلاجات . و (الأقرباذينات) واستخراج الجواهر المعدنية . أما في علم (الميكانيكا) فانهم عرفوا وحددوا قوانين سقوط الأجسام . وكانوا عارفين كل المعرفة بعلم الحركة . أما في (الايدروستاتيك) فانهم أول من عمل الجداول المبينة لضروب الأوزان النوعية . وكتبوا أبحاثا في الأجسام السابحة . والغاطسة تحت الماء . أما في نظريات (الضوء والابصار) فقد غيروا الرأي اليوناني الذي مقتضاه أن الابصار يحصل بوصول شعاع من البصر الى الجسم المرئي . وقالوا بعكس ذلك أي أن الابصار يحصل بوصول شعاع من المرئي الى العين .

وكانوا يعرفون نظريات انعكاس الأشعة وانكسارها . وقد اكتشف الحسن بن الهيثم الشكل المنحنى الذي يأخذه الشعاع في سيره في الجو . واثبت بذلك أننا نرى القمر والشمس قبل أن يظهرا حقيقة في الأفق . وكذلك نراهما في الغروب بعد أن يغيبا بقليل . إن نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا في التقدم الباهر الذي نالته الصنائع في عصرهم . فقد استفادت منها فنون الزراعة في أساليب الري والتسميد . وتربية الحيوانات . ونظم التعاملات الزراعية الحكيمة . وإدخال زراعة الأرز والسكر والبن وقد انتشرت المعامل والمصانع لكل نوع من أنواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن . وكانوا يذيبون المعادن . ويجرون في عملها على ما حسنوه وهذبوه من صنعها وسبكها . وإننا لنعجب حين نرى في مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم في هذا العصر . من ذلك أن مذهب النشوء والارتقاء للكائنات العضوية الذي يعتبر مذهبا حديثا كان يدرس في مدارسهم . وقد كانوا يصلون به إلى حدود أبعد مما وصلنا إليه . [illegible] على المعادن والمعاني أيضا .

[illegible] أوربا [illegible] كانت غاصة بالغابات الكثيفة من اهمال الناس للزراعة . [illegible] تعلو [illegible] العفن [illegible] فكانت تنتشر منها روائح قتالة تجتاحت الناس واكلتهم . ولا منجية لهم . وكانت البيوت في (باريز) و (لندن) تبنى من الخشب والطين المعجون بالقش والقصب . ولم يكن فيها نوافذ ولا ارضيات خشبية . اما الابسطة فكانت مجهولة لديهم . وكان يقوم مقامها القش ينشرونه على الأرض . نذرا ولم يكونوا يعرفون المداخن فكان الدخان يطوف البيت ثم يتسرب من ثقب يصنعونه له في السقف . فكان الناس في هذه البيوت معرضين لكل أنواع الاصابات الخطيرة . وكان الناس لا يعرفون معنى النظافة فيلقون بأشلاء الحيوانات واقذار المطابخ أمام بيوتهم أكواما أكواما . تتصاعد منها روائح قاتلة . ولا رقيب ولا حسيب . وكانت الأسرة الواحدة تنام في حجرة واحدة من رجال ونساء وأطفال . وكثيرا ما كانوا يؤون معهم الحيوانات المنزلية . وكان السرير عندهم عبارة عن كيس من القش فوقه كيس من الصوف كمخدة . وكانت النظافة محرمة لديهم لا يعرفون لها رسما . وكان الغني منهم لا يأكل اللحم إلا أكل السوء مرة . ولم يكن للشوارع مجار ولا بلاط ولا مصابيح . (هذه الجهالة كان من أثرها على أوربا أن عمتها الخرافات والأوهام . فانحصر التداوي في زيارة الأماكن المقدسة . ومك الطب . وتحويت أحابيل الدجالين . وقد كانوا اذا دهم البلاد وباء فزع رجال الدين الى الصلاة . ولم يلتفتوا لأمر النظافة فكانت تفتك بهم الأوبئة فتكا ذريعا . حتى أنها زارت أوربا عدة مرات . فتجلت الملايين من أهلها في أيام معدودة وقد كان الموت في أوربا في هذه العصور بنسبة واحد الى ثلاثة وعشرين . فصار اليوم الواحد الى أربعين . ثم قال لم تكن أوربا العصرية باطنى ذوقا ولا أرقى مدنية ولا ألطف رونقا من عواصم الاندلس على عهد العرب .)

رسالتنا في التغيير

هذا هو ماضي الغربيين . وهو لا شك ماض مظلم . كما انه ماض اقترن بالكنيسة الغربية وارتبط برجال الدين هناك . فاذا قام من يدعو إلى سيادة الدين على الحياة فهذا معناه : سيطرة الكنيسة . سيطرة الاقطاع والطبقية سيطرة التعصب والهمجية ومن حق كل محب للحرية . والعلم . والتسامح . والعدل والمساواة أن يثور في وجه هذه الدعوة الرجعية . فكيف يقاس ماضينا بماضيهم ؟ وأين الثريا ؟ وأين الثرى ؟

بيد أن الذي نؤكده ونلح عليه . ولا نمل من تكراره . اننا لا نريد أبدا الوقوف عند الماضي نتغنى بمآثره . ونباهي بأمجاده . ونقول في انتفاش وانتفاخ . كنا وكان آباؤنا وأجدادنا ! فما يغني مجد الآباء إذا ضيعه الأبناء ؟ وماذا يغني عن المظلم المنحدرة أن تقول : كنت فيما مضى حسدا مليئا بالحياة .

إن التغيير المنشود أن نضيف الى القديم جديدا . يعتز به من بعدنا . كما اعتززنا نحن بمن قبلنا . ونعطى البشرية كما أخذنا منها وبذلك نعرف دورنا . ونؤدي رسالتنا

إنا وإن كرمت أوائلنا
لسنا على الآباء نتكل
نبني كما كانت أوائلنا
تبني . ونفعل مثلما فعلوا

د . يوسف القرضاوي



إنها ليست كارثة واحدة ...!

مع نهاية الحرب العالمية الأولى ترددت لأول مرة أصداء كلمات جديدة في الوطن العربي لم تكن مألوفة من قبل .. كلمات مثل الصحوة والبعث واليقظة ... وانتشر في المدارس ما يعرف بالأناشيد الحماسية التي كان ينشدها الطلاب قبل دخولهم الى الصفوف ، وعمت الوطن العربي ، الذي كان ساعتها يعيش حالة شبيهة بحالة فقدان الذات ، رجفة سياسية اتسمت في بعض جوانبها بالبطولة والشجاعة أعادت للأذهان من جديد صور البطولات الخارقة التي كان العربي يخط سطورها على امتداد التاريخ ... وسمعنا وشاهدنا عشرات القصص البطولية التي كانت أحداثها تجري في طرابلس وبيروت ودمشق والقاهرة وبغداد ... وعاش المواطن العربي يسمع كل يوم حكاية بطل ... بعضهم كان يلقى بهم من الطائرات المحلقة في السماء والبعض كان يعلق على المشانق وكثيرون كانوا يطاردون من بلد الى بلد ومن قرية الى قرية ... ومع ذلك كانت الصحوة العربية التي فجرت كل هذه المشاعر الوطنية ... في رحلتها عبر الحقول والنفوس للتعبير ... لم يحدث بعد ...

وكان مقدرا للأمة العربية ، التي ... لأول مرة شعار الوحدة في ذلك الوقت ، أن تمضي في الطريق الذي شقه الشهداء بدمائهم وكان أن تحركت عناصر الثورة في كل بقعة على الأرض العربية تلتقي وتتقاطع وتقدر ، وتقوم بإصدار الصحف والمنشورات خارج أوطانها ، وخرج في الأمة خطيب كعبد الله النديم في مصر الذي كان يظهر كل يوم في مكان ليشعل فتيل الثورة ثم ليختفي بعد ذلك ... ثم ليظهر من جديد ... وكانت كل هذه الإرهاصات تنبيء عن أن التاريخ قد بدأ يتحرك في منطقة ألفت الركود والاستكانة قرونا طويلة لدرجة كاد فيها الناس ينسون حتى تاريخهم ... بل واختوا يولون وجوههم صوب الغرب حيث الآلة بدأت تغزو الحياة هناك وحيث الأمم تجاوزت (فترة) القلق والتململ وأخذت ترسم لنفسها مسارا جديدا هو مزيج من العلم والمنطق وإعطاء المحسوسات والموروثات أحجامها الحقيقية دون تهويل أو تأويل.

ومررنا بعد ذلك بفترة من التأمل كان مفكرونا يتعاملون فيها مع القضايا بذهنية جديدة بعيدة عن التشنجات والانفعالات ... معظم ملامحها بمحاولة البحث عن موقع ثقافي ... وخرج في الأمة رجل كقاسم أمين كان يتصور أن ... تخلفنا هو المرأة فراح يدعو إلى خروجها من تحت ... تقليد في البناء ... وخرجت المرأة من تحت العباءة ... التخلف ظل مكانه لا يريم ... !

ثم جاء آخرون تصوروا أن السبب في تخلفنا يكمن في الذهنية التي تحكم شعوبنا وكان أن رفعوا شعار الديمقراطية ... ولاقت الدعوة ترحيبا واسعا لا مثيل له ... وارتفعت أعلام الديمقراطية في أكثر من بلد عربي ... ولكن هذه الأعلام سرعان ما انتكست لأنها كانت عملية شبيهة بعملية العربة والحصان ... من يجب أن يكون قبل الآخر ... الديمقراطية أم الوعي ... وفي محاولة البحث الجاد عن الذات ارتفعت رايات كثيرة مختلفة الألوان وترددت أصداء شعارات كثيرة ... وتعرض الوطن العربي كله لهزات سياسية وانفجارات اجتماعية مهدت الطريق لنشوء تيار جديد يدعو الى الوقوف والتأني ومراجعة النفس ... ولكن هذا التيار ضاع مع زحمة الأحداث المتلاحقة التي تعرضت لها المنطقة منذ خرج قرار التقسيم عام ١٩٤٧ الى الوجود حيث أعقبه انفجار القضية الفلسطينية عام ١٩٤٨ بالشكل الذي نعرفه والذي وضع الوطن العربي منذ ذلك الوقت على فوهة البركان المتفجر الذي هدد ... وما زال ... أمن العالم وسلامه أكثر من مرة ... !

وفي زحم الأحداث المتلاحقة ... وبحثا عن متكأ نريح عليه رؤوسنا بعد عناء الرحلة المضنية التي تقطعت فيه أرجلنا ذهبنا الى الشرق وارتمينا في أحضانه ... ولم نكن ندري أننا استقللنا هناك كما يستقل عابر الصحراء ثمرة ناضجة تسقط





عليه من اعلى الشجرة ... ومع الشرق كانت رحلة الالم المضاعف . ففي سوق السياسة الدولية تموت العواطف وتتحول كل الموروثات الانسانية الى شيء شبيه بالاساطير والخرافات ... وكان ان عدنا مرة اخرى الى الغرب في محاولة ثانية للبحث عن متكأ نريح عليه الرؤوس المتعبة ولكن الأمر لم يكن بالسهولة التي تصورناها ... فقد كان الغرب الوالغ في كرامات الامم والهادر ذاته في سوق الدعاية الاسرائيلية والذي تعرض طوال حقبة طويلة من السنين لعملية غسيل مخ شاملة قولبت مفاهيمه ورؤيته ليس بالنسبة لقضية فلسطين وحدها ، ولكن بالنسبة للعرب بصورة عامة .. هذا الغرب لم يكن هو الآخر ليفهم او يتفهم قضايانا من جهة نظر اخرى غير تلك التي تربى عليها وراها صورا سينمائية موجهة على الشاشة او حروفا مكتوبة في الصحف او نجمة سداسية معلقة على الصدور والنحور ... !

وكان ان رحنا نفتش من جديد عن ذواتنا ... ولكن بعد ان اغرقتنا مأساتنا في بحر من المفاهيم المتناقضة حيث راح البعض منا يستقر في داخله نوازع الدين البسيطة ليتحول في زحم المأساة — الى هجرة داخل الهدة التاريخ موسومة بالتطيش والتطرف وفقدان الاحساس بأن لكل عصر سلاحا يحارب به ...

بينما راح بعضنا الآخر يفتش وسط ركام الفكر الماركسي عن منفذ للنور يفيء له ولو بعض جوانب الطريق المظلمة المعتمة ... ولكن الفكر الماركسي كان هو الآخر يعيش مأساته فقد كان فكرا مهووسا بحب الطبقة الواحدة وهو هوس تنتفي معه حرية المعتقدات الاخرى حيث ارتضى لنفسه ان يقف على طرفي نقيض مع الاديان السماوية التي رفضت ان تتعايش معه أو ان تدير حوارا مع مبشريه ... !

والتفت بعضنا الآخر الى التراث والى التاريخ يستنجد به ولكن ذلك لم يجد شيئا فقد كان ما بيننا وبين الاثنين برزخا من الجفاء ليس من السهل تجاوزه ....!

وفي جو محموم كهذا ، موسوم بالضجيج والبلبلة وتداخل الالوان ، كان لا بد ان تحدث الكارثة ... وهي ليست كارثة واحدة ولكنها سلسلة من الكوارث ... كل كارثة تجر وراءها كارثة اخرى ... وعلى مدى سنوات سيكون مسلسل الكوارث قد بلغ الحلقوم ....؟

وحين يبلغ المدى ذلك فربما تنتفض في شرايينا حلاوة الروح ... وعندها قد تحدث المعجزة ... معجزة اكتشاف الذات ....؟

علي سيار

مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها

في القانون الدولي العام الوضعي



مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها من المفاهيم الأساسية التي تبلورت في ميدان العلاقات الدولية ، منذ الحرب العظمية الأولى . وقد نتج عن استناد الشعوب المستعمرة على هذا المبدأ في المطالبة باستقلالها ، أن انحسر ظل الاستعمار عن معظم البلاد الخاضعة للحكم الأجنبي . بيد أن الاهتمام بمبدأ تقرير المصير اليوم ، لم يقل عما كان عليه منذ عشرين أو ثلاثين عاما ، ذلك أن المجتمع الدولي في محاولته اقامة نظام عادل يضمن الأمن والاستقرار لكل أعضائه ، يدرك أن شعوبا ليست قليلة ، ما تزال تحس بالغبن بأن مصائرها ليست بأيديها . ومن أبرز الأمثلة على ذلك ، قضية الشعب الفلسطيني التي تشغل بال كل عربي .

والبحث القيم الذي نقدمه فيما يلي عن مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها هو تلخيص لرسالة قدمها سعادة الدكتور حسن كامل إلى جامعة باريس عام ١٩٦٠ ، ونال بها درجة الدكتوراه في « علم السياسة » .

والدكتور حسن كامل من الدبلوماسيين المرموقين في العالم العربي ، فقد عمل زمنا طويلا في السلك الدبلوماسي المصري وبلغ فيه أعلى مراتبه وهي درجة سفير ، وتقلد عددا من المناصب الرفيعة في مصر وقطر ، وهو الآن مستشار سمو أمير دولة قطر . وقد نال شهادته من جامعة القاهرة ، ودبلوم الدراسات العليا في القانون العام ، ودبلوم الدراسات العليا في القانون الخاص ، كما حصل على دكتوراه الدولة في القانون ودبلوم الدراسات العليا في « علم السياسة » من كلية الحقوق بجامعة باريس . ويعد بحثه الذي نال به درجة الدكتوراه في « علم السياسة » أول بحث من نوعه ، فلم يكن أحد قبله قد درس في بحث تخصص علمي موضوع حق الشعوب في تقرير مصيرها . ومع أن عشرين عاما قد انصرمت منذ كتابة هذا البحث ، فإن الأفكار التي تضمنها ما تزال تنطبق على عالم اليوم .

مبدأ « حق الشعوب في تقرير مصيرها » هو موضوع الساعة الدولي ، والإجماع منعقد على أن هذا المبدأ باعتباره مبدأ سياسيا من أنجع الوسائل الكفيلة بتحقيق ما يصبو إليه العالم من أمن وسلام ، وبلوغ ما ترجوه الإنسانية من تنعيم حياة الشعوب وإقامتها الوطيدة المخلصة على التعاون المشترك في سبيل الخير العام .

وليس ثمة اصطلاح أكثر شيوعا في اللغة السياسية في أيامنا هذه من « حق الشعوب في تقرير مصيرها » ، ويسير هذا طبيعيا إذا ذكرنا أنه عندما اندلع لهيب الحرب العالمية الأولى كان النفوذ الأوربي مسيطرا على الجزء الأكبر من القارة الآسيوية وعلى القارة الأفريقية كلها تقريبا على أنه لم يكد ينقضي على ذلك أقل من نصف قرن حتى تبدل الحال غير الحال ، إذ استقلت آسيا التي يبلغ عدد سكانها مليار ونصف مليار نسمة أي ثلاثة أخماس عدد سكان المعمورة ، كما استقلت الغالبية من بلاد أفريقيا ، بينما تتقدم الأقلية القليلة التي لم تظفر باستقلالها بعد بخطى حثيثة نحو حريتها واستقلالها وبذا يكون نظام الاستعمار ، الذي فرض نيره على ثلث الكرة الأرضية أكثر من قرن ، قد أخذ يتجه نحو خاتمة عهده النهائية .

ويقرر الباحثون أن اندفاع شعوب الشرق آسيا وأفريقيا نحو الحرية والمساواة هو أعظم الظواهر السياسية الاجتماعية في عصرنا الحاضر ، بل أن هذا الاندفاع هو الظاهرة الكبرى التي تضفي على القرن العشرين طابعه الخاص .

وليس من شك أن نتائج الحربين العالميتين الحقت بمكانة الدول الأوربية وبالاستعمارها جرحا عميقا كان له أثره الكبير في المطالبة على انطلاق مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها ودعمه وتعميقه ، على أن كل هذه التطورات – رغم خطرها وجسامتها – لم تغير من طابع ذلك المبدأ الذي ظل مبدأ سياسيا حتى تمخضت الحرب العالمية الثانية عن ميثاق الأمم المتحدة الذي سجله صراحة كأساس لأحد أهدافه الأصلية وهو إنماء العلاقات الودية والسلمية بين الأمم . ثم جاءت الجمعية العامة للأمم المتحدة فقررت ، في الخامس من فبراير ١٩٥٢ ، أن تدرج مادة من مواد الميثاقين الدوليين لحقوق الإنسان المزمع إصدارها للنص على أن لكل الشعوب ولكل الأمم حق تقرير مصيرها ، الأمر الذي تحقق فعلا بتصدير كل من مشروعي الميثاقين بمادة أولى تنص على أن : « لجميع الشعوب ولجميع الأمم الحق في تقرير مصيرها ، أي الحق في أن تحدد بحرية نظامها السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، والثقافي » . وعقبت الجمعية العامة على ذلك القرار بسلسلة قرارات أخرى أكدت بها أن حق الشعوب في تقرير مصيرها حق أساسي من حقوق الإنسان ينبغي احترامه دوليا . ومن أهم هذه القرارات قرار



الجمعية العامة في ١٦ ديسمبر ١٩٥٢ ، ذلك القرار الذي وافق عليه الأعضاء بعد مناقشة الاجتماع ، ونص فيه على أن إغفال حق الشعوب في تقرير مصيرها ، لا بد أن يتلف العلاقات الودية بين الأمم ، ويناقض مبادئ وأهداف الأمم المتحدة ، وأن الصالح الدولي يقضي بأن تحترمه الدول الأعضاء احتراما حقيقيا وفقا لتلك المبادئ والأهداف .

ولما كان لممارسة حق الشعوب في تقرير مصيرها آثار وانعكاسات دولية واسعة النطاق وذات خطر كبير لذلك عنيت الجمعية العامة للأمم المتحدة بتنظيم مزاولة ذلك الحق وتحديد وسائل وضعه موضع التنفيذ من ناحية وضمان تطبيقه واحترامه من ناحية أخرى ..

وعلى أثر كل هذه التطورات الجديدة بدا في من الأهمية بمكان كبير دراسة ما إذا كان مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها قد ظل كما كان مبدأ سياسيا أم أنه اندمج في النظام القانوني الدولي فأصبح قاعدة من قواعد القانون الدولي العام الوضعي واكتسب القوة الملزمة التي تتمتع بها قواعد هذا القانون . ذلك أن مما لا شك فيه أن اندماج مبدأ ما ضمن قواعد القانون الدولي العام الوضعي يكون ، من الناحية النظرية ، تجديدا رائعا في القانون المذكور . أما من الناحية العملية فغني عن البيان أن لهذا التجديد خطره العظيم لما له من أثر عميق في المطالبة على دعم حقوق الإنسان والشعوب والمساهمة في إنماء العلاقات السلمية الودية بين الأمم والحفاظ على حفظ السلام والأمن الدولي . ولا ريب أن الاستناد إلى قاعدة من قواعد القانون الدولي العام الوضعي من شأنه أن يضفي قوة خاصة على موقف من يستطيع الاحتجاج بها في المناقشات الدبلوماسية . ولا حاجة بنا إلى تكرار الحديث المعاد عن ذلك الخطأ الجسيم الذي يرتكبه البعض إذ يتوهم أن النظام القانوني لا وزن له في العالم السياسي . ذلك أن مما لا يقبل الجدل أن النظام القانوني هو الإطار الذي يدور بداخله تفاعل العوامل السياسية . وإذا صح أن القانون الوضعي ليس كل شيء بالنسبة لأي نظام سياسي سواء تعلق الأمر بالقانون العام الدولي أو القانون العام الداخلي ، فإن ذلك القانون عنصر هام للغاية ينبغي معرفته والتمسك به والاستناد إليه .

وعلى ضوء هذه الاعتبارات ، ولأن مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها هو أساس من أهم الأسس التي تقوم عليها السياسة الخارجية العربية ، حاولت معالجة الموضوع مرة أولى في عام ١٩٥٦ في بحث سريع نشر في المجلة المصرية للقانون الدولي (المجلد الثاني عشر سنة ١٩٥٦) وتبين لي منذ تلك المحاولة أمران هما : أولا – أن هذا الموضوع رغم أهميته الكبرى ورغم أنه موضوع الساعة الدولي لم يعالج ، لا عندنا ولا عند غيرنا على وجه الإطلاق في أي بحث علمي شامل أو أية رسالة قانونية . ثانيا – أن فقهاء القانون الدولي العام لم يعنوا إطلاقا بدراسة هذا الموضوع بما يستحقه من اهتمام ، بل اكتفوا بالإشارة إليه بعبارات عابرة باعتباره مبدأ يستحسن .. سياسيا .. اتباعه .

وفي أواخر عام ١٩٥٨ ، وبعد انقطاع عملي بوزارة الخارجية التي قضيت في خدمة بلادي من خلالها زهرة شبابي ، خطر لي – وأنا حاصل قبل سنين على دبلوم الدراسات العليا في القانون العام ودبلوم الدراسات العليا في القانون الخاص من كلية الحقوق جامعة القاهرة وعلى دكتوراه الدولة في القانون ودبلوم الدراسات العليا في « علم السياسة » من كلية الحقوق بجامعة باريس – خطر لي أن أعرض الرأي الذي خلصت به من دراستي لحق الشعوب في تقرير مصيرها في رسالة علمية بحث أتقدم بها لكلية الحقوق بذات جامعة باريس للحصول على دكتوراه الدولة في « علم السياسة » .

وسافرت فعلا إلى باريس وبعد استكمال عناصر البحث والدراسة هناك قدمت رسالتي عن « مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها في القانون الدولي العام الوضعي » وحصلت على أثر مناقشتها ، في ٢٢ من يناير ١٩٦٠ ، على إجازة دكتوراه الدولة في « علم السياسة » بدرجة جيد جدا .

وقد هدفت بهذه الرسالة إلى محاولة تحليل ماهية حق الشعوب في تقرير مصيرها في وضعه

مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها

إن اقتناع الشعوب آسيويا وإفريقيا بحق الحرية هو أهم ظاهرة سياسية

الحقل بعد التطورات الكبيرة الأخيرة ، السابق الإشارة إليها .

ولعل من الطريف ، بل ومن الغريب والمؤلم في آن واحد ، أن نذكر للتاريخ أنني بذلت جهودا كبيرة لدى الجامعات الفرنسية ، وبينها جامعة باريس نفسها ، بل ولدى الجامعات السويسرية ، لقبول موضوع « حق تقرير المصير » موضوعا لرسالتي ... لمعضلة البحث ... للحصول على الدكتوراه في علم السياسة ، إذ أجمع الأساتذة المختصون في تلك الجامعات على اعتبار هذا الموضوع تحت تأثير الاتجاهات السياسية الحكومية المناوئة لهذا الحق ، وبخاصة بالنسبة إلى الجزائر [illegible] ... يرجع إلى أن المشكلة الجزائرية كانت قد بلغت ذروة حدتها في ذلك الوقت [illegible] الخطوة الشجاعة التي أقدم عليها الجنرال ديجول بالاعتراف ، في التصريح التاريخي الذي أدلى به في ١٦ سبتمبر ١٩٥٩ مؤكدا ، باسم فرنسا والجمهورية حق الجزائريين في تقرير مصيرهم ، بيد أنني وفقت بعد جهد جهيد في نهاية المطاف إلى الحصول على موافقة الأستاذ الكبير شارل روسو عميد أساتذة القانون الدولي العام في فرنسا ، الذي قرأني هيئة الأساتذة المحكمين التي ناقشت رسالتي القيمة .

ثلاثة أقسام

ولمحاولة عرض الموضوع بصورة واضحة ، بدا لي أن أقسم البحث ثلاثة أقسام ، أفردت الأول منها لأهم المصادر الفكرية التي نبع منها المبدأ منذ القرن السابع عشر ، والمراحل التاريخية التي مر بها كل من الحقلين النظري والعملي منذ الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى .

وكرست القسم الثاني لدراسة الوضع الحالي للحق في القانون الدولي العام الوضعي .

أما القسم الثالث فقد خصصته لبحث ومناقشة وضع الحق موضع التنفيذ وطرق تطبيقه وضمان احترامه .

١ — ويبين من القسم الأول من الرسالة أن مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها الذي تمثل بادئ ذي بدء في صورة فكرة فلسفية ، انتقل بعد ذلك إلى الأوساط السياسية حيث نما نموا مطردا وعززته تصريحات هامة عديدة أصدرها الرئيس ولسن في عام ١٩١٨ ، وأيدتها تصريحات حكومات الدول المتحالفة في ذلك الوقت ، على أن هذا المبدأ المثالي الذي ألهب رغبة الشعوب الملحة في التحرر ، والذي نادت به ، لم يحقق واسع ، معاهدات الصلح التي وضعت حدا للحرب العالمية الأولى وتحرر بفضله ملايين من البشر من حكم روسيا القيصرية والمانيا والإمبراطورية النمسا والمجر . هذا المبدأ ذاته كان ضحية الإغفال الكامل في مناطق أخرى من العالم وبينها في المقام الأول منها منطقة الشرق العربي [illegible]

[illegible]

نتعرض أعقاب الحرب العالمية الثانية بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة وعلى ضوء قراراتها وهو ما تناولته بالدرس في القسم الثاني من الرسالة .

احترام حق الشعوب

ذلك أن ميثاق الأمم المتحدة ، شأنه في هذا شأن ميثاق عصبة الأمم ، يهدف أول ما يهدف إلى تحويل الشروط العضوية التي لا غنى عنها لاستتباب الأمن الدولي ولازدهار تقدم الإنسانية

شاء الاستعمار أن ترفض جامعات فرنسا وسويسرا رسالتي لأنها عن حق تقرير المصير

وحريتها ، إلى قواعد قانونية ثابتة . والواقع أنه لما تجمعت للشعوب بحكم الضرورة أو الضرورة لكسب الحرب ، كذلك كان تجمعها وثبات الدافع لضمان السلم .

ولقد تمخض هذا التجمع عن « إعلان الأمم المتحدة » في أول يناير ١٩٤٢ ، ذلك الإعلان الذي مهد السبيل إليه إصدار ميثاق الأطلنطي الموقع عليه في ١٤ من أغسطس ١٩٤١ .

ولما كان من الأمور المسلمة أن احترام حرية الشعوب وحقها في تقرير مصيرها عامل من أبرز عوامل الاستقرار الدولي وشرط من أهم شروط إشاعة الشعور بالأمن والطمأنينة وإزالة أسباب الخوف والريبة بين الأمم وبالتالي أسباب التصادم بين الجماعات البشرية ، لذلك عني الميثاق بأن يؤكد احترام الشعوب في تقرير مصيرها وشجعه في ذلك « إعلان الأمم المتحدة » ، وعقدت الفترة التي [illegible] اجتماع موسكو في ٣٠ أكتوبر ١٩٤٣ رؤساء الولايات المتحدة وانجلترا وروسيا والاتحاد السوفيتي والصين ، وأقروا أن المحافظة على السلم والأمن الدوليين تقتضي أن تنشأ بأسرع ما يمكن منظمة دولية تقوم على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع الدول المسالمة وتفتح أبوابها لكافة الدول كبيرها وصغيرها ، وبعد المفاوضات التي تمت في دمبرتون أوكس ويالتا ، والتي أقرها تأكيد مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها ، تقرر أن يدعى للاجتماع بسان فرانسيسكو في ٢٥ من أبريل ١٩٤٥ مؤتمر يتولى وضع ميثاق للهيئة المشار إليها ، واجتمع المؤتمر وشمل اثنتين وخمسين دولة ، ووضع « ميثاق الأمم المتحدة » . ولما كان ضمان السلم والأمن الدوليين وإنماء التعاون بين الأمم هما أهم الأغراض المنشأة للمنظمة الدولية الجديدة ، وكان الاعتراف بحق الشعوب في المساواة وفي تقرير مصيرها من أهم وسائل تحقيق هذين الغرضين كما سبق بيانه ، لذلك حرص واضعو الميثاق على أن يسجلوا في الفصل الأول منه المتضمن مقاصد الهيئة ومبادئها بل وفي المادة الأولى (الفقرة الثانية) من الميثاق ما نصه :

المادة الأولى : مقاصد الأمم المتحدة هي :

١ — ....

٢ — إنماء العلاقات الودية بين الأمم على أساس احترام مبدأ المساواة في الحقوق بين الشعوب وحقها في تقرير مصيرها ، واتخاذ التدابير الأخرى الملائمة لتعزيز السلم العام .

وقد عاد الميثاق في الفصل التاسع منه الخاص بالتعاون الدولي الاقتصادي والاجتماعي فسجل مرة جديدة في صدر المادة الخامسة والخمسين حق الشعوب في تقرير مصيرها مستخدما العبارات ذاتها .

وثما كثير مما يتعارض مع المنطق أن يسجل الميثاق بالصورة المشار إليها مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها دون أن يعترض على حق شعوب الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي ولشعوب الأقاليم الخاضعة للوصاية في تنمية قدراتها حتى تستطيع عند حلول الوقت المناسب حكم نفسها بنفسها والتمتع بحريتها واستقلالها . لذلك عنى الميثاق بتدعيم المفهوم السالف الذكر ـ بنصوص الفصلين ١٢ ، ١٣ الخاصين بشعوب الأقاليم المنوه عنها .

تلك هي نصوص الميثاق المؤكدة لحق الشعوب في تقرير مصيرها ، ولأن الجمعية العامة للأمم المتحدة هي الهيئة المخول إليها أهم السمات والاختصاصات بصدد حقوق الإنسان ، لذلك ـ واستنادا إلى سلطاتها في هذا الشأن المستمدة من أحكام الميثاق ـ عرضت الجمعية في دوراتها المتعاقبة تلك المسألة الحيوية البالغة الخطر ـ مسألة حقوق الإنسان ـ وخلصت من الدرس إلى وضع سلسلة من القرارات البالغة غاية الأهمية نصت فيها على أن حق الشعوب في تقرير مصيرها هو حق من حقوق الإنسان الأساسية . من ذلك قرارها الصادر في ٤ من ديسمبر ١٩٥٠ الذي سجلت به المبدأ المذكور ، وقرارها الصادر في ٥ من فبراير ١٩٥٢ الذي أكدت في صدره ذلك المبدأ وقررت به أن يشمل كل من الميثاقين الدوليين لحقوق الإنسان حكما ينص على : تمتع الشعوب بالحق في تقرير مصيرها ، وقد صدر هذا القرار التاريخي بأغلبية ستة وثلاثين صوتا ضد اثني عشر صوتا وامتناع ست دول . وتنفيذا للقرار المذكور ، انتهت لجنة حقوق الإنسان في عام ١٩٥٤ من وضع مشروع ميثاقين دوليين : أحدهما خاص بحقوق الإنسان السياسية والمدنية ، والثاني خاص بحقوق الإنسان الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وصدرت اللجنة كلا من المشروعين بمادة أولى تنص على أن : لجميع الشعوب ولجميع الأمم الحق في تقرير مصيرها ... أي الحق في أن تحدد بحرية نظامها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، وعلى أن جميع الدول دون استثناء ملزمة بأن تساهم في تحقيق هذا الحق في جميع أقاليمها وفي احترام ممارسته في الدول الأخرى وفقا لأحكام الميثاق .

وفي ١٦ من ديسمبر ١٩٥٢ وضعت الجمعية العامة قرارا جديدا صدرته بتأكيد أن حق الشعوب والأمم في تقرير مصيرها هو شرط سابق ينبغي تحقيقه لإطلاق تمتع الإنسان بحقوقه الأساسية ، وعقبت على ذلك بتسجيل وجوب اعتراف الدول الأعضاء بذلك الحق ، وبتشجيع تحقيق مزاولته في كل الأقاليم التابعة لها وفقا لمبادئ الميثاق وروحه ، ودعت الجمعية تلك الدول إلى المبادرة باتخاذ



الإجراءات الفعلية ، وبلا إبطاء ، بتحقيق ممارسة حق تقرير المصير في الأقاليم المذكورة ، [illegible] والاستقلال [illegible] حقوق الإنسان [illegible] موضع إعداد توصياتها بشأن الوسائل الكفيلة بضمان احترام الدول لحق تقرير المصير .

وفي ١٢ من ديسمبر ١٩٥٧ أصدرت الجمعية قرارا تاريخيا آخر أكدت فيه بأن إنشاء العلاقات الودية بين الأمم على أساس احترام حق الشعوب في تقرير مصيرها هو أحد أهداف ومبادئ الأمم المتحدة الأساسية ، وأكدت أن عدم احترام هذا الحق يهدد سلامة العلاقات الودية بين الأمم ، كما أكدت التزامها بمقتضى أهداف ومبادئ الأمم المتحدة ، وأعلنت عقيدتها بأن المصلحة الدولية تقتضي الدول الأعضاء أن يلتزموا احترام ذلك الحق وفقا لتلك الأهداف والمبادئ . وقد صدر هذا القرار بأغلبية ٦٥ صوتا بينها صوتا البريطانيين [illegible] الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ولم يعارضه صوت واحد ، وامتنعت ثلاث عشرة دولة عن التصويت . وتجدر الإشارة هنا إلى أن أغلب الدول التي امتنعت عن التصويت فسرت مسلكها بحجة أن هذا الامتناع لا يقصد به معارضة المبادئ التي تضمنها القرار وإنما قصد به عدم تأييد ما انطوى عليه القرار من تفرقة بين الدول المسئولة عن إدارة بعض الأقاليم غير المتمتعة بالاستقلال الذاتي وبين الدول الأخرى . ولا يحتاج [illegible] على مدى صحة هذا الادعاء .

وراء النصوص الصريحة المشار إليها سلفا ، تلك النصوص التي تزيد الأصول التحضيرية التي سبقتها وأدت إليها وضوحا فوق وضوحها ، يبدو جليا أن حق الشعوب في تقرير مصيرها يعتبر ، طبقا لأحكام الميثاق وقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة المفسرة والمكملة لتلك الأحكام ، حقا أساسيا بمعنى الكلمة القانوني .

من الناحية العملية

تلك هي النظرية التي انتهت بنا من دراسة النصوص وتسلسلها وأصولها التحضيرية ، أما من الناحية العملية فالثابت عملا والواقع فعلا أنه منذ استقرار الرأي على إنشاء منظمة دولية تفتح أبوابها لكل الأمم كبيرها وصغيرها ـ وتقوم على أساس مبدأ المساواة بين الشعوب وحقها في تقرير مصيرها ، تحدد الوعي العالمي الشعبي ، فقام بعض المعاهدة الكبرى وعلى رأسها مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها ، تحقيقا لمثل الأمم في الحرية والاستقلال . فلم تكن الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها ، تلك الحرب التي تمخضت عن ميثاق الأمم المتحدة الذي أكد ذلك الحق حتى هبت الشعوب التي حرمت منه تطالب به في كل مكان . وأبدت الحركات القومية الاستقلالية من القوة والتصميم ما أمكنها أن تكتسح كل شيء في طريقها ووضح أن عهد الاستعمار الدولي إلى غير رجعة . فاعترفت بريطانيا العظمى ودعمت بحق تقرير المصير لما يقرب من خمسمائة مليون من البشر تتكون منهم الآن الهند ، وباكستان ، وبورما وسيلان ، وغانا ، وجمايكا ، ونيجيريا ، والملايو .... الخ واعترفت فرنسا بذات الحق لشعوب عديدة كسوريا ولبنان وتونس ومراكش وفيتنام وكمبوديا ولاوس وغانا الفرنسية ... الخ . وهكذا شاهد العالم في بضعة أعوام تحرر شعوب كانت بالأمس القريب خاضعة للنفوذ الإنجليزي أو الفرنسي ، الأمر الذي تبدل معه تبدلا عميقا كيان الامبراطوريتين اللتين شهد القرن التاسع عشر سطوتهما .

كما أن بلادا أخرى عديدة فازت بحقها في تقرير مصيرها نذكر منها اندونيسيا وشرق الأردن وليبيا وسيام والسودان وقبرص والصومال ... الخ . وقد جاء الاعتراف لعدد كبير من هذه البلاد بحق تقرير المصير ثمرة لمناقشات طويلة في الأمم المتحدة التي يعتبر المنبر العالمي في عصرنا خير وسيلة للكشف عن اتجاهاته .

وإزاء ما شاهده العالم أجمع من اشتداد قوة حق الشعوب في تقرير مصيرها وعظم فعاليته وتأثيره على الحياة السياسية العملية للجماعة البشرية ، أضحت دول عريقة في الاستعمار لا تتحرج في دساتيرها صراحة على حق الشعوب

مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها

> [illegible] الجنرال ديجول باسم [illegible] حق الجزائريين [illegible] تقرير المصير

في تقرير مصيرها . من ذلك مطالبة فرنسا في دستورها الصادر في عام ١٩٤٦ ، ثم دستورها الاخير الذي اجرى عليه الاستفتاء في عام ١٩٥٨ والذي عم ذلك الحق المذكور ، بل ان رئيس وزراء فرنسا اضطر في ٩ من يونيو عام ١٩٥٩ الى يصرح في عبارات لا لبس فيها ، ان شرعية وجودنا في الجزائر ، اذا اردنا لها الثبات ، ينبغي ان تقوم على شيئ من رضا اصحاب الشأن .

واخيرا لا آخرا اعلن الجنرال ديجول في ١٦ سبتمبر ١٩٥٩ قراره المعروف الذي اعترف فيه - باسم فرنسا والجمهورية الفرنسية - بحق الجزائريين في تقرير مصيرهم . ولا شك ان هذا القرار ، باعتباره موقفا عمليا ، نصر جديد لحق الشعوب في تقرير مصيرها . وقد تجدر الاشارة في هذا المقام الى ان رئيس الجمهورية الفرنسية القى خطابا في ١١ من نوفمبر ١٩٥٩ جاء فيه مقصده : « ان التغييرات التي لا مناص منها ستتم رغم كل شيء ... ستتم ان لم تقبلها فرنسا ... بالرغم من فرنسا وفي ظروف سيئة بالنسبة لفرنسا » .

تلك بعض مظاهر انتصارات حق الشعوب في تقرير مصيرها . ولئن كانت هناك حالات خطيرة معروفة لايزال هذا الحق مهدرا فيها ، إلا ان الثابت ... ولهذه الحقيقة دلالتها الحاسمة ... ان احدا لا ينكر حق الشعوب في تقرير مصيرها . وحتى الذين ينتهكون هذا الحق بصورة صارخة مفضوحة يريدون الزعم بتمسكهم تمسكا كليا باحترامه .

والخلاصة ان حق تقرير المصير ، ذلك الحق الذي يطالب به الضمير القانوني العالمي منذ قرون ، قد انتهى بان سجل باعتباره حقا بمعنى الكلمة القانوني في صدر ميثاق الامم المتحدة اي في صدر نص من اهم نصوص القانون الدولي الوضعي . ثم اخذ تأكيده بهذا الوصف في صدر المادة ٥٥ من الميثاق ، الامر الذي يضفي عليه الطابع القانوني الذي يميز القواعد الوضعية التي ينظمها القانون الدولي .

ولقد جاءت الجمعية العامة للامم المتحدة ، وهي اهم هيئات المنظمة الدولية لانها اكثر هيئاتها تمثيلا للجماعة الانسانية ، فاكدت بقراراتها التي رجحت الموافقة على اهمها بما يشبه الاجماع وبتأييد كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة - الطابع القانوني الذي تكتسبه تلك الحق .

ومن الامور المحققة انه لا يوجد في العالم الآن دولة ايا كانت قوتها تستطيع ان تجهر بالادعاء بان لها ان تنتقص بالقوة من حقوق اي شعب او ان تمس سيادته بدون رضاه . وليس ادل على صحة ما نسوقه من ان الدول التي تنتهك حقوق الشعوب ، سواء كانت من الغرب ام من الشرق ، تصر على ادعاء المحاباة بهذه المبادىء وعلى الزعم باحترامها .

ذلك ان حق الشعوب في تقرير مصيرها ليس [illegible]

[illegible] المرحلة التي لا تزال بين النصوص المكتسبة بشأن حق الشعوب وبين مزاولة هذا الحق بالصورة الفعلية الكاملة . وقد يكون في الامكان اقامة العقبات بعض الوقت في سبيل هذا التطور الذي لا محيص عنه ، ولكن ليس في الامكان منعه من التقدم .

وتجدر الاشارة هنا الى انه سبق ان كلف مجلس الامم في عصبة الامم - في عام ١٩٢٠ - لجنة دولية من فقهاء القانون الدولي العام بابداء الرأي في النواحي القانونية لمسألة جزر - الآن -

> الدول الأعضاء ملزمة قانونيا بحق كل شعب في حريته وأمنه

وقد عرضت اللجنة في الرأي الذي انتهت به لموضوع ما اذا كان حق الشعوب في تقرير مصيرها يعتبر قاعدة قانونية وضعية من قواعد القانون الدولي العام . وجاء في هذا الرأي مقصده « ولئن كان مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها مبدأ يشغل مكانا هاما في الفكر السياسي الحديث ، وبخاصة منذ الحرب العالمي إلا ان الملاحظة ان هذا المبدأ لم يدرج في ميثاق عصبة الامم . وتسجيل هذا المبدأ في عدد من المعاهدات الدولية لا يكفي لاعتباره قاعدة من قواعد القانون الدولي العام الوضعي » .

ويبدو واضحا من هذا الرأي ان عدم ادماج مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها بين احكام ميثاق عصبة الامم هو الذي دفع لجنة الفقهاء المشار إليها الى ان تحجم - في عام ١٩٢٠ - عن اقرار صفة القانونية الوضعية لذلك المبدأ . ويستنتج من هذا الرأي ذاته ان النص المقرر على الحق المذكور في ميثاق الامم المتحدة ، وهو القانون الدستوري لما يقرب من مجموع دول العالم ، يضفي على ذلك الحق صفة القاعدة الوضعية من قواعد القانون الدولي العام ، ويقع على عاتق الدول الاعضاء بل دول العالم طرا التزام احترامه باعتباره احد المقومات العليا المكونة للتراث القانوني المشترك للامم المتحدة .

ويتبين من العرض المتقدم ، اننا نرى ان مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها قد انتقل على اثر التطورات الاخيرة المتقدم ذكرها ، من وضع المبدأ السياسي الى وضع القاعدة القانونية الملزمة .

وهناك اعتراضات

بيد ان هذا الرأي يثير اعتراضات عدة . وليس خيرا من عرض اهم هذه الاعتراضات عرضا تحليليا لامكان الكشف عن حقيقة الرأي الذي نذهب إليه .

والواقع انه ازاء الاسانيد التي يقوم عليها رأينا ، تقتصر معارضته على اسباب اهمها :

اولا - فقدان الجزاء الذي يضمن احترام حق الشعوب في تقرير مصيرها .

ثانيا - فقدان الصفة الالزامية لقرارات الجمعية العامة للامم المتحدة ، لانها ليست إلا توصيات وليس من شأنها ان تخلق التزامات دولية .

ثالثا - عدم ثبات التطبيق العملي الدولي .

الاعتراض الاول :

يتلخص الاعتراض الاول في احكام ميثاق الميثاق بشأن حق تقرير المصير ، شأنها في ذلك شأن احكام المواد الاخرى الخاصة بحقوق الانسان عامة ، لا تتضمن اي جزاء يكفل احترام الحق المذكور . وعلى ذلك فهي لا تنطوي إلا على

مبادىء يقصد بها مجرد التوجيه ولا تهدف إلا الى رسم المرامى يرجى تحقيقها ، بمعنى انها ليست قواعد قانونية ملزمة للدول الاعضاء . ويقوم هذا الاعتراض على الرأى الذى يذهب إلى ان القانون الوضعى بوجه عام لا يمكن تصوره دون جزاء يكفل احترامه ، وان الجزاء هو العنصر الاساسى الذى يميز القانون الوضعى عن العلوم الاجتماعية وبخاصة علم الاخلاق .

تحليل الاعتراض

وهذا الاعتراض بالنسبة لحق الشعوب فى تقرير مصيرها لا يصمد امام ما يمكن الاستناد اليه من حجج قانونية وتاريخية ومنطقية .

الحجج القانونية :

١ - لا جدال فى ان الاخذ بالرأى المتقدم يقود الى احد امرين هما اما إنكار الطابع الوضعى بالنسبة للقانون الدولى العام عامة وهو امر يكرس الفوضى الدولية ... او إقرار الطابع الوضعى لهذا القانون على اساس ان الحرب هى الجزاء المفروض لاحترامه - وكلا الامرين جد مستطير .

وواضح ان عيب هذا الرأى هو انه يقيم القانون على اساس من القوة ويجعله مرهونا بالضغط الخارجى على الافراد ، وبذلك تتلاشى بهذا الارادة الانسانية والحرية البشرية ، هذا الى انه ، فضلا عن ذلك ، يتعارض مع الواقع الملموس . ويكفى الاشارة هنا إلى ان القوانين الدستورية رغم انها مجردة من الجزاءات تعتبر قوانين وضعية بلا منازع بل انها تعد ، فى الدول الديمقراطية على الاقل ، تعبيرا عن القانون الوضعى الاعلى الذى يسمو على كل القوانين الاخرى . ومن الامور المقررة المعروفة انه يوجد فى جميع فروع القانون وبخاصة فى القانون الدولى العام قواعد ذات صبغة قانونية ملزمة ، رغم عدم النص على اى جزاء لمخالفتها . ورجال القانون يعلمون علم اليقين ان الجزاء ليس عنصرا اساسيا من عناصر الالتزام ، وان القاعدة القانونية يمكن تماما ان تكون قاعدة آمرة على الرغم من انه لم ينص على اية وسيلة قانونية لفرض تنفيذها . وفى هذه الحالة تكون للقاعدة القانونية القوة الالزامية دون القوة التنفيذية . وهذا هو بالضبط الطابع الحقيقى لاحكام الميثاق فى شأن حق الشعوب فى تقرير مصيرها .

وليس ثمة حاجة الى التذكير بأن الالتزام المرتبط بالقاعدة القانونية له ، وفقا للنظر القانونى السائد ، معنى عميق معنوى واجتماعى فضلا عن معناه الشكلى والقانونى . والمقصود بهذا هو ان المخاطبين بالقاعدة القانونية فى عموم يشعرون فى الاعماق فى انفسهم بأنهم اولا وقبل كل شىء ملزمون باحترامها وتطبيقها

كيف أعطت الجمعية العامة ...

تحاجتهم إليها . والحقيقة هى ان الرسالة التشريعية للدولة تتمثل فى اكتشاف الحاجة الاجتماعية وترجمتها وتكريس الطابع الالزامى ، بمعناه الاجتماعى ، للروابط الاجتماعية . ومن المسلم ان الالتزام الاجتماعى ، ينبع من ارادة الجماعة وان تدخلها لا يعبر عن ميلاد الالتزام الوضعى الذى يسبقه عادة الالتزام الاجتماعى بوصفه الاداة الفنية .

وان ... الوضعى ... فى مرجعه القانون الدولى ... سلوك ... نتيجة ... حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، ... الاعتقاد حتما بأن الميثاق يعتبر هذا الحق حقا بمعنى الكلمة القانونية ويشير بالتالى الى التزام قانونى يقع على عاتق الدول .

وبالرجوع الى الاعمال التحضيرية الاولى والخامسة والخمسين اللتين تنصان على حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، نجد ان الصيغة الاولى للمادتين لم تكن تشمل النص على ذلك الحق . على ان تلك الصيغة عدلت فيما بعد لتتضمن النص الصريح عليه . والسر من ذلك ان خلو الصيغة الاولى من النص على الحق قدمت تجنبا لصيغة المعقص استبعدت بعد ذلك النص وان هذا التعديل رفض وانتهى الامر بالتمسك بالنص الحالى زاد الامر وضوحا ، يضاف الى ما تقدم انه جاء فى تقرير اللجنة التى كلفت بدراسة مقدمة الميثاق وبخصوصه الخاصة بأهدافه ومبادئه - وقد كان الدكتور فريد زين الدين رئيسا لها ما نصه : « .... ان مهمة اللجنة كانت تهدف فى تقديم نصوص احكمت دراسة صياغتها من الناحيتين الموضوعية والشكلية .... » وجاء فى موضوع آخر : « ان الفقرة الثانية من المادة الاولى تهدف الى إعلان مساواة الشعوب فى الحقوق وبالتالى حقها فى تقرير مصيرها . ويستتبع ذلك ان المساواة فى الحقوق تنطبق وفقا للميثاق على الدول والامم والشعوب » .

ويبين هذا التقرير المرجد النص المثبت فى صدر الميثاق بشأن حق الشعوب فى تقرير مصيرها ان ذلك الحق هو فى نظر واضعى الميثاق حق بمعنى الكلمة القانونى وليس مبدأ سياسيا فحسب . وغنى عن البيان انه من غير المعقول ان يقال ان استخدام كلمة حق بدلا من كلمة « مبدأ » ، وفى وثيقة قانونية فى اهمية الميثاق ، جاء وليد الصدفة او الغفلة سيما اذا كانت اللجنة التى كلفت بدراسة النص المتضمن هذا اللفظ تؤكد ان مهمتها كانت تهدف الى تقديم نصوص احكمت دراسة صياغتها من الناحيتين الموضوعية والشكلية » .

٢ - اذا صح ان منظمة الامم المتحدة لا تمثل امم العالم بأسره ولا جماعة دولية كلها يصبح يصح تماما وصفها بالهيئة التشريعية الدولية العليا ، فليس مما يقبل الجدل ان ميثاق هذه المنظمة هو قانونها الذى يعلو قوانين الدول الاعضاء على الاقل او على حد قول بعض الفقهاء « القانون الدستورى » لهذه الدول ، الامر الذى يعنى ان الميثاق يعلو اى اتفاق تم عقده فعلا بين الدول الاعضاء او يمكن ان يتم عقده بينها فى المستقبل . وليس الامر امر استنتاج بل ان المادة ١٠٣ من الميثاق تنص على ذلك صراحة .

٣ - تنص المادة ٥٦ من الميثاق على ان « يتعهد جميع الاعضاء بأن يقوموا ، منفردين ومشتركين ، بما يجب عليهم من عمل بالتعاون مع الهيئة لادراك المقاصد المنصوص عليها فى المادة الخامسة والخمسين » . ويبين بوضوح من هذا النص ان المادة المذكورة تؤكد التزام الدول الاعضاء التزاما قانونيا باحترام حق الشعوب فى تقرير مصيرها . ذلك انه مقابل المادة المشار إليها تفرض على الدول المذكورة الالتزام القانونى بأن يقوموا منفردين ومشتركين بالتعاون مع الهيئة لادراك المقاصد المنصوص عليها فى المادة ٥٥ . ولما كان القسم الاساسى المنصوص عليه فى هذه المادة هو إنماء العلاقات الودية والسلمية بين الامم ، فليس من المعقول ولا من المقبول الا يقع على عاتق الدول الاعضاء ذات الالتزام القانونى بالنسبة لحق الشعوب فى تقرير مصيرها الذى تنص المادة ٥٥ ذاتها بأنه اساس انماء تلك العلاقات .

الحجج التاريخية والمنطقية :

ولا تقف كل هذه الاسانيد القانونية التى عرضنها وحدها لتفنيد الاعتراض الذى نحن بصدده ، بل ان ثمة اسانيد تاريخية ، ومنطقية لا تقل قوة عن تلك الاسانيد القانونية .

ذلك ان الحرب العالمية الاخيرة التى بلغ عدد ضحاياها اربعة عشر مليون من القتلى وخمسة واربعون مليونا من الجرحى والاسرى ، تلك الحرب التى اهلكت الحرث والنسل ، كانت ، فيما اكده قادة الحرب والسلم سويا ، حرب تحرير .

مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها

ولقد التزم هؤلاء القادة ، لوكلاء الأمم المتحدة فيما بعد ، بأن يحققوا للأفراد وللشعوب احترام حرياتهم ورغباتهم ، كيف يمكن القول بأن هؤلاء القادة أنفسهم قد قبلوا في سان فرانسيسكو أن تتخذ المنظمة الدولية اجراء من أن يحترموا أو يتنقلوا حسب هواهم تلك الفريقة والرغبة.

إن ممثلي الدول اجتمعوا في سان فرانسيسكو على بناء الصرح الذي لا ريب انه سيظل متين لسلم ثابت دائم ، وكانوا من بادرة اليهم يسودهم الإقتناع الكامل بأن الشرط الأساسي لذلك السلم المنشود هو احترام حرية الأفراد والشعوب وأن النظم الإستعمارية تقود بطبيعتها الى الحروب ، وليس مما يمكن قبوله ، وقد كان هذا الفهم هو السائد بين ممثلي جميع الدول ، أن هؤلاء الممثلين لم يقصدوا الزام الدول بتحقيق ذلك الشرط الأساسي لحفظ السلام وانما أرادوا أن يتركوه للقلائل والاهداف .

ان تكرار النص على حق الشعوب في تقرير مصيرها في الميثاق ، مرة أولى في صدره ومرة أخرى في متنه ، لم يكن من قبيل زخرفة الوثيقة التاريخية القانونية العظمى . كما أنه لم يكن وليد الصدفة ، بل انه عمل مقصود جاء ثمرة للتفكير المتئد والنقاش الطويل أول مؤتمر دولي في فرانسيسكو وبعده ، بل هو جزء من فلسفة التنظيم الدولي الجديد الذي انطوت عليه تجربة النظام القديم وما أفرزته هذه التجربة من تناقض وأدت اليه من مخاطر وكوارث .

الإعتراض الثاني :

لقد كان أحد الأسانيد الهامة التي يقوم عليها رأينا هي أن حق الشعوب القانونية وبصفة ملزمة مؤسس على أن الجمعية العامة للأمم المتحدة أكدت هذا الحق بمعناه القانوني وما يترتب عليه من التزام الدول باحترامه في عدة قرارات لها ، فقد كان متوقعا أن يرد على هذا بإثارة النظر السائد الذي يذهب الى أن تلك القرارات ذاتها ليس لها قوة الالزام .

على أن هذا الإعتراض هو الآخر لا يقوم على أساس صحيح ، ذلك أن الميثاق ذاته لايحدد ما إذا كانت قرارات الجمعية العامة ملزمة أو غير ملزمة ، ولم تجر مناقشات خاصة في سان فرانسيسكو حول هذا الموضوع ، وعلى ذلك لم يقم خلاف فيما يتصل بطبيعة اختصاصات الجمعية العامة وخاصة قراراتها المعبر عنها في الميثاق بكلمة « توصيات » .

ومن المعلوم أن أنصار الرأي القائل بأن قرارات الجمعية ليس لها قوة الالزام يستندون أساسا على حجتين هما :

اولا ـ أن تجرد قرارات الجمعية من القوة الملزمة ينطبق مع ما يقوم عليه نظام المؤسسة من الفصل بين وظائف هيئاتها ، وصروح « والميثاق أوكل ، الذي وكل الى مجلس الأمن مهمة التنفيذ بالقوة لما تملك سلطات من الجماعة الى عدم منح الجمعية أية سلطات فعلية لأداء وظائفها التي تعتبر ثانوية نسبيا بمقارنتها بالوظيفة الأساسية التي انيط بها مجلس الأمن وهي حفظ السلام والأمن الدولي .

ثانيا ـ أن نص الميثاق ذاته يؤيد هذا النظر إذ بينما يتكلم عن قرارات وتوصيات مجلس الأمن وينص على أن قرارات ذلك المجلس قرارات ملزمة (مادة ٢٥) نراه لا يستخدم الا لفظ « توصيات » في المواد المتعلقة بسلطات الجمعية .

تحليل الاعتراض

أما عن الحجة الأولى فانا لنقضها أن نذكر بما سبق أن ... من أن ... التي ... قضايا ... النافعة المعروفة ... التي ... الوسيلة ... الوحيدة ...

... الا ... الميثاق ... المسؤولية ... على ... مجلس الأمن ... الاتفاق بين الأعضاء على ... السلام ... الأمن الدولي ، وهي مهمة لا تقل أهمية عن مهمة مجلس الأمن ، بل ليس في الامكان تصور احدى هاتين المهمتين دون الأخرى .

ويجب الا يغيب عنا أن معظم المسائل السياسية والمتصلة بالأمن ، التي عرضت على الجمعية ، انتهت الى قرارات أصدرتها الجمعية متضمنة أعمالا إيجابية هامة من ناحيتها ، وفي حالات عدة ، لم تكتف الجمعية على التوصية بتدابير بتسوية موقف أو نزاع ، بل تدخلت الجمعية فعلا لانشاء هيئات وكلت اليها مهمة القيام بتحقيقات أو بمراقبة تنفيذ قراراتها ، والأمر بالجمعية أو في العمل الى التوصية بتدابير جماعية بتوقيع الجزاءات ، بل أن الجمعية ولت نفسها سلطات هامة جدا فيما يتصل بمسائل الأمن الجماعي بمقتضى قرارها المعروف رقم ٣٧٧ الذي اصدرته في دورتها الخامسة بتاريخ ٣ من نوفمبر ١٩٥٠ وهو القرار المسمى « الاتحاد لحفظ السلام » والذي كان الغرض الأساسي منه هو استخدام القوة المسلحة الجماعية لحفظ السلام أو لاعادته وبذا حلت الجمعية نفسها محل مجلس الأمن في حالات عجز هذا المجلس عن حسم الأمور ، وبذلك تكون الجمعية قد اتمت منذ دورتها الخامسة ذلك التطور الذي كان متجه بها الى كسب سلطات حقيقية وموازية لسلطات مجلس الأمن .

ولا شك أن القرارات المشار إليها تنطوي على تعديل في نظام المنظمة بشأن سلطات الجمعية في المسائل السياسية والمتصلة بالأمن ، ولكن تعمل أثر هذا التطور ، والواقع أن قرار الجمعية رقم ٣٧٧ الآنف الذكر هو الذي استند عليه تدخل الجمعية في مسألة العدوان الثلاثي على مصر في أكتوبر ١٩٥٦ ، فحين أثر عجز مجلس الأمن عن اتخاذ قرار حاسم في شأن ذلك العدوان بسبب اعتراض المعتدين ، دعيت الجمعية العامة للانعقاد في دورة غير عادية ، وفي نوفمبر ١٩٥٦ اصدرت الجمعية قرارات أدت فعلا الى وقف القتال والى تكوين قوة بوليسية دولية .

واما عن الحجة الثانية التي يستند إليها لاثبات تجرد قرارات الجمعية العامة من القوة الالزامية ، فهي لا تعدو أن تكون رأيا في الموضوع .

ونود أولا وقبل كل شيء أن نذكر أنه ليس صحيحا أن مواد الميثاق المتعلقة بسلطات الجمعية تستخدم كلها لفظ « توصيات » إذ أن المادة الثامنة عشرة الفقرة ١ ، ٢ تستخدم كلمة « قرارات لا كلمة « توصيات » .

ولما كان الميثاق لم يحدد بالدقة مدى اختصاص الجمعية العامة ولا طبيعة وماهية سلطاتها ، فانه سكوت الميثاق عن الضوابط والطريقة الواجبة الاتباع لتحديد اختصاص الجمعية ، وما هي المبادىء التفسيرية التي يتعين التزامها بالنسبة لأحكام الميثاق المتصلة بسلطاتها المختلف عليها ، ولا شك أن الكشف عن القواعد الواجبة الاتباع في تفسير الميثاق يقودنا الى تبين ما إذا كانت القرارات التي اصدرتها الجمعية بصدد حق الشعوب في تقرير مصيرها ذاتها ، وهو موضوع بحثنا ، ملزمة أو غير مقبولة

فالمفهوم أن الميثاق لم يحدد هيئة لتفسير مواده . ولكن اللافت من ناحية أخرى هو أن الاتفاق تم في مؤتمر سان فرانسيسكو على أن تختص كل هيئة بتفسير أحكام الميثاق المتصلة بوظائفها ، ويترتب على ذلك النتيجتان الهامتان على أهمية التاليتان :

١ — أن ليس لمجلس الأمن ، مثلا ، أي اختصاص في شأن تفسير أي حكم من أحكام الميثاق المتعلقة بوظائف الجمعية العامة وطريقة أداء هذه الوظائف . والعكس صحيح ولا شك أن هذا النظر يتمشى مع مبدأ فصل السلطات فصلا تاما بين هاتين السلطتين وعدم وجود أية رقابة من جانب أحدهما على الآخر .

٢ — أن الجمعية العامة تتمتع بسيادة كاملة وسلطة مطلقة فيما يتعلق بضوابط تحديد اختصاصاتها ، وأنها دون غيرها المختصة بتفسير أحكام الميثاق في شأن وظائفها وأساليب أدائها ، وفي حالة الاختلاف على تفسير طبيعة قراراتها ، وبخاصة تلك التي تصدرها الجمعية داخل إطار أهداف ومبادئ المنظمة ، تختص الجمعية وحدها دون غيرها بالبت في الأمر وتكون تفسيرات الجمعية في هذا الصدد وكذلك التدابير التي ترتبها على تلك التفسيرات تفسيرات وتدابير قانونية متى فازت بأغلبية أصوات الأعضاء المقررة بمقتضى الميثاق . وتجدر الإشارة هنا إلى أن محكمة العدل الدولية ليست الهيئة المختصة بتفسير الميثاق ، على أن هذا لا يمنع من أن تطلب إليها الجمعية العامة ، إذا هي رغبت في ذلك وفقا لأحكام المادة ٩٦ من الميثاق ، إبداء الرأي في أية مسألة قانونية . ويكفي الرجوع إلى المناقشات التي دارت في مؤتمر سان فرانسيسكو حول هذا الموضوع لتبين استقرار الرأي على ما نسوقه .

وإزاء هذه المبادئ المقررة في شأن تفسير اختصاصات الجمعية وسلطاتها يبدو من العسير إنكار طابع القوة الملزمة على قرارات الجمعية التي أقرت الجمعية ذاتها إضفاء هذا الطابع عليها ، وبخاصة عندما يصدر هذا القرار بأغلبية كبيرة تكاد تشبه الإجماع ، ويزيد في تأكيد قوة هذا النظر أن الجمعية هي أكثر هيئات المنظمة ممثلة بعدد الدول المختلفة الممثلة فيها ، كما أنها أكثر وأوسع تلك الهيئات تمثيلا للرأي العام العالمي لأنها تضم كل الدول الأعضاء على قدم المساواة .

وبصفة أكثر من ذلك ، وهو أمر له وزنه الكبير ، أن محكمة العدل الدولية اتجهت في إحدى أحكامها الحديثة إلى إقرار الفكرة القائلة بأن إرادة عدد كبير من الدول تلزم الدول الأخرى ، كما أن الفقه الدولي يتجه إلى تشبيه الحالة التي يصدر فيها قرار من الجمعية بأغلبية هامة كبيرة بحالة تصدر قرار جماعي عليها .

الاعتراض الثالث

أما الاعتراض الثالث فيتمثل ، كما سبق أن ذكرنا ، في عدم ثبات التطبيق الدولي في العمل ، لمبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها .

وردنا على هذا الاعتراض يتلخص في أننا أمام أحكام صريحة منصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة ، وهو القانون الدستوري لهذه الأمم ، وأمام أحكام أخرى صريحة أيضا منصوص عليها في قرارات الجمعية العامة للمنظمة الدولية العليا التي تجمع تلك الأمم وتمثلها ، فإذا كان التطبيق الدولي في العمل ليس ثابتا على احترام حق الشعوب في تقرير مصيرها ، فإن ذلك الحق المقرر بمقتضى تلك النصوص التي تكون قواعد قانونية وضعية من قواعد القانون الدولي العام ، فلا نظن أن يكون لهذا إلا معنى واحد هو [illegible] النصوص [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في عالم القانون [illegible] [illegible] العملي على هيئة الأخير [illegible] [illegible] [illegible] كل يوم . ذلك لأن [illegible] [illegible] [illegible] . يضاف إلى ما تقدم أنه مما لا ريب فيه أن نظام الاستعمار قد أصبح فعلا وشيك الزوال تماما في عالمنا الحالي ، والإصرار على بسط السيطرة مطلقة بصورة مباشرة أو غير مباشرة يتعارض مع عقلية هذا الجيل ويثير سخط الضمير العالمي الذي يحمي حق .

واعتقادنا الراسخ أن الحق في طريقه إلى التغلب على رواسب الاتجاهات المنحرفة التي لن تصمد بحال أمام الاقتناع العام بأنها لا تنطوي إلا على التضليل والانحراف .

تلك هي النتائج التي انتهيت إليها ، في القسم الثاني من رسالتي ، من بحث موضوع القوة القانونية الإلزامية التي اكتسبها مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها .

وكان علي أن أبحث في القسم الثالث من الرسالة وسائل وضع ذلك الحق موضع التنفيذ .

وقد عرضت أولا المشاكل التي يصطدم بها تطبيق حق الشعوب في العمل وهي :

أ — تعريف « الشعوب » و « الأمم » أي الجماعات الإنسانية التي تنطبق عليها القاعدة القانونية الدولية موضوع الرسالة .

ب — تعريف « حق تقرير المصير » .

ج — وسائل التعبير عن إرادة الأمم والشعوب في تقرير مصيرها .

د — حكم الفقرة السابعة من المادة الثانية من الميثاق التي تنص على أنه « ليس في الميثاق ما يسوغ للأمم المتحدة أن تتدخل في الشئون التي تكون من صميم السلطان الداخلي لدولة ما ، وليس فيه ما يقتضي الأعضاء أن يعرضوا مثل هذه المسائل لأن تحل بمقتضى أحكام الميثاق ، على أن هذا المبدأ لا يخل بتطبيق تدابير القمع الوارد في الفصل السابع » .

وبعد أن فندت المزاعم التي تثار بسبب تلك المشاكل ، وأوضحت الرأي في حلها ، تناولت بالبحث وسائل التنفيذ التي تشملها مشروع الميثاق الدولي لحقوق الإنسان المدنية والسياسية ، وكذلك نظام الرقابة الذي يفرضه هذا الميثاق والضمانات التي ينطوي عليها لكفالة احترام حق الشعوب في تقرير مصيرها .

وبعد أن أبديت الرأي في أحكام مشروع الميثاق الدولي المنوه عنه ورفضت الطرق الكفيلة بالاقتصار على الموقف السلبي الذي تلتزم بمقتضاه الدول إزاء حق الشعوب في تقرير مصيرها ، خلصت من كل ذلك إلى التنويه بذلك المبدأ الحيوي الذي يجب ألا أن يطويه حق الإنسان لحظة وهو المبدأ الذي يقضي بأنه ليس لأحد أن يقيم من نفسه حكما لاستخلاص حقه بنفسه ، ذلك أن هذا المبدأ المطبق في النظام الداخلي للدول أخذ يسير قدما نحو التطبيق الفعلي في ميدان العلاقات بين الدول ، وآن أن الوقت لأن يطبق المبدأ ذاته في ميدان العلاقات بين الدول من ناحية والشعوب من ناحية أخرى . بل إن منظمة الأمم المتحدة تمارس فعلا على أن تدور بدورها كحكم بين الدول والشعوب ، ولا مراء في أن إصرارها على هذا الدور الذي يفرضه عليها الميثاق تبعه الإضطلاع به ويمنحها سلطة أدائه وفقا لأهدافه ومبادئه ، هو خير وسيلة لتحقيق وحماية حق الشعوب في تقرير مصيرها بصورة عادلة مجردة من الهوى تكفل في آن واحد مصالح الدول والشعوب ذات الشأن ومصالح الجماعة الإنسانية في عمومها .

وليس من شك في أن منظمة الأمم المتحدة أصدرت قراراتها ، وقد تصدر قرارات لا يمكن إقرارها عليها ، ولكن للجماعة البشرية مصلحة كبرى في أن تحيط هذه المنظمة ، وهي ثمرة قرون من التفكير والجهود والتضحيات ، بكل ما يمكن من الاحترام والتأييد ، وإذا كانت هذه المنظمة هي أعلى منظمة دولية ، وهي خير ما بلغته الإنسانية من تنظيم دولي ، فالواجب يقضي بأن نقيم منها محكمة ونجعلها حكما في كل المسائل التي تمس العلاقات الودية والسلمية بين الشعوب التي بين أعضاء الأسرة البشرية .

د. حسن كامل

السحابة الذرية تظلل العالم الإسلامي

د. مهندس مظفر صلاح الدين شعبان — مهندس صلاح الدين شعبان

يعتبر اكتشاف الطاقة الذرية واستثمارها من أعظم الاكتشافات ليس في تاريخ القرن العشرين فحسب وانما في تاريخ البشرية كلها .

ان العصر النووي الذي يعيش فيه الجنس البشري والذي قد يموت فيه سريعا ، بدأ بالنسبة للجماهير بسقوط القنبلة ذرية فوق هيروشيما في ٦ آب (أغسطس) عام ١٩٤٥ ذهب ضحيتها عشرات الالوف من الناس . لقد عدد السلاح النووي المخيف عالم العصر الذي نعيش فيه ومستقبله ، كما ترك الذرة واضحة على العلاقات الدولية وتتضمن السياسة العالمية .

الذره والمجتمع الدولي

لقد كان الانفجار فوق هيروشيما بداية معرفة العالم بوجود العصر الذري وبوجود القنبلة الذرية . ففي تموز (يوليو) ١٩٤٥ كان هتلر قد مات واحتلت المانيا كلها وبقيت اليابان . كان الانهيار النهائي لليابان امرا لا ريب فيه . والتها قام علماء الذرة يعارضون استخدام القنبلة الذرية ضد اليابان ويحذرون الحكومة الامريكية من الاستسلام للوهم القائل بان الولايات المتحدة قد تحتفظ باحتكار السلاح النووي وذكروا باهمية البحوث التي يقوم بها الفيزيائيون الفرنسيون والانكليز والسوفييت . وقد تنبأ العلماء وقالوا بان تفجير القنبلة الذرية سوف يفتح الباب على مصراعيه امام سباق محموم على امتلاك هذا السلاح الرهيب .

الا ان الولايات المتحدة ضربت بهذه الحقائق عرض الحائط ومضت في مخططاتها الموضوعة . ففي ٢٦ تموز فجرت القنبلة الاولى في صحراء الكسباء بعد التجارب ، ثم فجرت القنبلة الثانية فوق هيروشيما ، وبعد ذلك بثلاثة أيام فجرت القنبلة الثالثة فوق نجازاكي وفي اليوم التالي أعلنت اليابان استسلامها ووضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها .

تطورت بحوث الذرة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية لاستخدام الطاقة النووية في [illegible] والصناعة [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] تطوير محركات الغواصة أو السفينة أو محطة التوليد . اما في القنبلة النووية فلا وجود للتفاعل أو ترك الطاقة النووية المتحررة تنطلق بدون قيود محدثة الخراب والدمار .



في عام ١٩٤٥ كانت الولايات المتحدة تتمتع فعلا باحتكار السلاح النووي . ولكن هذا الاحتكار لم يدم طويلا اذ تمكن الاتحاد السوفياتي من تفجير قنبلته النووية الاولى في عام ١٩٤٩ وتلته بريطانيا في عام ١٩٥٢ . وتداعت الدول الكبرى الى تشكيل منظمة الطاقة الذرية الدولية في عام ١٩٥٧ التي انضمت اليها دول المعسكر الشرقي ودول غرب اوروبا والتي لعبت دورا هاما في تشجيع البحوث المتعلقة بالتطبيقات السلمية للطاقة الذرية .

وقد تضمنت الاتفاقات الدولية المعقودة بين الدول المتقدمة حظرا على تفجير القنابل الذرية في الهواء وفي البحر . وكذلك تعهدت الدول بعدم تقديم أية مساعدة لاية دولة قد تستخدم في صناعة القنبلة الذرية وذلك ضمن معاهدة الحد من انتشار الاسلحة النووية التي تم توقيعها في عام ١٩٦٨ . وبناء على هذه الاتفاقات فقد اتخذت العلاقات الدولية اتجاها خاصا متميزا . الا ان الدول الاخرى (ومنها الدول النامية) لم تقنع بابقائها خارج النادي النووي . لذلك سعت الى كسر طوق الاحتكار الذري العالمي . وأول هذه الدول هي فرنسا التي فجرت قنبلتها النووية الاولى في صحراء الجزائر في عام ١٩٦٠ ولحقت بها الصين في عام ١٩٦٤ ثم الهند في عام ١٩٧٤ .

الطاقة النووية تحسم معركة الطاقة

في الستينات نجحت الدول المتقدمة صناعية ، بالاشتراك مع مؤسسة الطاقة



متظاهرون في المانيا الاتحادية ضد برنامج الطاقة الذرية

يبدو ان المارد النووي قد خرج من قمقمه في الشرق الاوسط . لقد بدأت الدول النامية ، وبشكل خاص دول المنطقة ، تشعر ان معاهدة الحد من انتشار الاسلحة النووية تستخدم اكثر فاكثر لفرض الوصايا عليها لمنعها من بلوغ مرحلة الاعتماد على النفس بشكل كلي في مجال التكنلوجيا الذرة حتى في التطبيقات السلمية الصرفة !!

الذرية العالية في اقناع الدول النامية بأن الطاقة النووية تمثل بديلا للنفط المتناقص . وقد وجدت الشركات الصانعة للمفاعلات في الشرق الاوسط بشكل خاص سوقا ملائمة لبيع منتجاتها . وبناء عليه عمدت بعض دول المنطقة الى رسم مخططات طويلة الاجل تحسبا لليوم الذي ينضب فيه معين النفط .

لكن كثيرا من هذه الدول بدأ يعيد النظر في خططه السابقة انطلاقا من ان الطاقة النووية قد لا تكون الحل الملائم لمشكلة الطاقة عندها في المستقبل . وقد ثبت ان تكلفة المفاعلات النووية تزيد كثيرا عما كان متوقعا لها قبلا مثلا . فالمفاعل الذي تبلغ قيمته ٩٠٠ مليون دولار يكلف عمليا اكثر من ٣٠٠٠ مليون دولار وذلك بأخذ المصاريف الاضافية بعين الاعتبار . مثل نفقات الاستشارات الفنية (تقدر بحوالي ٣٧٪ اضافية) والتغذية الاولى بالوقود النووي (٦ - ١٠٪ اضافية) وغيرها .

ولذلك فقد وجدت بعض الدول غير المنتجة للنفط ، مثل تركيا ومصر ، انها غير قادرة على تمويل مفاعلها النووي الاول على الاطلاق . وحتى تلك التي تقدر على ذلك تتساءل الآن عما اذا كان المشروع يستحق المغامرة . وقد قامت حكومة الكويت في العام الماضي بشطب مخططاتها الرامية الى شراء مفاعل تجريبي لان جميع العروض والشروط التي قدمتها الشركات الصانعة للمفاعلات كانت مرتفعة التكلفة جدا . كما الغت حكومة الثورة الايرانية كلية البرنامج النووي الذي كان الرابع في العالم من حيث الحجم والذي اقرر انشاؤه في بوشهر بمساعدة احدى الشركات الالمانية .

اكثر من ذلك فقد ثبت ان المفاعلات المتطورة التي اقترحتها وكالة الطاقة الذرية الدولية في السبعينات غير اقتصادية مطلقا . كما انها غير مناسبة للكثير من الدول النامية بسبب متطلباتها الكبيرة بالنسبة لمعدات متطورة تحتاج لمستوى الصيانة عالية لا تملك هذه البلدان بعد القدرة على انجازها .

يضاف الى ذلك ان دول الشرق الاوسط قد تأثرت بالرأي العام الغربي تجاه الطاقة النووية ، مما اصبح ضروريا التساؤلات التي تطرحها وسائل الاعلام في المنطقة عما اذا كان من الضروري حقا استيراد التكنولوجيا الذرية ، خاصة بعد ان اجتاحت العالم الغربي موجة عارمة من الرفض بعد حادثة التسرب الذري في مفاعل ثري مايلز ايلاند في ٢٨ آذار (مارس) الماضي والتي كادت تنسف ولاية بنسلفانيا الامريكية .

ولعل النقطة الاهم التي تجعل كثيرا من الدول النامية مترددة في دخول هذه التجربة هي شعورها بأن الطاقة النووية قد ترغمها على قبول شروط مجحفة تعطي حقا في الاشراف على المنشآت النووية التي ستشتريها لمن شروط بيع هذه المنشآت ان تبقى خاضعة لاشراف الدولة المصدرة لها . وقد ينتج عن ذلك ان تتحول المنطقة مرة اخرى الى طرف ضعيف في صراع الدول العظمى .

لهذه الاسباب مجتمعة فقدت الطاقة النووية جاذبيتها كمصدر بديل للنفط في الشرق الاوسط . ويرد بعض المراقبين سبب الاهتمام المستمر والمتزايد احيانا في الطاقة النووية حاليا الى الرغبة في الاستفادة من الطاقة النووية في المجالات السياسية والعسكرية . وهناك صلة وثيقة بين الاستثمار السلمي لتلك الطاقة واستثمارها عسكريا ، وذلك ما اثبتت التجربة حين اظهرت ان مسألة التمييز بين الذرة السلمية والذرة العسكرية ليست الا مسألة نظرية بحتة . فالولايات المتحدة اقامت اول مفاعل نووي عام ١٩٤٢ وفجرت قنبلتها الذرية الاولى عام ١٩٤٥ . والهند افتتحت مفاعلها الذري الاول عام ١٩٥٧ وفجرت قنبلتها عام ١٩٧٤ .

ولابد هنا من الاشارة الى عامل هام جدا ، ان معاهدة الحد من انتشار الاسلحة النووية الموقعة من قبل ٨٦ دولة فقط ، والمبرمة في وقت كانت تلك المسألة مسألة سياسية بحتة هي معاهدة جائرة وغير فعالة ، بدليل ان دولا كثيرة رفضت توقيعها ودولا اخرى ابدت تحفظها ووافقت فقط على وضع منشآتها النووية تحت الرقابة الدولية فكان من نتيجة ذلك ان وجدت بعض الدول في بنود تلك المعاهدة التي لا تهدف الا الى فرض وصاية نووية من بعض الدول على الدول الاخرى ، المبررات الكافية لفتح وتطوير اسلحة نووية خاصة بها ، وذلك ما فعلته كل من فرنسا والصين والهند .

واما نقطة هامة اخرى .. لقد شعرت الدول النامية في ظل الحظر المفروض عليها من الدول المتقدمة بضرورة الاعتماد على نفسها . وتشير الدلائل الى تعاظم التنسيق بين الدول الاسلامية وبين الدول النامية ذات الخبرة الاطول في هذا المجال كالهند والباكستان والبرازيل والارجنتين . كذلك تقوم بعض دول الشرق الاوسط بجهود جبارة بغية اكتشاف مصادر محلية لليورانيوم .

موقف باكستان

ان موقف باكستان يسترعي الانتباه بشكل خاص .. نتيجة المفاوضات التي أجريت بين باكستان وكندا في الستينات قامت شركة Canadian Kannypp ببناء مفاعل نووي في باكستان بطاقة ١٢ ميغاواط . وقد بدأ هذا المفاعل عمله في عام ١٩٧٢ . الا أن تفجير الهند قنبلتها النووية تحت الارض بعد سنتين (في عام ١٩٧٤) أعطى برنامج باكستان النووي منحى جديدا . وبموجب هذا البرنامج كانت باكستان قد خططت لبناء ٢٠ مفاعل ذري حتى عام ٢٠٠٠ بمساعدة الحكومة الكندية ، وقد وقعت عقد آخر مع فرنسا لتزويدها بمحطة لاعادة تجهيز الوقود النووي . وهذه المحطة تلزم باستخلاص البلوتونيوم من الفضلات النووية الناتجة في المفاعلات المدنية والعسكرية .

من المعروف ان البلوتونيوم ، وهو عنصر معدني غير موجود في الطبيعة ، يمثل المادة الاولية الرئيسية الضرورية لصناعة القنبلة الذرية حيث يكفي ، حسب تقديرات الخبراء ، ٨ كغ منه لصنع قنبلة ذرية واحدة . وعليه فان البلوتونيوم يتجمع نتيجة تشغيل المفاعلات النووية السلمية . وتؤكد بعض النشرات العلمية ان دولا عديدة ليست الآن نووية - بالمعنى العسكري - ستصبح خلال السنين القليلة القادمة قادرة على انتاج الاسلحة النووية ان رغبت ، وان كمية البلوتونيوم التي ستنتجها خلال العشرين سنة القادمة كافية لصنع الاف القنابل الذرية سنويا .

وهناك مادة أولية أخرى مستعملة في معظم المفاعلات النووية الحديثة ، ويمكن استعمالها في صناعة القنبلة الذرية [illegible]

ومما لا شك فيه ان محطة اعادة تجهيز الوقود النووي التي تعاقدت عليها باكستان مع فرنسا ستؤمن لباكستان القدرة على صناعة القنبلة الذرية .. ولكن من البديهي فقد يكون الدافع الرئيسي لشراء هذه المنشأة هو رغبة باكستان في ان تكون مركزا لنشر التكنولوجيا النووية في منطقة الشرق .

ولكن نتيجة الضغط المركز الشديد الذي مارسته الولايات المتحدة فقد امتنع [illegible] الفرنسي [illegible] . كذلك فقد توقفت كندا - التي كان عليها بناء معظم المفاعلات العشرين الجديدة - عن تنفيذ التزاماتها في عام ١٩٧٦ وذلك عندما رفضت باكستان الموافقة على الاجراءات ثم الرقابة التي فرضتها كندا على البرنامج النووي الباكستاني .

موقف السعودية

في عام ١٩٧٧ صرح الدكتور الفضل الباقي ممثل المملكة العربية السعودية بالوكالة الدولية للطاقة الذرية انه ليست لدى المملكة اية خطة لشراء مفاعلات نووية لانها لا تحتاج الى هذا النوع من مصادر الطاقة . والثابت انه - رغم ذلك - سيتم انشاء لجنة للطاقة الذرية كما سيتم بناء « مركز بحوث نووي قومي كبير متعدد الاغراض » . وقد اعلن في نيسان (ابريل) الماضي عن بعض تفاصيل المركز المزمع انشاؤه بمساهمة شركة تكنواتوم الفرنسية .

ومن البديهي ان يحتوي المركز على مفاعل تجريبي بقصد اجراء البحوث عليه . كذلك سيحتوي المركز على كتلة متخصصة بتكنولوجيا المفاعلات هدفها دراسة اسس التكنولوجيا النووية في المملكة . وسيقوم المركز ايضا بدراسة امكانية بناء سلسلة من المفاعلات التي تهدف الى انتاج الكهرباء وتغذية منشآت ازالة ملوحة مياه البحر بالطاقة على طول شاطئ الخليج العربي والبحر الاحمر . كما سيقوم المركز بدراسة امكانية بناء منشأة لاعادة تجهيز الوقود النووي واخرى لانتاج الماء الثقيل . وتعد العربية السعودية العدة للتنقيب عن اليورانيوم ضمن برنامج واسع



متظاهرون ضد الطاقة الذرية في امريكا على اثر تسرب [illegible] مفاعل بنسلفانيا الذري



محطة الطاقة الذرية بولاية بنسلفانيا [illegible] المفاعل النووي [illegible] في مارس ١٩٧٩

التفاق ، خصوصا بعد ان اعطى النسخ الاول نتائج ايجابيـا مشـجعة من وجود بعض الثغرات .

ولعل ما ابحث خشية المملكة العربيـة السعودية عن التكنولوجيا الذرية ، خصوصا وان ذكر مشكلة الماء الثقيـل يقرب من الاذهان انها في استخدام منشآت اليورانيوم الطبيعي غير المركز ، ربما حتى تتجنب التبعية للولايات المتحدة عند التزود بالوقود الذري المشبع من اليورانيوم الطبيعي ، وقد اتجهت في سبيل ذلك الى كندا ، لكنها قد تسعى الى استخدام تكنولوجيا باكستانية في بناء المفاعلات على الاقل ، وربما تقوم بمحاولة شراء المنشآت الاعلى من فرنسا او المانيا الاتحادية .

موقف العراق

يبدو ان العراق اكثر الدول العربية تقدما في مجال التطور الذري ، ومع ان برنامج العراق الخاص بمفاعلات الطاقة متوسط الحجم الا ان لديه مركزا مع مفاعل للبحوث بانشاء الاتحاد السوفياتي ويعمل بصورة مرضيـة منذ عام ١٩٦٨ . كما انه يبني الآن مركز بحوث اكبر واحدث اشتراه من فرنسا وينتظر استكماله بمفاعل Osirak X الذي تبلغ استطاعته ٧٠ ميغاواط ، وقد تأخر تسليم المفاعل نتيجة للتفجير بسبب عملية تخريبية لنواة المفاعل تمت في فرنسا .

ويتوقع الخبراء الفرنسيون ان يتوصـل العراق الى القنبلة الذرية قريبا ، وقـد استفاد العراق من مفاعل البحوث السوفياتي IRT - 2000 في تأهيل السنوات العشر الماضيـة في تدريب الخبـراء النوويين المحليين .

كذلك فقد اجرى العراق ايضا اتفاقات تعاون في هذا المجال مع بعض دول العالم الثالث وخاصة مع الهند والبرازيل ، ويتكون تقرير حديث بتوقيع اتفاق « سري » يحصل العراق بموجبه على مادة اليورانيوم من البرازيل ، وذلك بعد ان تصبح محطة اعادة استخلاص البلوتونيوم — التي انشأتها المانيا



المفاعل النووي الهندي

الاتحادية الآن بالبرازيل — جاهـزة للاستثمار .

موقف ليبيا

ليبيا كذلك تسعى الى امتلاك السـلاح النووي ، وهي لا تخفي نواياها تلك ، ففي نهاية الستينات حاولت ليبيا شراء اسلحة نووية من الصين ، لكن جهودها لم تكلل بالنجاح ، انما نجحت في تطوير اتفاقاتها [illegible] ، وقد انشئ مركز للبحـوث يضم المفاعل النووية بمساعدة الاتحـاد السوفياتي ، كذلك فقد وقعت ليبيا على اتفاقيات التعاون مع [illegible] والاتحـاد السوفياتي لانشاء محطة نووية ، كما انها تسعى [illegible] [illegible] الدول الغربية [illegible] [illegible] التكنولوجيا من الاوروبيين او السوفيات .

والى نفس الوقت اجرت ليبيا اتصـالات مكثفة بقصد التعاون مع بعض الدول المصدرة الحديثة للتكنولوجيا الذرية ، فقد قامت في عام ١٩٧٤ بتوقيع اتفاقية خاصة بالتنقيب عن اليورانيوم واستخلاصه مع الارجنتين ، وفي عام ١٩٧٦ صرحت الهند انها مستعدة لتزويد ليبيا بمفاعل نووي ، كما انها مستعدة لتشغيل اية منشأة نووية قد تحصل عليها ليبيا من الدول الاخرى .

لكن اهتمام ليبيا الاكبر تركز على اتصالاتها مع باكستان ، فقد قدمت ليبيا لباكستان مساعدات مادية لتمويل انشاء برنامجهـا الذري ، وقـد تكون ذلك مقابل مساعدة تكنولوجية تقدمها باكستان لليبيا ، وقـد ترددت بعض الشائعـات عن اقامة نووية مشتركة باكستانية — ليبيـة تحت الارض بمعمل اختبارها تحت الارض في الصحراء الليبية في الطريق القادم ، وبهذه الطريقة قد تتمكن باكستان من تفادي الاعتراض الى امتلاكها التكنولوجيا النووية دون ان تضطر الى نقض معاهداتها مع كل من فرنسا وكندا ومؤسسة الطاقة الذرية الدولية .

ليس من المستغرب ان تقوم الدول الاسلامية بتركيز جهودها في محاولة لانتاج « القنبلة الاسلامية » بعد ان اصبح امتلاك اسرائيـل للقنبلة الذرية شبه مؤكد ، ولعل اسرائيل قد استفادت في صنع هذه الاسلحة من اعادة استخلاص الوقود النووي في مفاعل البحوث الذي تمتلكه في الاستطاعة ٢٦ ميغاواط الذي يعمل باليورانيوم الطبيعي في مجمع ديمونا الذي لا يخضع لاي تفتيش دولي .

ومن غير المشكوك فيه ان اسرائيل قـد حققت سرية نووية متطورة ، وهي تتعاون في هذا المجال مع النظام العنصري في جنوب افريقيا التي تمتلك احتياطيا كبيـرا من اليورانيوم الطبيعي .

الخاتمـــة

يبدو ان المارد النووي قـد خرج من قمقمه في الشرق الاوسط ، فقد بدات الدول النامية ، وبشكل خاص دول المنطقة ، تشعر ان مساهمة الحد من انتشار الاسلحة النووية ستضمن اكثر فأكثر للرقابة الوصاية عليها لمنعها من بلوغ مرحلة الاعتماد على النفس بشكل كلي في مجال تكنولوجيا الذرة حتى في التطبيقات السلمية الصرفة ، والـدول المتقدمة تساعد الدول النامية بالحد الـذي يبقي هذه الاخيرة تابعة لها بشكل دائم ، ولعل ذلك يدل على ان الدول المصدرة للذرة لا ترغب في مواجهة منافسين لها من زبائنها القدامى في سوق تصـدير بشكل جاد وباستمرار .

وامام محاولات الدول الصناعية هـذه تشعر الدول الاسلاميـة ان اية محاولات لفرض الوصاية عليها من قبل الدول المصدرة للذرة لن يزيدها الا اصرارا على عزمها الاكيد في بناء الصناعات النووية ، وقـد يكون السبيل الامثل في هذا المجال هو توحيـد الموارد النفطية للدول الاسلامية مع تكنولوجيا الذرة المتوفرة في دول العالم الثالث مصـا سيوفر مزيجا متفجرا بقوة الرغبة الى الهدف المنشود .

روكس العزيزي

هزائم ثلاث في حياة خليل مطران

خليل مطران الشاعر المبدع، المجدد الذي خاطبته سنة الف وتسعمئة وسبع وثلاثين ١٩٣٧، حماسيتي لفيلسوف: اريد اليوم ان انصف من نفسي، فانظر اليه شاعرا صادق الرؤية، دقيق الاحساس، كما هو في الحقيقة والواقع...

فمن صدق رؤيته ودقة احساسه ما اوحى به اليه تمثاله، يوم وقف ينظر اليه، بعد ان نصب تكريما له وهو حي، فناجاه وكانه يقرأ صفحة الغيب:

> مثالي، انني ارثي اليك، وان بي رفقا
> بنا اجلي، فيا جذلي،
> ولكن انت قد تبقى
> اطاق عليك ان تحيا
> ومن يحيا ولا يشقى؟

اجل، قبل ان يمر على هذه المناجاة عامان، لبى الخليل نداء ربه، مخلفا حسرة في قلوب عارفي فضله، ومقدري مزاياه، فلقد تفرد الخليل بمزية خاصة به، وهي اجماع القلوب على حبه والاعتراف له بالفضل والسبق – على الرغم من تواضعه الجم – واليك صورة حية من ذلك التواضع المهذب، الذي لا يزدهي، ولا يدعي:

> هائم في الوجود اسائله الوحي
> كما يسأل الفتى الفقير
> اكبروني، ولست اكبر نفسي
> انما في الفن مستفيد صغير
> لا يطيق صبر شاعر بأخيه
> يكره الفضل ان تضيق الصدور

والسماوات لو تأملت فيها
ليس تحصى شموسها والبدور
كان جرم يعلو ويصبح نجما
قله خبر، وفيه يدور
والنجوم التي تلوح وتخفى

زوات، ومنا يصدق الاثر

يمثل هذه المسامحة النفسية والصفاء الروحي، والتواضع الذي لا يسمح له [illegible] ان يتجاوز [illegible] [illegible] التجاوز ومن [illegible] وتجلية [illegible] ولا يتجاوزه ان يقف في وجه غيره الطريق.

واذا نقد الصحاب رايت نقده موضوعيا، لا يلمسه من يقرأ للخليل قراءة متسرعة. فاذا وصف (حافظ ابراهيم) قال: «هو شاعر اللفظ المختار» كان الفاظه در منثور:

> الست اذا تساقتك ابيات حافظ
> حسبت (ابا تمامك) اليوم مقتدا؟

نجده هنا، في قمة البراعة، يشير الى ان هم حافظ ان يقلد (ابا تمام) فيأتي صورة عنه.

واذا مدح (شوقي) قال:

> الست اذا انست من عهدنا سني
> لحكمة شوقي، قلت: حكمة احمدا؟

فشوقي همه ان يقلد المتنبي ويكرر صورة له، ولا يجرؤ احد من اقرانه الشعراء ان يجدد او يبتكر.

شعر عصري

اما الخليل، فيرد على الذين يعيبون تجديده، قائلا – في مقدمة الجزء الاول من ديوانه – قال:

بعض المتعنتين الجامدين من المتنطعين الناقدين:

«ان هذا شعر عصري، وهزوا ان يشتموا!...»

فيا هؤلاء نعم، هذا شعر عصري وفخره انه عصري وله على سابق الشعر مزية زمانه على سالف الدهر.

هذا شعر، ليس ناظمه بعبد، ولا تحمله ضرورات الوزن والقافية على غير قصده، يقال فيه المعنى الصحيح، باللفظ الفصيح، ولا ينظر قائله الى جمال البيت المفرد، ولو انكر جاره، وشاتم اخاه، ودابر المطلع، وقاطع المقطع، وخالف الختام، بل ينظر الى جمال البيت في ذاته، وفي موضعه، والى جملة القصيدة في تركيبها، وفي ترتيبها، وفي تناسق معانيها وتوافقها، مع ندور التصور وغرابة الموضوع ومطابقة كل ذلك للحقيقة، وشفوفه عن الشعور الحر، وتحري دقة الوصف، واستيفائه فيه على قدر».

اجل، لقد كان الخليل مجددا جريئا، لا بل، رائدا في التجديد، رائدا في الشعر المنثور، ومن تجديده الذي يدل على شجاعة ادبية، ليس فوقها شجاعة، خاصة في ذلك الزمن قصيدته (فنجان قهوة) ثورة على تصميم القصيدة العربية، وهي جرأة وتجديد، يسجلان له باعجاب فقد جاء فيها:

> البحر ساج، والسكينة سائدة
> والليل داج، والامينة راقدة

حافظ ابراهيم — احمد شوقي — السلطان عبد الحميد

هـائم في الوجود أسأله الروح كما يسأل الغني الفقير

أدركني وسبحت أكبر بعيني أنا في الحب مستفيد شغفي

غمر الظلام هضابها وجبالها
وقلاعها وصروحها فزالها ،
شبه المحيط المستوي وبقاعه ،
ما لا يرى من نمة وبقاعه ،
لا نجم في الافق المحجب سافر
خلل السحاب ، ولا سراج ساهر
واذا اصاخ الى الجهات مطيف
سمعا ، فلا ركز يمس خفيف
الا خطى شبح ضئيل حائم
كالوهم يسري في مخيلة هائم

ومن تجديده الذي يعد ثورة في عالم الادب — حينذاك — قصيدته في رثاء استاذه المرحوم الشيخ (ابراهيم اليازجي) قال في مطلعها :

اطلق عبرالك من حكم الوزن والقافية
وصعد زفراتك غير مقطعة عروضا ،
ولا محبوسة في نظام

قل وقد نظرت الى الموت وهو قابل عامد

ما توحيه اليك النفس لدى رؤية ابدع الروائع

لا عتب على الحمام هو القلقة والحياة والنور

هو الاصل الازلي الابدي والنور طابث زائل

فاذا ازهر شارق في نعشه ، فهو يكافحها ويتآلفها

الى ان ينقضي سببه ، فيتضاءل ، ثم يتلاشى فيها .

ماذا اعتد من تجديده ؟ فهو محلق في الشعر القصصي ، من ذلك :

أ — الجنين الشهيد — وهي علواء باهرة
الفت مصر تستعطي باعينها النجل
وعرض جمال لا يقاس الى مثل
غريبة هذي الدار بادية الذل
جئت طفلة عن موطن نخصب فضل
الى حيث يروي الذل ماسقة الفضل
— والطفل الضامر والحق الظافر .

ب — ما ولك تهمة (؟) ...
قضية البنات والاخيار
تهدي الى الشعر عن الاشعار

جـ — والطفلة النوبية :

(انصاء) قاتلة لعنوب
شفيفة ، ما لها قرار

وقد بلغ الغاية في الشعر الرمزي من ذلك . قصيدته الساحرة حقا :

١ — مقتل بزرجمهر التي رمز فيها الى استبداد (عبد الحميد) الثاني ، والى فتكه في احرار العرب .

ب — وشيخ الميتة

جـ — اما ملحمة (نيرون) التي هاجم فيها الجور والطغيان ، والنحى على الشعوب التي تستخذي الذل ، وحاول فيها ان يستلف من ومائل الشعر الوحد الروي ، في نظم الملحمة ، كما نظمها (هومر) و (دانتي) و (ميلتون) وقد دافع في مقدمتها النثرية عن الشعر الحديث .

١ — مطلع مقتل (بزرجمهر)

سجدوا لكسرى اذا بدا اجلالا
كسجودهم للشمس اذ تتلالا

٢ — مطلع شيخ (الميتة) :

يا عبرة الدهر جاوزت المدى فينا
حتى لياتف ان ننعاه ماضينا

٣ — اما ملحمة نيرون فمؤلفة من ٣٢٧ ثلثمئة وسبعة وعشرين بيتا من الشعر ، على بحر الرمل ، مطلعها :

ذلك الشعب الذي اتاه نصرا
هو بالسبة من (نيرون) احرى
الى ان يقول
انما يبطش ذو الامر اذا
لم يخف بطشا الاولى ولوه امرا
ويختمها ، بقوله :
كل قوم خالقو (نيرونهم)
(قيصر) قيل له ام قيل (كسرى)

ثلاث هزائم

وعلى كل ما اوتي الخليل من براعة وافية في الشعر ، وتمكن من العلم وسماحة في الخلق ، وذكاء فانه مني بثلاث هزائم كانت سببا رنقا لحياته :

١ — الهزيمة الاولى : هزيمته في الصحافة — فقد استقال من رئاسة تحرير (الاهرام) وانشا (المجلة المصرية) ، وهي مجلة نصف شهرية وقفها على الادب ، لكنه اضطر الى وأدها بعد سنتين ، فانشا جريدة دعاها (الجوائب المصرية) لاقت في مطلع حياتها تشجيعا ، لكنه كان بسرعة اقباله وسرعة ادباره ، يشبه نار الزحفتين في سرعة شبوبها وخمودها ، فما عتم ان تضاءل ، فانقطع ، لان الاقبال على الصحافة — في زمنه — لم يكن مثله اليوم ، اذ كان المورد الوحيد للصحيفة ما يجود به مشاركوها ، فاتفق ان الخليل ارسل مرة جابي الجريدة يطلب بدل المشاركة من احد اصدقاء الخليل ، فماطله ، فلما عاد يطالبه اجاب : « ايه يا اخي هو ده ثمن عيش ؟ » فجاءت كلمة هذا الصديق مع تهديد الوزارة له ومضايقة قانون المطبوعات لتصرفه عن الصحافة ، وهذه هي هزيمة الخليل الاولى ، على الرغم من انه ما خلق ليعترف بهزيمة ، لانه رأى مضايقات قانون المطبوعات

وتهديد الوزارة برجولة لا تعرف الخنوع . فقال يخاطب الوزير :

« انا لا اخاف ، ولا ارجي
فرساي موهبتي . ومرجي
فاذا نبا بي منزل يسر ،
فالمطية بطن لسع
لا قول غير الحق لي
قول ، وهذا النهج نهجي
الوعد ، والايعاد ، ما كانا
لذي طريق قلج

وكان قد هاجم كاتون المطبوعات بقوله في مقطوعة دعاها (مقامعة)

شردوا اخيارها بحرا وبرا
وقتلوا احرارها ، حرا ، فحرا
انما الصالح يبقى صالحا
آخر الدهر ويبقى الشر ، شرا
كسروا الاقلام ، هل تكسيرها
يمنع الايدي ان تنقش صخرا ؟
قطعوا الايدي ، هل تقطيعها
يمنع الاعين ان تنظر شزرا ؟
اطفئوا الاعين ، هل اطفاؤها
يمنع الانفاس ان تصعد زفرا ؟
اخمدوا الانفاس، هذا جهدكم ،
وبه منجاتنا منكم ، فشكرا

لجبل ، وقف الخليل في وجه المضايقات والتهديد ، حتى محاولة اغتياله وهو في فراشه ، وقف في وجه ذلك كله ، جبلا من الشجاعة والاخلاق ، لا يتزعزع ، لكنه فقد عزيمته ، الى حد الانهيار ، يوم رأى احد اصدقائه ينظر اليه ـ مساقيا ـ نظرته الى متسول ، فقرر ان يطلق الصحافة طلاقا بائنا ، لا رجعة فيه ، مع علمه ان الصحافة هي التي توقظ الشعوب ـ اذا كانت حرة ـ وتدافع عن الحقوق ، وتحارب الظلم ؟ ومع انه هو مطبوع على محاربة الظلم والاستبداد ، وبرهاننا على ذلك ، ان زيارته الاهرام مرة ، اوحت اليه بقصيدته الخالدة ، التي قال فيها :

« اني ارى عدد الرمال هاهنا



هومر — دانتي — ملتن

فلانقا تكثر ان تعدا
محنية ظهورهم ، خرس الخطى
كالنمل في مسلكينا مثقا
الا حذي الانفس الهلكي فما
لي في افقان جسدنا مثلما ؟ »

وقد نحب بعض الشعراء الكثير من هذه القصيدة الخالدة .

من الصحافة للتجارة

[illegible]
الصناعة ما خسر في الصحافة ، [illegible] ، فاشتراه الربح بالي بحارت ويضارب ، فخسر كل ما يملك فشعر بخيبة ساحقة ، قادته الى التفكير الجدي في الانتحار ، لكنه عدل عن الانتحار ، لانه رأى فيه ضعفا وجبنا ، فاعتزل الناس مداراة لهمومه والامه ، لكن اصحابه واصدقاءه ، حاولوا ان يعيدوه الى الحياة العامة ، فابى ، واصر على الاعتزال في (عين شمس) وفي (عين شمس) نظم قصيدته الباكية بعنوان (ساعة يأس) ثم بعثها (الاسد الباكي) جاء فيها :

دعوتك استشفي اليك ، فوافني
على غير علم منك انك لي اسي
فان ترني والحزن ملء جوانحي
اداريه، فليقرأه بشري، وانناسي
وكم في فؤادي من جراح خفية
يحجبها بردائي عن اعين الناس
الي (عين شمس) قد لجأت وحليتي
غلالة جو ، لم يدنس بارجاس

اسرى محمودي بانفرادي ، امقنا
مكايد واش او شماتة مساس
ولعل اروع بيت ، يمكن ان يمثل المساق نفسه ، تصويرا عاليا قوله :

« دموعي اتكبس هامتي غير حق
لامة رواد ، وشبهة حيواني »

ولما لاحقه اخوانه ليعيدوه الى الحياة العامة والمجتمع ، نظم قصيدة مؤلفة من اثني عشر بيتا ، جاء فيها :

ولوا القبلة وجهكم ، ودعوني
انا في هواي ، وعزلتي، وجنوني،
عودوا الى البلد الامين وغادروا
بلدا لبعد الناس ، غير امين
عودوا الى حيث التمائم والادى ،
والعيش بين وساوس وظنون
حيث الرذائل في مراقي عزة ،
حيث الفضائل في غلائل هون ..»

لكن اصدقاءه استطاعوا ان ينتزعوه من العزلة، ويعيدوه الى الدنيا ، راضيا مرضيا ، على كل المساوىء التي الحقها بالمدينة فاعتبر كلومها ـ اي كلام اصرار ـ المقابلة الزراعية، وظل في هذا المنصب، الى ان لقي ربه ، وقد كان قانعا بذلك الدخل الزهيد ، بالنسبة الى عملاق مثل مطران .

لقد كانت هذه الهزيمة المالية ، سحقا لنفسه ، وتدميرا لمركزه الاجتماعي ، لان الناس ينظرون الى المال ، نظرتهم الى اله مؤله :

فهو اللسان لمن اراد فصاحة

وهو السلاح، لمن اراد قتالا ..

لكن الافلاس المالي - وما جر عليه من أهوال جعلته يفكر في الانتحار، تفكيرا جديا . كان اقل ايلاما لنفسه وسحقا لقلبه من هزيمته الثالثة - ثالثة الاثافي - اعني هزيمته في الحب، التي صممها له القدر تصميما عبقريا ..

العاشق المهزوم

أسطورة حب الخليل وكيف انهاها القدر ؟

كان أعنف حب استولى على قلب الخليل، وهو ذلك الحب الذي ساقه اليه القدر، بطريقة تكاد ان تكون معجزة - أو اسطورة - كان الخليل مولعا بالرياضة وركوب الخيل، فسقط مرة عن ظهر فرسه سقطة اورثته شلوبيا دائما في اليد . فاذا فاتته الرياضة ذهب الى الروضة يتنزه وبينما هو يتجول في الروضة رأى فتاة رائعة الحسن، فاتنة الجمال مستلقية على اريكة في دلال ساحر، فشعر بانه يكاد يندفع نحوها - على كل ما في طبعه من خجل وعلى ما تفرضه عليه شهرته من ضروب السيطرة على اعصابه - لان الشيء ... وبينما هو يفكر في ذلك اذا القدر يخشيه بصرخة تأتي من الفتاة، فاسرع اليها، واذا نحلة قد لسعتها في وجنتها فاخذ يطارد النحلة، وعاد الى الفتاة يطيّب خاطرها، فشعر أن الفتاة قد انست به ومالت اليه، لانه اهتم بها من دون الناس جميعهم، وقد اعجبها ما رأت فيه من نبل العاطفة وكرم الاخلاق، فتبادلا النظرات والابتسامات، فكانت جلستهما رباطا ربط قلبيهما بأسلاك المحبة . علم انها من (النسا) وانها تتمتع بتذوق أدبي رفيع، وانها تتذوق الشعر الجديد، وتحس بما فيه من نشوة، فنظم لها الخليل بيتين من الشعر في لسعة النحلة هذه قال فيهما

« افتدي من لسعتهـا
نحلـة ، تطلب وردا
ظنت الوجنـة وردا ،
فأتت ترشف شهـدا .. »

فرحت الفتاة بهذين البيتين من الشعر

جان جاك روسو

وردتهما بصوت فيه عذوبة موسيقية سحرت الخليل ... فلما انس منها ذلك، اخذ ورقة وكتب فيها هذين البيتين من الشعر :

مر بها الحسن على كوثه
حلو وقد اغرى بها النحلا
لعلهـا كالزهرة ، فشـحن
نحن سيعشقون بها نحلا

[illegible]

وهي تؤلف بمجموعها ... بعض المفاهيم - سعادة الحب - شكوى الضعفاء - سعدة منشاة - اعتاق ، استرشاد - ليلة سعيدة - الم وحواء - اعتذار - اشعة رشيق - مناجية - تذكار - القسم - عتاب - روحية فسناء - تكذيب النسماء - شقاء الحب - الى حبيب ميت - نغمة وذكرى - الاثر الباقي - المنديل - دمعة على قنينة - كاس - جواب سؤال - شغف وغناء - شكوى

وربما انتهت حكاية العاشقين لكن حبه لم ينته، فقد انتحت حبه وهو يرى عصفورة ، تقرب تمثال (جان جاك روسو) على شجرة تشبه ان تكون من طيور مصر، فنظم قصيدته (من غريب الى عصفورة مغتربة) الفا ان يرسل مثلها في موطنه من كل سام رغبة الى فقيد عزيز في عالم الغيب، وقد جعل مدارها في هذه القصيدة على عصفورة الشقيت عليه، بين ان تكون مجلوبة من مصر للاشجار، أي قاطعة من قواطع الاطيار

يا من شكت الي معي
طيشه في مسمعي
شكواك الطف يلثم
اجراحـه اللوجيـع
سيري وولي صدرك الـ
مشتـاق ، شطـر الربيع ،
حتى اذا مـا جئتـه ،
وشرعت اعذب مشرع
لـي في فـؤاد مهجـة
كالكنـز في المستودع
تخفي الازاهر قبرهـا ،
عن اعيـن المستطلـع ،
قولي له ان جئتـه ،
« يا انس هـذا البلقـع
الحس في هـذا الثرى
خفقـات قلب موجـع ؟
هذا حنين من فـؤاد
مـبلك ، المتفجـع
حملت العوادي جسمه
من قرب هذا المضجـع
فمضى يلحن ما يكون
اخـو الاسى ويـاجـزع

اما قصيدة (المنديل) فلوعة ... اذ وجد الخليل يوما، وهو يقلب ملابسه في سوانه منديلا أبلاه مرور الاعوام عليه، ولم يسلم منه الا الوضع الذي طرز عليه حرفان مشتبكان من اسم حبيبته، فبكى الشاعر وقال :

اعد ايها المنديل ذكرا محببا
وانطق به الطيب الذي هاك معطرا
واطنب بما تحكيه عنها فانه
اذا شاء اطناب حبيك مطنبا
فتلك ذكر الحب انت تعيده
بل العمر اشهى ما يكون وأعذبا
وما بك من نشر ففي القلب مثله
شواه الهدى ومازال طيبا

لزمت صواني خافيا منذ عهدها
كانك سر في الطويه غيبا

الى ان يقول بعد ان صور ما في حياته من الام :

وما زلت يا مثيل (ليلى) ملازمي
تشغلي التذكرى نسيجا مطيبا
اصابك ناب قارض من هم الذي
الى موضع فيه اسمها فتجيبا
وغال فؤادي البين الا بقية
قضى الحب ان احيا بها ، فاعتيا

لقد عاش الخليل سنوات من سنه ١٨٩٧ الى ١٩٠٣ رأى فيها السعادة بحيه ، لانه كان يرى سعادة الحب في وجود الحبيب، فتراه يتمنى لو ان منطادا يحمله هو وحبيبته كل الدهر، بعيدا عن عيون الرقباء ، فقضى بعد موتها عشرين عاما ينظم الاشعار التي تفيض الما وحزنا .

اذا : فموت الحبيبة ، هو هزيمته الثالثة الكبرى ...

مطران مريضا

يحكم القدر بان يعرض الخليل مرضا خطرا ، فينصح له الاطباء بأن يسافر الى (الاسكندرية) ، فيفعل ، فتنشغل عنه الحبيبة بتمريض امها ، فلا هي تقدر ان تفارق امها ، ولا هو يستطيع ان يغادر (الاسكندرية) ليلقاها - وتموت أم الحبيبة في (حلوان) فتخبره انها مسافرة الى (النسا) لعلها تجد بعض العزاء ، فيث الام نفسه في قصيدته الرائعة (المساء) ومنها :

داء الم ، فخلت فيه شفائي
من صبوتي ، فتضاعفت برحائي ،

الى ان يقول :

متفرد بصبابتي، متفرد بـ
كآبتي، متفرد بعنائي
شاك الى البحر اضطراب خواطري ،
فيجيبني برياحه الهوجاء ،
ثاو على صخر اصم وليت لي
قلبا ، كهذي الصخرة الصماء



ينتابها موج ، كموج مكارهي ،
ويفتها كالسقم في اعضائي
والبحر خفاق الجوانب ضائق
كمدا كصدري ساعة الامساء
تغشى البرية كدرة وكأنها
صعدت الى عيني من أحشائي

الى ان يتناول بيوت الطبيعة في لحظات الغروب ، ويجسدها في قصيدة جو الالم قائلا

يا للغروب وما به من عبرة
للمستهام ! وعبرة للرائي
او ليس نزعا للنهار وصرعة
للشمس بين جنازة الاضواء ؟
او ليس طمسا لليقين ومبعثا
للشك بين غلائل الظلماء ؟

في هذه القصيدة الساحرة ، صور الخليل نفسه مندمجا بالطبيعة كل الاندماج .

اذا ، فهذه هزائم ثلاث ، مني بها الخليل العظيم ، الاولى جعلته يشك في قيمة الصداقة ، الثانية جعلته يغير نظرته الى المجتمع الذي لا يمجد الا المال ، والثالثة جعلته يكفر بالطب وبالاطباء الذين لم يستطيعوا ان يردوا غائلة الموت عن حبيبته ، ويرى في الطب شعوذة ، وفي الاطباء دجالين :

قد كنت الطب ، والطبيب الا
انهما علتان للبشر
مشعوذ ، طائف بشعوذة ،
اصبر في عقله ، وفي البصر
يعمل بلورة ليدرك ما
تدركه من مجرد النظر

اجل ، هكذا انتهى الخليل من حياته بمرارة الافلاس ، في الصداقة وفي التجارة ، وفي الحب ، ولم يغن عنه تفوقه في عالم الشعر، ولا تجديده ولا عبقريته ، ولا سبقه لزمانه ، فحق له ان يلخص لنا حكمته في الحياة ، وكثيرا ما تكون الحكمة بنت الهزيمة، قال :

- ان العمل اعظم نعم الحياة
- وان الحياة ولعب لا متاع
- وان التشاؤم يثبط الهمم ويمنع الابتكار ويبعد عن الخير
- كان ينصح للناس ان يحبوا الحياة ، حب من يحاول ان يأخذ منها خير ما فيها ، لا حب الطامع في الاستزادة منها .

●●

يحق لنا بعد ان عرضنا لهزائم الخليل ، ان نقرر انه انتصر أعظم انتصار في :

تجديده للشعر العربي من غير ان يفرط في رصانة الاسلوب وجزالة اللفظ ، وعمق المعاني " انه كان الفارس المجلي في الوصف، وبرهانه هو :

قصيدته (تذكار حبي)

وقصيدته (الاهرام) التي اغار عليها كثير من الشعراء ، ونهبوا منها ما اشاع لهم حسن الذكر ، وطيب الاحدوثة .

انه طوع الشعر العربي للقصة .

انه رائد الشعر الابداعي .

انه لم يتلون في مبادئه .

انه لم يحاول ان يهجم على شاعر وان حاول كثيرون ان يهبروا ويهجموا عليه .

روكس العزيزي

STATE OF QATAR
MINISTRY OF ELECTRICITY AND WATER
ELECTRICITY DEPARTMENT
DOHA

TO ALL CONSUMERS

The Electricity Department has issued Identity Cards to its staff working as Meter Readers, Bill Collectors, Electricians, etc. who have to visit consumers' premises to perform their duties. They have strict instructions to carry their Identity Cards at all times and to show the Card on request.

All consumers are, therefore, requested to note the following details to ensure that each Identity Card is valid or for reference/complaints if any:

a) Check likeness to photograph.

b) Check the Arabic year of the Card (validity current year only)

c) Employee's number.

Please insist on seeing an Identity Card before allowing any employee of this Department to enter your home because we can accept no responsibility for imposters claiming to be working for us. Please ensure that the identity card is authentic and has been signed by the Engineer & Manager.

ELECTRICITY DEPARTMENT

دولـــة قطـر
وزارة الكهربـــاء والمـــاء
ادارة الكهربـــاء
الدوحـــة

الى السادة المستهلكين :

تعلن ادارة الكهرباء للسادة مستهلكي التيار الكهربائي

انها اصدرت بطاقات شخصية جديدة معتمدة للموظفين

الذين يتعاملون مع السادة المستهلكين في مساكنهم مثل قارئي العدادات ومحصـــلي رسوم الاستهلاك الكهربائي والكهربائيين . وقد تم التنبيه عليهم مشددا بضرورة حمل هذه البطاقات دائما اثناء تادية اعمالهم وابرازها للسادة المستهلكين عند طلبها منهم .

وعلى السادة المستهلكين ضرورة طلب البطاقة الشخصية من موظفي ادارة الكهرباء للتحقق من تاريخ صلاحيتها للاشارة اليها في حالة تقديم اي استفسار او شكوى مع ضرورة التاكد من :-

١ - ان الشخص الموجود لديهم هو صاحب الصـــورة الملصقة على البطاقة الشخصية .

٢ - تاريخ السنة الهجرية مكتوب بخط عريض على البطاقة الشخصية . علما بان مدة الصلاحية سنة واحدة فقـــط .

٣ - رقم الموظف وهو مدون باللغتـــين العربيـــة والانجليزية .

واذ تؤكد ادارة الكهرباء السادة المستهلكين وتحثهم على ضرورة طلب البطـــاقة الشخصية من موظفي ادارة الكهرباء قبل السماح لهم بدخول السكن لاداء واجبهم . فانها تعلن عدم مسؤوليتها ازاء الاشخاص الذين ينتحلون صفة موظفي ادارة الكهرباء بدون وجـــه حق والذين لا يحملون بطاقات شخصية معتمدة بخاتم الادارة الرسمي وتوقيع مهندس ومدير ادارة الكهرباء .

ادارة الكهرباء



أفغانستان
الأرض والناس والأحداث

أفغانستان : هذا الاسم الذي شد انتباه العالم كله ، وردده أجهزة الاعلام ، في شرق وغرب ، وأصبح حديث المجالس الخاصة والهيئات العالمية العامة ، وعناوين الصحف ، وخطب المنابر ، وتحليلات المفكر ... ما شأنه ؟ وما خطبه ؟ !

ولعله من الضرورة ونحن نتعرف عليه أن ندلف إليه من بوابته الصحيحة والعتيدة بوابة التاريخ ، ولن نمكث طويلا في رحاب هذا التاريخ ، بل نمسك بالخيط من أوله ، وندرج على الطريق كذلك من أوله .

أم البلاد

لقد عرفناه ، وعرفه العالم باسم (أفغانستان) ، ويعني هذا الاسم أرض الافغان .

وأرض الافغان هذه تمثلها الآن دولة حبيسة في (وسط آسيا) لها في التاريخ القديم صفحات طويلة ، ولها في التاريخ الاسلامي صفحات كذلك ولكنها مجيدة ، ولها في التاريخ الحديث صفحات عصيبة ودامية .

كانت في التاريخ القديم تعرف باسم (اريانا) وتعني ـ النبيد أو النبيل ـ و (اريانا) هذه في نظر المؤرخين مهد الأرية والاريين الذين هاجروا إليها من سهول تركستان الغربية ، واستقروا بها وتحولوا بمرور الزمن من حياة الرعي والارتحال إلى حياة الزراعة والاستقرار ، وبناء القرى وتعميرها حتى تم لهم بناء تلك المدينة التي تسميها كثيرا في كتب التاريخ باسم (بلخ) ، والتي عرفها العرب باسم (أم البلاد) وتقع الآن في مقاطعة (مزار شريف) شمالي أفغانستان .

وفي الوقت الذي كانت فيه (مصر) قد بلغت قمة مجدها على ضفاف النيل كانت (اريانا) تقيم بناء حضارتها الفريدة في ذلك الجزء من العالم .

كما كانت كذلك (المهد) الأول للعقيدة الهندوكية التي هاجرت منها إلى الهند .

وكانت بهذا كله حلقة الوصل والرباط الوثيق بين حضارة الصين وحضارتي الفرات والنيل ، عبر هذا الطريق الهام الذي عرف في التاريخ باسم (طريق الحرير) .

وهي بهذا كانت همزة الوصل بين الحضارتين الاسيوية والافريقية ، ومنها هاجر بعض القبائل (الآرية) فاتجه شرقا وعمر سهول الهند الشمالية ، واتجه بعضها غربا فعمر شمال فارس ، وشمال العراق ، وواصل البعض منها هجرته حتى سهول أوربا الشمالي .

ثم انها انسحبت صفحات التاريخ لها وهو سيل من الاسكندر اليها غازيا ومحاولا اتخاذها مقرا له فلم تكن له بقرار .

الأمل المنشود

وجاء تاريخها الطويل والمجيد ـ وهو التاريخ الاسلامي ـ وذلك من يوم دخلها



- أرض الأفغان تمثلها الآثار [illegible] في التاريخ القديم صفحات طويلة
- آريانا في نظر المؤرخين [illegible] الذين هاجروا إليها
- عندما حلت خراسان [illegible] شعوب العالم الإسلامي
- الإمام أبو حنيفة [illegible] إلى كابول ... وقد اعتنق جده الإسلام

الاسلام على أيدي الفاتحين المسلمين وكانت وقتذاك في عهد آخر الاكاسرة (يزدجرد) . وكانت اذ ذاك تمثل منطقة واسعة في شرق الامبراطورية الفارسية تسمى (خراسان) ، وعاصمتها (مرو) وتضم (نيسابور) ، وهراة ، وبلخ ، وطالقان) وغيرها

وقد وصل إليها الفاتحون المسلمون بعد أن تتابعت فتوحهم في اقليم (فارس) ، واتجهوا إليها في اتجاههم من (فارس) نحو الشمال الشرقي ، فدخلها القائد (الأحنف بن قيس) ، وافتتح (هراة) ، ثم تابع مسيره إلى (مرو) وغيرها . ثم جاء بعده القواد المسلمون يطرقون أبواب (كابول) وأخذت عمليات الفتح منهم وقتا حتى كان عام ٩٤ هـ تم فتح (كابول) على يد القائد المسلم (قتيبة بن مسلم الباهلي) في عهد الخليفة (الوليد بن عبد الملك) الأموي . وقد عرفت (أفغانستان) في العصر الاسلامي وتاريخه باسم (خراسان) — أي (أرض الشمس) وكانت بحكم موقعها ملتقى الفكر الشرقي الوافد عليها من الشرق الاقصى والفكر الغربي الوافد عليها من الشرق الاوسط

فلما برع فيها نور الاسلام رأت فيه الأمل المنشود لبناء نهضتها الاجتماعية والسياسية .

ودخلت (خراسان) التاريخ الاسلامي ، وارتبطت بشعوب العالم الاسلامي ودوله وقدمت الكثير في بناء ثقافته وحضارته ؛ فكان منها الجند الذين حملوا رايات الاسلام وشرقوا بها وغربوا ، وكان منها الائمة الأعلام الذين أثروا الفكر الاسلامي والحضارة الاسلامية بالعطاء الثري في كل ميادين العلم والمعرفة .

فقد نبت فيها وعلى ارضها أئمة أعلام وفقهاء أجلاء منهم

الامام أبو حنيفة النعمان وينتسب إلى (كابول) ، وقد اعتنق جده الاسلام عند فتح المسلمين لها ؛

والامام أحمد بن حنبل ، وقد ولد بمدينة (مرو) ، ومنهم الائمة البخاري ، والترمذي ، وأبو داود ، ومنهم الرازي ، والسجاوندي ، والزمخشري ؛

بل في كل جوانب المعرفة الاسلامية نلتقي بأعلام فيها منهم : الغزالي ، وابن سيناء والفارابي ، والبيروني ، وجابر بن حيان ، والجورجاني ، وابراهيم بن أدهم ، والسكاكي ، والتفتازاني ، والنسفي ، وجلال الدين الدواني ، ثم جمال الدين الافغاني ؛ وقد بلغت (خراسان) في القرن الثامن للهجرة مبلغا نافست به مركز الخلافة الاسلامية في زعامة المسلمين ونشر الفكر الاسلامي في العالم .

زنزانة جغرافية

ثم كان تاريخها الحديث ، ولقد كانت قد

- يوجد في أفغانستان بعض الجيوب الصغيرة من الهندوس واليهود والزرادشت
- الوضع الاستراتيجي لأفغانستان له مستأثير على العالم كله



الإسكندر المقدوني — الرازي



ابن سيناء



الفارابي





جابر بن حيان



جمال الدين الأفغاني

عرفت في القديم باسم (اريانا) ، وعرفت في العصور الاسلامية باسم (خراسان) ، نسبة الى إقليم (خراسان) في شمالها ، فانها في العصر الحديث عرفت باسم (افغانستان) نسبة الى قبائل الافغان التي كانت تعيش في جزء منها ، وقد اطلق عليها هذا الاسم ، وعرفت به منذ أواسط القرن الثاني عشر الهجري ، الثامن عشر الميلادي ، ودخلت التاريخ الحديث ، وتعرف الدول عليها ، وعلى احداثها اليوم بهذا الاسم (افغانستان) .

فأين هي في تاريخها الحديث ؟
وأين هي من خريطة الارض ؟
وأين هي من خريطة الاحداث ؟

هي قطر داخلي يقع في أواسط آسيا حبيس بموقعه أشبه ما يكون بزنزانة جغرافية ـ تبلغ مساحتها قرابة ٦٥٠ الف كم مربع ، في شكل بيضاوي غير منتظم ، وتشترك مع جارات لها في الحدود من شتى الجهات :

فالقادم إليها من جهة (إيران) يدخلها من جهتها الغربية إذ هي تشغل القسم الشمالي الشرقي من هضبة إيران ، ولعله يتبادر الى الذهن من كلمة (هضبة) معنى الارتفاع وهو كذلك ، إلا أنك إذا مضيت قدما من غربها إلى شرقها فسوف تظل ترتقي هضابا وجبالا ومرتفعات كأنك تصعد الى السماء في سلسلة من المرتفعات الجبلية الشاهقة والمعقدة ، التقى فيها بسلاسل جبال (الهملايا) حيث تعرف هذه الجبال في الجزء الشمالي الشرقي من افغانستان باسم جبال (هندوكوش) ـ اى جبال الانهار ـ وهي كاسمها منبع كثير من الأنهار ، ويبلغ ارتفاع قممها الى حد ٧٠٠٠ سبعة الاف متر ولهذا اطلق عليها سقف الأرض وجبال الانهار ، هذه تظل تمتد شرقا في

شموخها إلى الشمال من افغانستان ، كما تمتد من الجنوب الشرقي كتلة أخرى متشابكة في مقاطعتي (كابول ونورستان) ؛ ثم إن (افغانستان) في شرقها حيث جبال هندوكوش اكثر ارتفاعا منها في غربها حيث جبال (باراپا ميسوس) ـ ماقبل الدامير ـ كما تنتشر في شتى انحائها الجبال والمرتفعات المشهورة (كوه بابا) و ([illegible]) و (كوه سفيد) متخللة سلاسل جبلية شبيهة من الشرق الى الغرب [illegible]

[illegible]

الأماكن للزراعة والتجمع العمراني ومن هنا كانت أهمية مدن (كابول ، وهراة ، وقندهار) بمواقعها الطبيعية التي اتاحت لها خصوبة وعمرانا قديما وحديثا .

وينحدر سطح الاقليم انحدارا شديدا في شمال هندوكوش نحو وادي (جيحون) حيث نلتقي هناك بهذا النهر الشهير نهر (جيحون) ـ آمو ـ الذي ينبع من جبال هندوكوش وقمة البامير ، يمر بمقاطعتي (قطغن وبزار شريف) في شمال افغانستان ثم يتجه إلى الشمال حيث يصب في بحر ارال ...

وإذ قد وصلنا مع نهر (جيحون) إلى شمال افغانستان فاننا سوف نجد هذا النهر هو الفاصل بين افغانستان في شمالها وبين الاتحاد السوفيتي في جنوبه

اي في شمالها تشترك مع جنوب الاتحاد السوفيتي في حدود مشتركة بطول ٢٠٠٠ كم ، حيث الجمهوريات الاسلامية التابعة لهذا الاتحاد وهي جمهوريات (تركمانستان ، ازبكستان ، طاجكستان) ، ونتابع سيرنا مع الحدود من الشرق الى اقصى الشمال الشرقي حيث نجدها هناك تشترك مع الصين في الحدود .

ومن الشمال الى الشرق حيث تشترك مع اقليم (جامو) وكشمير ثم باكستان وتستمر حدودها المشتركة مع باكستان من الشرق الى الجنوب على امتداد ١٦٠٠ كم تقريبا . هي إذن تطل من غربها على إيران ومن شرقها على الصين ، ومن شمالها على جنوب الاتحاد السوفيتي ـ الجمهوريات الاسلامية فيه ومن جنوبها على باكستان



الثوار يحملون السلاح في افغانستان



موقع افغانستان بين دول المنطقة

● نتحدث ونتساءل: هل هذه الأحداث كانت مفاجأة للعالم؟
● أم أنها كانت نتيجة مخاض طويل تولدت عنه تلك الولادة العسيرة؟!

نور محمد الطرقي

حفيظ الله أمين



بابرك كارمال



بريجنيف



دروبا يصور خيبر .

ومن هنا كانت الاهمية الاستراتيجية لافغانستان ، وموقعها وإطلالها على هذه القارات ، وهذه الطبيعة الجبلية والاستراتيجية تلقي الضوء ، والاثر الواضح على تاريخها وأحداثها قديما وحديثا .

شعب الافغان

ومن الطبيعة الجغرافية الى الطبيعة البشرية حيث نجد مجموعات من القبائل في في وحداتها وتعددها تعد اكبر تجمع قبلي في العالم اليوم .

وقد تكونوا على مدى التاريخ الطويل متجمعين من عناصر هندية ، وأوربية وإيرانية ، وغيرها من عناصر وسط آسيا .

ووفدت عليهم واختلطت بهم عناصر عربية من الجنوب وظهر التجديد في القرن السابع الميلادي مع الفتوحات الاسلامية .

ثم جاء من بعدهم الاتراك من الشمال ، وتبعهم المغول في القرن الثالث عشر الميلادي ، ثم العناصر التركية المغولية في القرن الخامس عشر الميلادي .

هذه العناصر كلها مختلطة في شعب واحد ، او متميزة في مجموعات قبلية هي ما يشكل الآن شعب الافغان في تعداد يقارب



احد الغزاة السوفيت

المصريين طبيعيا يدينون بالاسلام إذ ان منهم ٩٩٪ مسلمين منهم ٨٠٪ سنيون ، ومعظم الباقي من الشيعة في جماعات (الهزارا والتاجيك) المسلمين .

ومن الشيعة طائفة قليلة تنتمي الى الطائفة الاسماعيلية .

كما انه يوجد في افغانستان بعض [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ويسكنون أيضا معظم المنطقة الواقعة جنوب [illegible]

أسرة قوية الى مجموعتين [illegible] (الدورانيون و الغلزائيون) ولكل مجموعة قبائلها وبطونها ويشتغلون بالرعي متجولين ، وبالزراعة مستقرين ، ولهم عاداتهم ونظمهم الخاصة ، وهم يتكلمون لغة (البشتو) ، ومنها : (التاجيك) وهم من عناصر إيرانية ، ويمثلون ٢٥٪ من السكان ، ومعظمهم زراع ، وتجار ، وصناع ، وهم مسلمون سنيون يتكلمون اللغة الفارسية ، وينتشرون في مختلف أجزاء البلاد ومنهم قلة جبليون يشغلون الأودية العليا في اقليم (بادخشان) .

ومنها (الهزارا) حوالي ٤٪ من السكان وهم من الزراع والرعاة الذين انحدروا من المغول ، ويتركزون في السلاسل الجبلية بجنوب وسط افغانستان وهم من الشيعة ، ومنها (الأوزبك) ويمثلون ٥٪ من السكان وهم سنيون ، وهناك غير هؤلاء عناصر أخرى مثل (البالوشيين) في الجنوب ، و (التوريين) في الشمال هؤلاء الذين كانوا يسمون (الكافير) وتحولوا الى الاسلام في نهاية القرن التاسع عشر وسموا بالنوريين .

ومع (لغة البشتو واللغة الفارسية) ــ وهما اللغتان الرسميتان في البلاد ــ تسود اللغة العربية التي دخلت افغانستان مع الاسلام في القرن الاول والقرن الثاني للهجرة ، ومنذ ذلك الحين وهم يعتزون بها تدينا وتعلما ، كما دخلت في كيان اللغتين (البشتو والفارسية) بنسبة تجاوز الاربعين في المائة .

قوى الصراع

ومع الاحداث نلتقي ونمضي .

والحديث عن افغانستان وأحداثها الآن يشغل العالم كله ، ولموضعها الاستراتيجي تأثير كبير ليس على منطقة وسط آسيا فحسب بل على العالم كله ، وربما ــ في نظر بعض المحللين ــ تكون بأحداثها الراهنة منطقة خطرا يغير مجرى التاريخ .

ويتساءل : هل هذه الأحداث كانت مفاجأة للعالم ؟

أم انها كانت نتيجة مخاض طويل تولدت عنه تلك الولادة العسيرة ؟

ويمثل ما شدت افغانستان انتباه العالم الآن بأحداثها وموقعها من قوى الصراع العالمي (روسيا وأمريكا) فانها شدت انتباهه كذلك في القرن الماضي وموقعها كذلك من قوى الصراع العالمي آنذاك (الانجليز والروس) ، وطالما جهدت كل منها في السيطرة عليها بشتى الوسائل ، فروسيا القيصرية حاولت السيطرة على الشمال ومثلث ... والامبراطورية العظمى ــ آنذاك ــ حاولت السيطرة على الجنوب من مربضها في الهند وتكلفت الكثير ودفعت الثمن الغالي ، ذلك انها بجهد المستميت وصلت الى العاصمة (كابول) ... ولم يستقر لها قرار ، فقد خاضت هناك على ارض افغانستان ثلاث حروب دموية طاحنة كانت محصلتها كالآتي :

الحرب الأولى (١٨٣٨ ــ ١٨٤٢ م) وفيها فقدت بريطانيا جيشا بأكمله وتحولت (كابول) إلى مقبرة لاكثر من ١٦ الفا من الغزاة عسكريين ومدنيين من الانجليز .

الحرب الثانية : (١٨٧٨ ــ ١٨٨١ م) ومنيت فيها بريطانيا بخسائر فادحة وهزائم منكرة .

علاقات أفغانستان الودية والإخاء الإسلامي مع الغرب على مدى التاريخ الطويل أريد لها الآن أن توضع في أتون الأحداث فتكالبت عليها قوى الصراع الدولي

الحرب الثالثة (١٩١٩ م) وانتهت بإعطاء أفغانستان استقلالها التام في عهد ملكها (محمد نادر شاه) بعد أن لقنت بريطانيا فيها درسا لا ينسى .

وكان يحكم (أفغانستان) في تلك المرحلة أسرة (محمد زائي) التي ينتمي إليها (محمد نادر شاه) الذي تمكن من حكم أفغانستان على أثر فتنة داخلية تسمى فتنة (بجة سقا) وبايعه الشعب ملكا تقديرا لجهوده في القضاء على تلك الفتنة ، ثم استشهد عام (١٩٣٣ م) .

وبايع الشعب ابنه (محمد ظاهر شاه) ملكا على البلاد وظل في الحكم حتى عام ١٩٧٣ م ....

وقد اجتازت (أفغانستان) فترة الحرب العالمية الأولى ، ثم فترة ما بين الحربين ثم فترة الحرب العالمية الثانية في حياد تام ، وكانت بذلك أول دولة آسيوية عرفت طريقها إلى الحياد وتمسكت به خلال تلك المراحل العصيبة من التاريخ الحديث .

ويضرب المثل الرائع في العلاقات الدولية رغم أنها تجاور مناطق الاحتكاك وتعايش التناحر من حولها فقد كانت وما زالت تجاور أكبر دولتين من دول المعسكر الشرقي (الاتحاد السوفيتي والصين) ، واحتفظت بعلاقات ودية مع كل منهما ، كما أنها لم تدخل معهما ولا مع المعسكر الغربي (الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا) في علاقات عسكرية .

ولم تدخل مع جارتيها (إيران وباكستان) في أحلاف عسكرية .

بداية الأحداث

وظلت على مدى التاريخ الطويل تحتفظ مع الغرب بعلاقات الود والإخاء الإسلامي ، ثم أريد لها أن توضع في أتون الأحداث ...

وتكالبت عليها قوى الصراع الدولي .

ذلك أنه في أثناء حكم الملك (محمد ظاهر) بدأت تظهر قوى معارضة (يسارية) وأصبحت تشكل تهديدا للوضع الراهن آنذاك ، وكانت المبادرة بالإسراع بضرب هذه الاتجاهات قبل الانتخابات التي كان مقررا لها عام ١٩٧٢ ميلادية .

وتوالت الأحداث ...

فقد تولى الجنرال (محمد داود) ... ابن عم الملك (محمد ظاهر) وصهره ... منصب رئيس الوزراء من عام ١٩٥٣ إلى عام ١٩٦٣ م واستولى على السلطة عام ١٩٧٣ .

وواجه خلال حكمه العديد من المشاكل والصعوبات والمؤامرات التي انتهت





من تلك المناطق بدأت المعارك

بالانقلاب عليه كنتيجة متوقعة وغير مفاجئة لأحد في ٢٧ إبريل ١٩٧٨ م وقتل فيه (محمد داود) .

واستولى على السلطة ائتلاف (خلق ـ بارشام) ممثلا في مجلس ثوري ، وتحولت أفغانستان إلى (جمهورية ديمقراطية) على رأسها (نور الدين تراقي) الذي اختير رئيسا لمجلس الثورة .

وكان (نور الدين تراقي) ممن تلقوا تعليمهم في جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة ، وكان قبل أن يصل إلى السلطة يشغل منصب ملحق ثقافي في سفارة مملكة أفغانستان بواشنطن .

وحاول (تراقي) في عهده أن يدعم سلطته ببعض العناصر ويسحق الأخرى .

ولما كان الوضع غير منسجم في هذا الائتلاف الحاكم بين اليمين واليسار فقد حدث ما كان متوقعا من الاحتكاك .

وتقرر بموجبه إبعاد (بابراك كارمل) وأتباعه من أعضاء حزب (بارشام) من مراكز السلطة وقد كان (بابراك) معروفا بولائه ومساندته لمحمد داود .

تحركات مرسومة

وفي مارس عام ١٩٧٩ م وصل (حفيظ الله أمين) إلى قمة السلطة فأصبح رئيسا للوزارة ووزيرا للخارجية في الوزارة التي ألفها (تراقي) .

واستند إلى (تراقي) مهمة رئاسة المجلس الثوري ، وسكرتارية حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني وقيادة الجيش .

وبعد صراع قصير قتل (نور الدين تراقي) ، وأصبح (حفيظ الله أمين) رئيسا للجمهورية في سبتمبر ١٩٧٩ م .

وبعد ثلاثة أشهر أطيح بحفيظ الله أمين ، وأصبح (بابراك كارمل) الرئيس الأوحد الآن في أفغانستان يناير ١٩٨٠ م يمثل حلقة في هذه السلسلة المتوالية والتي لا يدرى متى تنتهي .

جاء (كارمل) ومعه تدخل عسكري سوفيتي مكثف في تصعيد حاد للأحداث تحولت فيه أفغانستان إلى ترسانة عسكرية ومستودع متفجر .

هل الغزو السوفيتي لأفغانستان يأتي ضمن مخطط القوى الكبرى؟
إلى أي مدى ستذهب أمريكا في حرب المواجهة انطلاقاً من هذا الموقع؟

لمحات الغضب والقلق في انتظار المصير المجهول

مجموعة من الثوار في مواقع القتال بالجبال



وإذا كانت القوى المواجهة ـ في حلبة الصراع الدولي ـ (أمريكا) قد تحركت في شبه رد فعل في صورة تجميد معاهدات سولت ٢ ، ووقف شحن ١٧ مليون طن من القمح الأمريكي لروسيا ، وإجراء اتصالات مع الصين ربما تعنى فتح صفحة استراتيجية معها تستقطبها بها إلى رصيدها .

كل هذا يثير تساؤلات يطرحها الموقف الآن من شتى جوانبه على مستوى المنطقة والمستوى العالمي واحتمالات تعترض من هنا وهناك نذكر منها مايلي تمثيلا لا حصرا ولا استقصاء :

هل الغزو السوفيتي لأفغانستان يأتي ضمن مخطط القوى الكبرى فيما يسعى بتأمين وجودها في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ؟

وإلى أي مدى ستذهب أمريكا في حرب المواجهة انطلاقاً من هذا الموقع ؟

التحرك العالمي

وأيا ما كان محور هذه التساؤلات فإن هناك أمرين لا يغيبان عن الاعتبار

أولهما : هذا التحرك العالمي وسقوطه من كل اتجاه لمحاولة محاصرة هذه الأوضاع المتفجرة والمتردية ، والدعوة الملحة لخروج الغزاة من أفغانستان وليس من السهل أن تتجاهل روسيا هذا التحرك العالمي

ثانيهما : إذا كان معظم دول العالم قد أدان هذا التدخل العسكري لأسباب مختلفة يأتي في مقدمتها الانتصار لحق الشعوب في تقرير مصيرها فإن مما يجب أن يعرف أن المؤامرة الشيوعية من أول يوم من غزوها لأفغانستان قتلت أكثر من ألفي عشر ألف مسلم أعزل

ومن المحال أن يصدق العالم أن تقام المجازر البشرية بهذه الصورة لحماية سلطة حاكمة في أفغانستان أو تثبيت دعائم حكم (كارمل) أو غيره ممن سبقوه أو يأتون بعده ، إنما وراء ذلك أهداف لا تخفى على أحد .

إن الشعب الأفغاني الذي هدم (كابول) في القرن الماضي على رأس المستعمرين وحولها مقبرة للغزاة من جنود الامبراطورية التي لم تكن تغرب الشمس عنها آنذاك .

وإن هذا الشعب الآبي المقاتل والذي أذهل الأزمات العالمية الكبرى بحروبها بصلابة وقوة محال أن يأتيهم هكذا بسهولة

إن هذا الشعب يقف الآن مجاهداً في ميدان معركة غير متكافئة لا ليدفع عن نفسه فقط العدوان والغزو ولكن ليحمي العالم كله من كارثة

واليوم وهو يواصل جهاده وسط ترسانة من أسلحة الدمار أقيمت لإبادته أن يكون في هذا الجهاد وحده ، ولا يصح أن يقف العالم متفرجا

فهل آن للضمير العالمي أن يقف موقف ايجابيا ؟

وهل آن للغزاة أن يفقدوا العبر من التاريخ ويتركوا الشعوب تبني حياتها بعيد عن تكالب صراع القوى فيما بينها ؟

وهل آن للشعوب أن تستيقظ فلا تخدع بالأكاذيب والتضليل ؟

وهل آن للعالم الاسلامي والعربي أن يقف صفا واحدا في مجابهة مايراد وما يبيت له قبل أن يؤكل يوم أكل الثور الأبيض (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا)



دكتور
حسن عيسى عبد الظاهر

أزمة الإنسان المعاصر

الإنسان وتحديات التقدم

د. عون الشريف

مجتمعات كانت تولد في الماضي وتعيش حياتها ثم تشيخ وتفنى فناء طبيعيا

تواجه مجتمعات العالم الثالث من الضغوط والأزمات في هذا العصر ما لا يواجهه غيرها من المجتمعات، ومما يضاعف من المخاطر التي تتعرض لها مثل هذه المجتمعات التقليدية المتخلفة رغم كل معاناتها أنها تواجه معركة غير متكافئة. فهي قد ظلت حبيسة تقاليدها وأطرها الاجتماعية والدينية قرونا طويلة حتى تحولت فيها الأفكار إلى قوالب، وأصبحت الضرورة والعادة هي القوة الدافعة للحياة فيها، وصار الفكر متصرا غريبا على حياة الناس ينظر إليه بعضهم بمنظار الريبة والشك والتوف، ويرى فيه بعضهم الآخر معولا من معاول الهدم والتخريب والبدعة والضلالة. ولا بأس على مثل هذه المجتمعات المغلقة ما دامت بعيدة عن مجرى التيارات، فهي تعيش بقوانينها الخاصة التي تلائم ظروف حياتها وتستقيم مع التطور الاجتماعي الذي بلغته، فإن للإنسان مقدرة فائقة على التلاؤم مع ظروف بيئته بحيث تصبح أفكاره وعقائده ونظمه الاجتماعية والسياسية سبيلا لخلق ضرب من التوازن والانسجام مع البيئة المحيطة، فهي تستطيع أن تفخر بقيمها وتعجب بتراثها وشخصيتها، وترى فيها النموذج المثالي الذي لا ينازع ولا يبارى ما دام ميدان الفخر خاليا لها وحدها.

وقد كانت مثل هذه المجتمعات تولد في الماضي وتعيش حياتها ثم تشيخ وتفنى فناء طبيعيا دون أن تحس بالمضايقات والضغوط الداخلية عليها إلا في أضيق الحدود. فكم حوت جيوب التاريخ من أمم ومجموعات قامت واندثرت دون أن يحس بعضها بوجود بعض، وإن جمعت بينها المعاصرة في حدود الزمان لا المكان. لقد كان بعد الشقة الذي يفصل بين أصقاع المعمورة يحاصر حضور [illegible] الاستقلال للمجموعات البشرية مما [illegible] قيام الحضارات والثقافات [illegible]

[illegible]

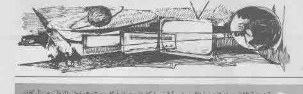
[illegible]

[illegible]

[illegible] أو [illegible] التاريخ. وأكثر من ذلك أن الحضارة من هذه الحضارات قد تعيش حقبا طويلة دون أن تدرك أي جيرانها كبير تغيير الظروف خاصة يقدمها دارسو الحضارة. وقد تموت دون أن تحدث بالتالي كبير أثر على خارطة الوجود بعدها. ففي مثل تلك الظروف كانت المجتمعات شبه مغلقة، ولذلك كانت في وضع يسمح لها بوضع نظمها وأساليب حياتها وفق تجربتها هي، ووفق موروثاتها المحدودة دون أن يعيبها القلق والتمزق الناجمان عن اختلاف الموازين وتعدد الأنظمة بتعدد المجموعات في رقعة الأرض الواحدة مما ينجم عنه التأثير والتأثر والتقليد والرفض.

وحدة الإنسانية

ويبلغ الخطر في زماننا هذا أن هذا التطور البطيء للمجتمع الذي تمليه ظروف كل مجموعة من الناس، والذي كان يتم في كثير من الأحوال بمعزل عن المجموعات الأخرى مما يتيح للمجموعة المعنية حرية كبيرة في الاختيار بحيث لا تدخل المجموعة في مغامرة اجتماعية قبل تمحيصها واختبار صلاحيتها في أناة وتمهل بحيث تجيء التجربة في نهاية المطاف منسجمة مع ماضي المجموعة، متسقة مع عناصر شخصيتها. هذا التطور البطيء أصبح في زماننا هذا بعدا لا يحتمله منطق العصر. لقد ألغى العلم المسافات وقرب الشقة بين المجتمعات بحيث أصبحت المعمورة كلها وحدة متماسكة تسمع بآذانها الميكانيكية كل ما يصدر عن البشر من أصوات عن طريق الراديو، وترى بعينها كل ما يحدث في بقاع الأرض من أحداث عن طريق التلفزة والأقمار الصناعية. ولم تعد هناك كهوف أو سراديب أو جيوب يختفي فيها البشر هربا من رياح التطور، لم يعد للبشر من خيار. لقد أصبح التطور قدرا محتوما على الجميع يتساوى في ذلك أرقى المجتمعات في سلم التطور الاجتماعي وأكثرها تخلفا في مجال التحضر، ويتمثل خطر هذه المرحلة من مراحل تطور البشرية في أنه لم يعد من مكان لذلك التطور البطيء المتمهل الذي يأخذ ويرفض عن طواعية واختيار. والخطر منه أننا أصبحنا نرى أمامنا في صفحة الزمان والمكان مختلف المجتمعات في شتى أطوار تقدمها في معركة واحدة يحارب بعضها بالحجارة ويصدوع الأشجار وترتدي الأزياء الاجتماعية قريبة الشبه بإنسان الغاب، ويحارب بعضها بالحراب والسكاكين والسيوف وترتدي الأزياء الاجتماعية تذكرنا



قضية الإنسان في هذا العصر تشغل كل إنسان في كل مجتمع بغض النظر عن المكان

بمرحلة الصيد والرعي ، ويحارب بعضها بأسلحة شبه حديثة مما ابتكره الانسان في العصور الوسطى ، ويحارب بعضها الآخر بأحدث ما ابتكره العلم من أسلحة الدمار البشري .

معركة غير متكافئة :

من هنا كانت المعركة الحضارية التي نجد انفسنا في خضمها معركة غير متكافئة . فالعلم الذي نقل الانسان من الارض الى القمر ، والذي يوجه طاقات البشر في المجتمعات المتقدمة لا يمكن أن يقف في مجال المقارنة مع ضروب السحر والخرافة والجهالة التي تكبل خطو البشر وتعوق مسيرتهم في المجتمعات المتخلفة .

ونجم عن ذلك خطران : خطر أول يهدد بقاء هذه المجموعات المتخلفة التي انتقلت فجأة من مجاهل التاريخ وفي شبه طفرة من الحركة ووجدت نفسها وجها لوجه مع الثلث الاخير من القرن العشرين والعالم يسير بسرعة الصاروخ الذري فهي اما أن تندثر وتتلاشى واما أن تنخرط في ركب الصاروخ . فأرجلها العاجزة ووسائلها المتخلفة لا تسمح لها بمسايرة التطور الكاسح . وفي كل ذلك ما فيه من تحطيم للشخصية البشرية والغاء لكينونتها ، اذ ما أعظم أن يصبح البشر صورا ممسوخة للآخرين لا روح فيها ولا حياة . وخطر ثان يهدد بقاء البشرية . فما دام قانون التطور الكاسح قد أبطل الى حد كبير مفعول التطور المستقل للمجموعات البشرية وربطها جميعا بقدر واحد فإن فرص النجاة أمام البشر قد تضاءلت الى حد كبير . فإن انهيار حضارة ما في ماضي البشرية ما كان يعني أكثر من انهيار تلك الحضارة إن لم يعن استلام المسرح لحضارة أخرى تعوضها وتنمو في مكانها أو في مكان آخر من الأرض . لقد كان هناك مجال واسع للانتقال من [illegible] [illegible] [illegible] الاسلامية وخلافة [illegible] بحيث أصبح كل جزء من الأرض يحتضن اهتماما كاملا عن الجزء الآخر وان اختلفت النظم والافكار . فمصائب القوم صارت مصائب كل الناس . والازمة الاقتصادية في مكان يحس بها العالم أجمع . وأمام التهديد الذري الذي أصبحت الانسانية رهينة لطغيانه يكون الحديث عن حضارة تذهب لتحل محلها حضارة أخرى ضربا من الخيال الجامح الذي لم تخلقه حقائق الحياة وواقع العصر المرير . وفي مواجهة هذا الخطر المحدق بالبشر جميعا يصبح الحديث عن الهزيمة والنصر حديثا نسبيا ، فالسلام الذري لا يفرق بين منتصر ومنهزم ، وخطره لا يقف عند مكان بعينه بل يشمل الارض جميعا ويهدد جوها وارضها بالاشعاع والموت البطيء للانسان والنبات ومختلف مظاهر الحياة الاخرى .

لا خيار لمن لا يختار

ومن هنا كانت قضية الانسان في هذا العصر قضية تهم كل انسان في كل مجتمع بصرف النظر عن مكان ذلك المجتمع في سلم التطور الاجتماعي والسياسي والاقتصادي . فما دام مصيرنا جميعا بهذا الارتباط الوثيق وكلنا مشدودون بقدر واحد ، وما دمنا نحترق بالمعنى ما عندنا من قوة نحو دوامة الحضارة [illegible] الداهية وكانا معصوبي العيون ، معطلو الارادة بمسلسل حيوية هذه الحضارة وتقلباتها ، فإن واجب المثقف منا أن يكون الرائد لأهله وذويه ينقل اليهم قضايا الحضارة ومشاكل الانسان في عصر التقدم ، لأنهم قومنا وإن لم يعيشوا هذه القضايا في كل أبعادها بحكم مكانهم في سلم التطور ، الا أنهم لا محالة سائرون في نفس الطريق ، فأولئك السابقون ونحن اللاحقون والعبرة قد تفيد وإن فضل الانسان في كثير من الاحيان الدخول في التجربة مهما بلغت مرارتها بدل الاكتفاء بأخذ العبرة من تجارب الآخرين .

إن الحديث عن قضايا العصر في أكثر صورها حدة وتطرفا ليس حديثا منبت الصلة بما يجري في مثل مجتمعنا المتخلف الذي لا يشكو من أمراض التخمة وعلل الرفاهية بقدر ما يشكو من ضغط الفاقة وفقر الدم . صحيح أن قضايانا قضايا تخلف ، تنحصر في البناء والتعمير ، وفي كل ذلك شغل شاغل للناس عن الحديث عن أمراض المرفهين من الناس الذين أمنوا الفاقة وتهيأت لهم الاسباب المسقطة العقلية والتفرغ للحديث النظري عن مصير الانسان والاخطار التي تهدد كيانه . لكننا وإن كنا في وضع مختلف بالمقارنة بهذه المجتمعات



المتطورة الا أننا والقوى ـ شئنا أو لم نشأ ـ تحت تأثيرها . فنحن في معالجتنا لقضايا التخلف الخاصة بنا نتخذ من الوسائل والغايات ما هو في معظم الاحيان وليد تجربة عند المجتمعات المتقدمة . بل ان الاسى في ذلك لأشد خطرا وأعمق غورا مما يظن كثير من الناس . فنحن كأي مجتمع متخلف تعطلت فعاليته وفقد القدرة على الابتكار والتجديد منذ أن أغلق باب الاجتهاد لا قدرة لنا على مواجهة تحديات الحياة الحديثة بأساليبنا البالية التي خلقت لزمان غير زماننا ومجتمعنا مكشوف لفيضان الافكار والمخترعات التي تنهال علينا في غير ما شفقة أو رحمة وتغرينا بكل ما فيها من حيوية والتراق على تبنيها والاستفادة منها في شئون دنيانا . وكل ذلك يحدث تأثيره العميق في نفوسنا وقلوبنا وعقولنا وليس هناك مجال للاعتبار والاختيار فنحن مجبولون في أمرنا ولا الخيار لنا أن لا يختار . وأمام هذا الغزو الفكري الصناعي المركز وجدنا أنفسنا في موقف يبعث على الشفقة والاسى . فنحن نعيش حياتين في حياتنا الواحدة : حياة باطنية تقوم في جملتها على أسس تقليدية تبدو في كثير من مظاهر سلوكنا الاجتماعي .. وحياة أخرى خارجية تضم في اطارها العام كل منجزات العصر الحديث من أدوات وأفكار فهي بمثابة الزينة التي تغلف هيكل حياتنا القديمة المتوارثة . وليس في طبيعة البشر أن يعملوا في أنفسهم حياتين بهذه الطريقة دون أن يحدث ذلك ارتباكا للنفس او يحدث صداما بين هذين النوعين من ألوان الحياة . فمظاهر الحياة المادية الحديثة ليست مظاهر مجردة من المعاني والأفكار بل الامر فيها بعكس ذلك اذ ان كل تقدم أو اكتشاف مادي يفرض منطقه الخاص على المستفيدين منه ويشكل أفكار الناس وحياتهم بالطريقة التي تجعل الفائدة من استعماله تامة ومتكاملة . فانك لا تستطيع أن تستفيد من الجوانب المادية من الحضارة فحسب

وترفض الآثار الفكرية الروحية والاجتماعية المترتبة عليها والناجمة عنها . والمفارقة هنا اننا نبدو في كثير من المواقف وكأننا ذلك النسناس الذكي الذي يحاول اخفاء حقيقته وراء الأكداس المكدسة من أزياء البشر وزينتهم دونما طائل .

القشور دون اللباب :

ونجم عن ذلك اننا أصبحنا نعيش قشور الحياة المادية الحديثة دون جوهرها وكلما تمادينا في السير وراء مغرياتها ودققنا بنائنا في الطرقات وجدنا انفسنا في نهاية المطاف دون ثائرة القديم بنا للعطش والضياع في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وانما هي ممارسات وتقاليد نقلناها عن شخصية أخرى لا علاقة لها بهذه النفس أكثر من كونها مفروضة عليه بحكم ظروف النمط الحضاري الذي نعيشه في هذه الحقبة . فنحن نرث حضارة الغرب ونرث مشاكلها معها ونصطلي بكل ذلك مثلنا مثل الغرب والفرق الكبير ان الغرب قد عاصر هذه المشاكل وعايشها فأصبحت المعايشة له كالأم الماضي تعقبها الولادة الطبيعية وفي أثناء كل هذه الفترة تتكيف الأم بالظروف التي تمر بها وتحاول حل القضايا الناجمة عن مرحلة الحمل والمخاض بحيث يجيء الوليد وكل شيء في وضعه الطبيعي ، وقد وضع حساب كل شيء ما أمكن . وهكذا نجد أمم الغرب التي أنتجت هذه الصورة الاخيرة للحضارة الصناعية قد عايشت مشاكلها وقضاياها قرونا طويلة وأعدت لها العدة بحيث جاء تطورها طبيعيا مع ظروف حياتها وكان لديها الوقت في أثناء ذلك للاختيار والرفض فجاءت حضارتها متجاوبة بقدر الامكان مع ظروف

حياتها في ماضيها وفي حاضرها وان لم تسلم برغم ذلك من الهزات والمحن . وكان علينا نحن أن نهضم في سنوات ما احتاج الغرب الى القرون العديدة لهضمه وتطويعه . فلذلك وجدنا انفسنا نعيش أحدث القضايا التي تشكو منها مجتمعات أوروبا الشامخة من جنوح الشباب وجنوح الفكر . ويعني ذلك اننا وان كنا متخلفين وقضايانا مختلفة عن قضايا الامم المتقدمة الا أننا برغم ذلك مطالبون بآثار هذه الامم الشائكة السوار بالمعصم . وما يواجهه البشر في هذه المجتمعات المتقدمة يهمنا لانه في كثير من جوانبه يتعلق بتطور الانسان كانسان . فمصيره الواحد المشترك الذي يتجاوز حدود المجتمعات ومدى تطورها ، ويتخطى سياج الاجناس والالوان . يجعل لهذه المواجهة أهميتها الفائقة في عصرنا هذا الخطير .

بين العرض والجوهر

وكل هذا يعود بنا الى كلامنا ذلك الذي حاولنا أن نميز فيه بين العرض والجوهر في تطور الانسان وذكرنا فيه أن تطور المجتمعات التي لا تقل في منتج العرض ، وأن تطور الانسان كانسان سواء أكان في الغرب او الشرق ، في المناطق المتقدمة او المتخلفة هو جوهر التنمية . وان أزمة الحضارة الراهنة في كثير من جوانبها أزمة تتعلق بهذا الجوهر . فالازمة الحضارية الراهنة ليست في جملتها أزمة مجتمعات مختلفة في مراحل التطور متفاوتة في درجات

النمو ... ولكل ذلك قضاياه ومشاكله ـ بقدر ما هي أزمة تطور الانسان والوجهة التي يتجه اليها هذا التطور من الناحية الفكرية والاجتماعية سواء أكان هذا الانسان في أرقى مجتمع من المجتمعات أو كان في أدناها تقدما فالفارق من هذه الناحية فارق في الكم لا فارق في النوع .

فقد تأكدت في هذا العصر ذاتية الفـــرد البشري أكثر من أي وقت مضى وظهر عامة الناس على مسرح الاحداث كقوة يحسب حسابها حتى سمى بعضهم عصرنا هذا بعصر الرجل العادي . فانتصار فكرة الديمقراطية منحت الافراد قوة ضخمة لتكييف الوضع الداخلي لأممهم ، واتصـــال شعوب العالم بعضها ببعض بفضل تقدم وسائل الاتصـــال منحهم قوة ضخمة لتكييف الوضع العالمي ، وتكفي قوة الرأي العام العالمي الـــذي برز الى الوجود في الاوضع صـــورة في هذا القرن .

العلم والقوى الجديدة :

واكتساب الافراد لهـــذه الحريات



والصلاحيات نجم عنه تقلص بعيد المدى في نفوذ القيادات التقليدية التي كانت تسيطر على المجتمعات البشرية . فلعب الاقطـــاع والجيش

جهود البشر ... مرجعا للدولة الا قلة ، وكل حل الانسان بشكله التقليدي ... [illegible]

[illegible] ... الى ... جديدة حلت محل القيـــادات التقليـــدية التي زحزحتها حركة الديمقراطية وتبعث تحت ستار الديمقراطية كثـــيرا من المصالح والشعارات التي استهلك

الجهـــود البائدة في الدفاع عنها .

وكما ناهضت القوى التقليدية القديمة وحاربت الجماهير بإراقة الدماء والسجون والقهـــر ، فان القـــوى الجديدة تمثل نفس الخطة لتأمين مصالحها ولكن بطرق مبتكرة هي من صميم الديمقراطية ، والهدف منهـــا ليس قتل الافراد قتـــلا حقيقيا بل الغاية منها سلب الرجل العادي كل مظهر من مظاهر السلطة الحقيقيـــة واحـــالة كل مبادىء الديمقراطية (الشعب مصـــدر السلطات) الى عبارات جوفاء لا معنى لها الا تخدير الجماهير وخداعها . فقد فتح تطور العلم في مدى نصف القرن الاخـــير آفاقا ما كان يحلم بهـــا الانسان . ووضع في يد الدولة الحديثة ضروبا من السلطة ووسائل التحكم في حياة الناس وعقولهم مما يشـــكل أعظم الخطر على حرية الانسان ومستقبله كما وضح ذلك بجـــلاء كل الذين تطرقوا الى هذه القضية من أمثـــال الدوس هكسلي في (عالم الطريف) وجـــورج اورول فـــي (١٩٨٤) و (مزرعة الحيـــوان) وسواهما . ولذلك حديث آخر .

● احتفل احد مشاهير السينما الفرنسيين بعيد ميلاده التسعين فسأله احد اصدقائه عن رأيه في الحياة في سن التسعين فاجاب الممثل العجوز :
ـ رائعة ـــ خاصة اذا فكرت في البديل !.

● سأل الصحفي سيدة الطريقة التي يمضي بها وقته بعد تقاعده عن العمل فاجاب :
ـ في الصباح بانتين الخدم بكوب من الشاي وصحيفتي المفضلة فاقرأ الشاي وأقرأ صفحة الوفيات في الصحيفة فاذا لم أجد نعيي أنهض ـ لأزاول نظر عواقبي اليومية ...

● تلقى مدير جامعة الصندوق البريطانية البرقية التالية بمناسبة تخرجه احد المستشفيات لنقل العلاج :
ـ مجلس الامناء قرر بنسبة ١٨ الى ١٧ صوتا ان يتمنى لك الشفاء العاجل .

● سأل احد الصحفيين الزعيم السياسي الراحل ماو عن رأيه في مجريات الاحداث لو اغتيل خروتشوف بدلا من جون كينيدي ، فاجاب الزعيم الصيني :
ـ لا أظن أن المستر اوناسيس كان سيتزوج بأرملة خروتشوف .

● كان احد الاستكلاسيين يقوم بجولة له في أرياف استراليا في أول زيارة له للبلاد عندما التقى بأحد المزارعين فتجاذب معه أطراف الحديث ثم سأله عما إذا كان عدد الاستكلاسيين بمنطقته كبيرا
فاجابه المزارع الاسترالي : نعم يوجد منهم الكثيرون ولكن مشكلتنا الحقيقية في الارانب البرية .

● كان الكاتب الايرلندي المعروف برنارد شو يقوم بتوزيع الجوائز في احدى مدارس انجلترا وبه توجه المراسيم عزفت الفرقة الطلابية الطلابية المدرسية خلفية المسرح وبدأت تؤدي أغنية ايرلندية معروفة إكراما للكاتب الكبير . وكان الاداء والعزف كلاهما على درجة عالية من الرداءة وعدم الاتقان والتفت الى أحد المدرسين ثم سأله :
ـ هل أنت الرداءة ؟ .
فاجاب : كلا ... انا مدرس الموسيقى بالمدرسة ! .

د. محمد جابر الأنصاري



أصوات من الأدب السعودي

الأدب السعودي من الآداب العربية الحديثة التي لم تنل حقها من معرفة القراء العرب بها، حتى ولو كانوا من المهتمين بالأدب وشؤونه.

وهذا تقصير عربي متبادل على أي حال. فهناك أشياء كثيرة مهمة ما يزال العربي لا يعرفها عن العربي، وهذه قصة تطول. ولو دخلنا فيها وفي شعابها لانصرفنا عن الأدب السعودي الذي نريد أن نبدأ بتعريفه إلى أمور بعيدة عن الأدب والتعريف به.

وابدأ بنفسي فأقول انني رغم اهتمامي بالأدب في الخليج، فاني بقيت بعيد الصلة بالأدب السعودي، وهو على مقربة منا، إلى أن اكتشفت بعد أول رحلة استطلاع سريعة بين معالم الأدب السعودي، أن أدب الجزيرة العربية يمثل موضوعاً واحداً متصل الحلقات. والروح العلمية تحتم أن ندرسه كوحدة متكاملة دون فصل بين الأقاليم والمناطق لأن أدباءنا أنفسهم، في حياتهم وأدبهم، لم يعترفوا بالتجزئة وعاشوا كأدباء في جزيرة العرب قبل أن يكونوا أدباء كويتيين أو بحرينيين.

اكتفي بهذه التقدمة العلمية السريعة لأني لا أريد أن أطيل الحديث. وأريد أن يقدم الأدب السعودي نفسه بنفسه إلى القراء، بصوته الحقيقي كما هو بلا زيادة أو نقصان.

فلو حدثتكم بلساني عن الأدب السعودي لكنت كالناقل أو المعلق الذي قد يقع في المبالغة اطراء أو انتقاداً!

فلندع الأدب السعودي يتحدث بنفسه من خلال أصواته القديمة والجديدة، حتى يعرفه القارىء العربي معرفة حميمة عن كثب ولنترك مسألة التعليق والنقد إلى مرحلة لاحقة، بعد أن نتيح للأدب السعودي إسماع صوته أو أصواته المتنوعة.. كما انطلقت أول مرة في مصادرها وأزمانها.. وحالت ظروف الماضي دون أن يسمعها العرب كل العرب



معنا بهذه المقاطع ... وراء ... الفكري في ... في المشاكل والاهتمامات من هذا القرن، لنستمع إلى ما كان يشغل أبناء الحجاز من اهتمامات في ذلك الحين ولننظر ماذا كانت طبيعة تلك الاهتمامات وعلى أي مستوى —

(ومازلت أذكر، ولا ينسى رصفائي من الشيوخ، كيف كانت تنقضي الليلة في الفرق حتى الفجر في حوار حول آراء أفلاطون في جمهوريته، التي اشتريت أول نسخة منها بجنيه ذهبي .... وكانت أول ترجمة للجمهورية ظهرت في اللغة العربية بقلم (حنا خباز) ... ثم حول الفارابي ومدينته الفاضلة، بل حول داروين ونظريته في أصل الأنواع، وقد ترجم كتابه الأستاذ اسماعيل مظهر. بل لست أنسى كيف كنا نتناوب على النسخة الوحيدة من كتاب أو كتب الدكتور شبلي شميل رغم ما كان معروفاً عنه من تطرف في الدعوة إلى التحرر من الآراء والعادات القديمة ومن تشليه بمذهب داروين ... وهذا إلى جانب تهافتنا على جريدة (السياسة الأسبوعية) التي كان يصدرها ويرأس تحريرها الدكتور محمد حسين هيكل ومن محرريها المازني وطه حسين، وعبد العزيز البشري، وعباس حافظ. ومنهم من لابد أن يعتبر طليعة شعراء التجديد، المرحوم الشاعر علي محمود طه المهندس الذي نشر فيها قصيدة (البحيرة) لالفونس دي لامارتين، وقد نقلها إلى العربية شعراً، ومطلعها

أيت شعري أهكذا نحن نمضي

في عباب إلى شواطىء قفر

ومازلت أذكر أول عهدي بكتاب الأغاني لأبي الفرج ولم تكن دار الكتب المصرية قد أصدرت من أجزائه سوى الاجزاء من الأول إلى الخامس ... ويصدر في هذه الفترة كتاب (في الشعر الجاهلي) لطه حسين، نقرأ في الصحف المصرية تلك الضجة التي أثيرت، فنقرأه، وتظلنا مدير الحوار حول آراء الدكتور طه وآراء من ثاروا عليه، ونعود إلى ما بين أيدينا من الشعر الجاهلي، وعلى الأخص المعلقات بشرح الزوزني فنجد بيننا من يسفه آراء الدكتور، ومن يعتدل فيتروى ويطيل التأمل فيما قاله وقوله خصومه والثائرون عليه.

(وإذا كنا قد التفتنا إلى الدكتور طه حسين بكتابه هذا، وبالثورة التي أطاحت بوزارة حزب الوطنيين الأحرار، فلم يكن لنا مناص من التهافت على ما يكتب في الصحف، وما ينشره من كتب أو مقالات وعلى الأخص في جريدة الجهاد ... (وكنا منصرفين أيضاً إلى سماع أغاني عبد الوهاب من فيلم الوردة البيضاء من جرامفون نحكم سد بوقه أو سماعته بالقطن خيفة أن الصفعة السيالة بالماء حيناً الذي لا يسمعهم أحد في الخارج)

(ثم فاجأنا الشيخ العبد عنواني — صاحب المكتبة — بكتاب لم يكن منه ينبغي أن نهتم به أو نعنى بقراءته، إذ لم يكن أدبا ولا فلسفة، ولكنه يحمل عنوانا مغريا، كان عنوان الكتاب — فقه السلطنة لمؤلفه أحمد

- الأديب السعودي يتحدث عن نفسه من خلال أستواته القديمة والجديدة
- حول (الفارابي ومدينته الفاضلة) و.. داروين ونظريته في أصل الأنواع
- أدب المهجر يوقظ المشاعر.. لكنه لا يبني العضلات الفكرية القوية



وفيق ... وكان في مجلدين ضخمين ـ وجاء حمزة شحاته من جدة ، في إحدى جيئاته ، ورأى الكتاب فتقاسمنا ما بأيدينا وبرنامجنا للقراءة وسماع أغاني محمد عبد الوهاب بطريقة سد البوق ....)

(ولا أجد بدا من وقفة عند لطفي السيد باشا ، فقد كنا نتشايع بعبقريته وعلمه وفضله على العلم والعلماء والمفكرين ، كما كنا نتسامع عن ترجمته لكتاب (السياسة) لأرسطو طاليس ، عن الترجمة الفرنسية لبارتي سانت هيلير ، فتتمنى أن نرى هذه الترجمة مطبوعة ، ولم تطبع إلا في عام ١٩٤٧ وأذكر أني كنت في القاهرة وكان حمزة شحاته رحمه الله قد استقر فيها ، فما أسرع ما أخذنا نتدارسه معا ، فينقضي الليل وينام من في البيت ويستيقظون في الصباح ليجدونا مازلنا كما تركونا في الساعات الأولى من الليل والحاكي الزناك طافحة بأطباق السجاير وأكواب الشاي تتتابع فراغا ، ونواصل الحديث عن أرسطو ، وعن تلك الغرض البعيد الذي استهدفه لطفي السيد من ترجمة هذا الكتاب بالذات ومقدمة سانت هيلير فيه على الأخص .. بل ذهبنا إلى أن لطفي السيد لم ينقل الكتاب إلى العربية إلا لينقل هذه المقدمة ..)

وأدع جانبا تلك الدفقة الكثيرة من القصص التي تشطلقتها إلى اللغة العربية السابقين في الترجمة في مصر من أمثال المازني في قصة (ابن الطبيعة) للكاتب الروسي المغمور (هاتزيباتشيف) .... ولهذه القصة في حياتنا تلك الأيام أثر لا ينسى فقد كان يطرب لحمزة شحاته رحمه الله أن يسمي كلا منا بأسماء أبطال القصة ... ومن القصص التي لابد أن تذكر وتعتبر من الأسس في خلفياتنا الثقافية قصة تاييس والزنبقة الحمراء لأناتول فرانس .... وأذكر كيف كنا نعض أصابعنا أسفا على جهلنا

بقصة (الرسيف) لأناتول فرانس ... التي عربت تحت اسم (أناتول فرانس) ...

وأذكر هذه القصة ... التي نقلها إلى العربية طانيوس عبده تحت عنوان (أهوال الاستبداد) للكاتب روسي نسيت اسمه .. كم (أنا كارنينا) لتولستوي ، ولم تكن قصة (الحرب والسلام) وهي من أشهر أعمال تولستوي قد نقلت إلى العربية بعد ، ولكن لم يفتنا أن نقرأ ما كتب عنها في المجلات والصحف ، وعن تولستوي نفسه ....)

(أما أدب المهجر وعلى الأخص أدباؤه جبران وأبو ماضي ونعيمة فليس بيننا من ينكر الوهم في بداية مراحل هذه الثقافة الذاتية ، ولكن ما كدنا نوغل في الأمهات من كتب الأدب العربي وفي الروائع من المنقول إلى العربية من الأدب العالمي ، حتى أخذنا نشعر أن أدب المهجر يمكن أن يوقظ المشاعر ويوجهها نحو أجواء الفن .. ولكنه لا ينميها ، ولا يبني العضلات الفكرية القوية ، وأن أدب المنفلوطي يمكن أن يصلح للناشئين إذ يغري بالقراءة ، ويعين على تكوين محصول لغوي المحسن المنفلوطي اختياره من مفردات اللغة العربية التي يسهل تناولها وربما هضمها ... بينما يتعذر هذا الهضم على الناشئ إذا ما قرأ ـ البيان

والتبيين للجاحظ ـ أو ـ مقدمة ابن خلدون ـ أو أي كتاب لأبي حيان التوحيدي ـ راجع كتاب ـ حمزة شحاته قمة عرفت ولم تكتشف ـ تأليف الأستاذ عزيز ضياء وتقديم الأستاذ عبد العزيز الرفاعي ـ من سلسلة المكتبة الصغيرة رقم ٢٦ ـ الصفحات (١١ ـ ٣٣) .

● ●

نعتقد أن الأستاذ عزيز ضياء قد أتاح لدارسي الأدب ، بلمحاته تلك عن اهتمامات جيله وجيل حمزة شحاته ، درسا خصبا على إيجازه يكاشف بوعي قراءاتهم ومؤثراتهم بصورة لم نعرف عن مكونات الأدب السعودي من قبل وعن الجو الأدبي بالحجاز في بداياته على وجه الخصوص . ونقرأ النص السابق لتقدير القارئ وفهمه كي يعي مدى عمق الاهتمامات التي كانت تحرك الرعيل الأول من أدباء الجزيرة العربية وكيف أن ثقافتهم لم تكن تقصر عن ثقافة إخوانهم في مصر والشام . وأن ما كان ينقصهم ليس العمق أو الموهبة أو الاهتمام والمعاناة ، وإنما توفر أسباب النشر وإمكاناته فاشتهر أولئك والغمر هؤلاء . ولابد أن نضيف في كلمة أخيرة كم كان الأستاذ عزيز ضياء موفقا في التفاته إلى هذه الخلفية الثقافية وفي كشفه عن خفاياها

أصوات من الأدب السعودي

مقالات ساخرة خفيفة الدم.. ثقيلة الوزن الفكري والفلسفة

التي كانت عرضة للنسيان لولا هذه الصفحات الشائقة والمثيرة التي اتحف بها دارس الجذور الادبية الحديثة في جزيرة العرب وفي الادب السعودي بصفة خاصة.

● ●

وننتقل الان الى صوت آخر من أصوات الادب السعودي، انه صوت الاديب الشاعر حسين سرحان. ولنا اعرف ان هذا الاسم غير معروف لدى القراء العرب. ويجب ان اعترف بانه كان اسما مجهولا لدي حتى بدأت قراءاتي الحالية في الادب السعودي. ولن اقول شيئا عن هذا الاسم الادبي. أريد اولا ان يشاركني القراء في التعرف اليه من خلال احد مقالاته.

يقول حسين سرحان في مقال بعنوان (كنت اتمنى أن أرى ابن آدم) وهو مقال نشر في جريدة (البلاد السعودية) قبل ٣٠ سنة، وعلى وجه التحديد عام ١٩٤٥ ـ

اتمنى ان أرى ابن آدم

(كنت بين السابعة والتاسعة ـ فيما ارجح ـ وتلك هي السن التي يستمع فيها الصبي الى احاديث والده وجدته وعمته بشوق وفهم في كل ما يتقطعه من احاديث.

فقررت أن أكون أنا لا تشبع من السمع وتمسكت بتلابيب المتحدثات من أهلي. فكن اذا خلون من عمل جلسن على الشاي والقهوة وأخذن يتسامرن ويتجاذبن أطراف الحديث.

وشمة اعتبار حديث المرأة حيث كانت ملتقتا تدور وتحور على الرجال، وما يتصل به من هنا ومن هناك.

اما هن فلهن ان يتحدثن بما شئن، واما جدتي فلها وحدها التعليق الحكيم والرأي السليم. وقد اطارت عقلي وبلت ذهني بما ترديده عن ابن آدم.

قلن جميعا: ان فلانا قد طلق زوجته وقد كانت مخلصة له وفية معه شفوقة عليه. فضحكت جدتي دفقتها حكا طويلا حتى خفت أن تشرق لها لحية بيضاء جليلة، ثم قالت: ان ابن آدم لا يحفظ المعروف.

وقلن: لقد اشترى فلان على كثرة ما يملك من بيوت، بيتا جميلا في المكان الفلاني. فمطت جدتي يغفر الله لها شفتيها استنكارا وهي تقول.



ابراهيم المازني — برنارد شو

ـ ابن آدم لايشبعه إلا التراب

ويسلمن قائلات: لقد تزوج فلان على فلانه، وعقده ام اولاده غاية في الجمال والكمال.. فتاوهت قائلة: ما اشد عملسة ابن آدم

باصلب رأس الفؤاد.. وكدت انشق غيظا من ابن آدم هذا، وذهبنا في القرافي وهو يتنقلني من نعيم ونعيم [illegible] [illegible] استحجر اللعنات على هذا المخلوق الاعوج [illegible] استوى هذا المخلوق العجيب.

ومت ليالي كثيرة مسهدا متحيرا احاول بكل ما استطعت ان اتعرف الى هذا الحيوان الذي يسمى (ابن آدم)..

وتسللت يوما الى جدتي على فراغ منها، ولثمت جبينها وقلت:

ـ يا جدة، اين ابن آدم؟ انني اريد ان اراه!

وكان سؤالا لم يخطر لها على بال ولا يجدي فيه تعليق حكيم ولا سقيم.

والحق انني ما كنت اتوقع ان هذا السؤال سيزلزل جدتي ويعصف بما في رأسها من تجارب التجارب والاجيال.

نظرت إلي جدتي نظرة ممسوخة خلت من كل معنى وقالت بعد صمت: ماذا تقول يابني. قلت ـ وكنت اجهش بالبكاء ـ ابن آدم.. ابن آدم ياجدتي، اريد الان أن أعرفه!

وقامت جدتي لتصلي.. وعلمت انه سؤال ذهب مع الريح.

وقمت وانا اتميز من الجهل والغضب معا، على هذه الدالة السخيفة التي تربض كل هذه الرعونة ولايمكن مع ذلك أن تتعرف اليها او تراها

ترى من هو الذي يعرف ابن آدم اليوم..؟)

● ●

هذه المقالة لو نسبت الى اديب عربي ساخر مثل المازني او نسبت الى اديب انساني متفلسف متهكم مثل برنارد شو لما كانت قليلة عليهما.

وللاستاذ حسين سرحان مقالات ساخرة، خفيفة الدم، ثقيلة الوزن الفكري، تعد بالعشرات ان لم يكن بالمئات.

وقد احسن النادي الادبي بالرياض صنعا عندما جمع لنا ٣٣ مقالة لحسين سرحان وطبعها في كتاب، فلولا هذا الصنيع لظلت هذه المقالات بين طيات الجرائد القديمة ولتوارت عن جيلنا روح الفنان الساخر الذي كان يكتب مثل مقال (ابن آدم) في قلب الجزيرة العربية قبل ثلاثين سنة وكانه المازني او برنارد شو. (ولابد من التنويه هنا بجهد الاستاذ يحيى ساعاتي الذي قام بجمع مادة هذا الكتاب)

وليس من قبيل المصادفة أن نجد من بين مقالات الاستاذ حسين سرحان مقالا بعنوان السخر عند المازني. فيبدو ان كاتبنا قد تعمق في الادب الساخر لدى اعلامه وخاصة لدى المازني.

ونراه يحاول تعليلا نفسيا للادب الساخر فيقول: (لابد أن نميز بين سخر وسخر فهناك سخر الحقد والانتقام. وهناك سخر العطف والرثاء. وقد اعترت ـ وقد قرأت المازني كثيرا من نظمه ونثره وقصصه ـ أين أضع سخره من هذين السخرين. واحسب أن سخره خليط من هذا وذاك وان كنت لا استطيع أن ارجح لونا على لون (ص ١١٢ ـ ١١٣)

● ●

نكتفي في هذا العدد بهذه الاصوات الباكرة الرائدة في الادب السعودي وقد نقلناها بامانة الى القارىء وباقل قدر من التعليق الذي هو لمجرد الايضاح.. والى اللقاء مع أصوات اخرى، في هذه السلسلة الجديدة من التعريف بالادب السعودي.

الدكتور: محمد جابر الانصاري

معالم معاصرة في الثقافة السعودية



محمد رضا نصر الله — الدكتور غازي القصيبي

● الشاعر الدكتور غازي القصيبي انتهى من كتابة سيرته الشعرية ودفعها الى المطبعة. السيرة الشعرية تتضمن المؤثرات الباكرة ونوعية التجارب الشعورية والفكرية التي طورت حياته الشعرية. الكتاب الجديد للدكتور غازي سينضم الى مكتبة «التجارب الشعرية» التي ظهرت في السنوات الاخيرة واسهم فيها البياتي وعبد الصبور وعبد المعطي حجازي وغيرهم من الشعراء العرب المعاصرين.

وللدكتور غازي اربعة دواوين.. «المعارض من جزائر اللؤلؤ».. «... » .. «معركة بلا راية».. «وأبيات غزل».. فضلا عن ترجمة انجليزية لبعض اشعاره.

كتاب مختارات من اشعاره سيصدر ايضا ... الدكتور غازي في السنوات الاخيرة انه يمتلك ايضا ... خاصة في المقالة بنوعيها الموضوعي والذاتي.

ويحمل كتابه الاخير، من هذا وذاك، نماذج متنوعة لاسلوبه في فن المقالة.. التي جمع فيها بين وضوح الفكرة واعتدالها وبين اللمسة الساخرة اللطيفة.

فهمنا من الدكتور غازي في لقائنا معه بالرياض ان اهتماماته الحالية تتجه إلى مزيد من الاهتمام بالفكر الاسلامي القديم والمعاصر وعلاقته بقضايا الحياة والعصر.

● الأديب الدكتور محمد عبده يماني وزير الاعلام اطل على الساحة الادبية مؤخرا كروائي طويل الباع في كتابة القصة، بعد ان عرفناه باحثا علميا وموجها تربويا.

فبعد صدور كتابه القصصي الكبير «اليد السفلى» يستعد لاصدار قصته «فتاة من حائل» التي حدثنا عنها في لقاء اخير معه بالرياض.

الدكتور يماني، مع مسئولياته الاعلامية العديدة، يعطي للكتابة جانبا مهما من وقته باعتبارها عملية انطلاق شعوري وتنفس فكري يخفف من اعباء العمل.

وقد اتجه في كتابته القصصية وجهة اجتماعية واعية لتسليط الضوء على قضايا المجتمع والانسان في السعودية وعلاقة ذلك بالتطور الحضاري وما ينجم عنه من معاناة ومواقف جديدة للافراد والجماعات، بحيث جاءت قصصه سجلا ادبيا لهذه المرحلة من التحول الاجتماعي.

«اليد السفلى» و«فتاة من حائل» سيكونان ضمن اصوات الأدب السعودي التي سنقدمها للقراء في الاعداد المقبلة.

● الأديب الشاعر عبد العزيز الرفاعي.. المستشار بالديوان الملكي، حضرنا في الرياض ندوته الادبية المفتوحة التي يقيمها مساء كل خميس منذ ست وعشرين سنة دون انقطاع.

التقينا هناك بالباحث الادبي المصري الدكتور بدوي طبانة وعدد من المثقفين والادباء السعوديين والعرب.. وكان لنا معهم نقاش ساخن حول المعلقة ومصيرها.. وهل كانوا معلقة حقا؟ وهو الموضوع الذي شارك قراء «الدوحة» فيه في الشهور الاخيرة.

... بالشعر التقليدي والاوزان الخليلية ... الشعر الحر ...!

الاستاذ الرفاعي ... جيدة بالشعر الحر رغم اعتراضات الدكتور بدوي ... «الوزن» لا يضيف للشعر قضيته!

... منذ ربع قرن في دارة الاستاذ الرفاعي ... المكتبة الصغيرة، حيث يتوالى نشر ... في كتب صغيرة سهلة الانتشار. وقد ... في تقديم اصوات الأدب السعودي على ...

● الأديب السعودي الشاب الاستاذ محمد رضا نصر الله يمثل بمفرده ما يشبه «الحركة الادبية»...

فقد بدأ توسيع الملحق الادبي الاسبوعي بجريدة الرياض.. اكبر صحف المملكة واوسعها انتشارا.. واستقطب اقلاما معاصرة من مختلف الاقطار العربية، بالاضافة الى زاويته اليومية في الجريدة بعنوان:

«اصوات».. وهي اصوات نافذة إلى قلب الاهتمامات المعاصرة.

وهو يقدم ايضا برنامجا ادبيا فكريا، هو الاول من نوعه في التليفزيون العربي السعودي بعنوان «الكلمة تدق ساعة» حيث يستمر الحوار الفكري مع مجموعة من رجال الكلمة حول قضايا معينة لمدة ساعة تتعدد فيها الاسئلة وتتنوع وجهات النظر، وتنتقل فيها العدسة من الرياض الى دمشق فالقاهرة فالمغرب لمناقشة ابناء العربية.

محمد نصر الله يكتب ايضا للمجلة العربية، ويحضر بدايات بحث مطول عن الشاعر الخليجي ابو البحر جعفر الخطي..

هذا ما استطعنا تسجيله من نشاطاته!

والى اللقاء مع معالم معاصرة اخرى في الثقافة السعودية في الاعداد المقبلة.

دكتور محمد جابر الانصاري





وقفة لدى بهلوانيات التاريخ !

قيل ، والعهدة على الرواة ، ان رجلا غريبا خفيف الدم دخل على احد الخلفاء (لما كان العرب يحكمون ما بين الهند والاندلس) وعرض بعض الحركات (البهلوانية) ومن بينها انه كان يقذف في الهواء (إبرة) ويلحقها ، بإبرة اخرى قبل سقوطها على الارض ، فتدخل في ثقبها ، ولست هنا بصدد إقرار الامكانية العلمية او دحضها ، ولكن بصدد امر ساقه الرواة في نهاية هذه الاسطورة ، هو ان ذلك الخليفة الذي كان يقول للسحابة في عنان السماء: امطري حيث شئت فسيأتيني خراجك : قال للبهلوان الذي احتال له الحجاب لن يحظى بعرض العابه عليه : امرنا لك بمائة دينار مكافأة على ذلك الحذق وتلك البراعة ، فما كاد البهلوان ان ينصرف (بصرة الدنانير) من مجلس الخليفة ، حتى نودي ثانية والى الشرطة يجلده مائة جلدة بسوط مصنوع من جلد البقر ، فتعجب الحاضرون من ذلك الصنيع الغريب.... مكافأة ثانية بمائة تتلوها عقوبة بالجلد المبرح فتقدم احد المقربين يستوضح امير المؤمنين الخبر فقال : لقد امرنا له بمكافأة اعجابا بدقته وقدراته ، ولكنا اتبعنا ذلك بالسوط ، لأن هذا الرجل يصرف (جهدا وعبقرية وحذقا) في امور لا تنفع الناس ولا تعود عليهم بخير ولا تدرأ عنهم خطرا ولا تشخص لهم داء ولا تحل لهم مشكلة .....ولو ساد منطق واسلوب ذلك الخليفة العظيم في هذا الزمان المعاصر فان تجار السياط (يعني الكرابيج) سوف يصبحون اغنى بائعي السلاح في عصرنا الحاضر ولأضحت جلود الفيلة وافراس النهر ــ التي تصنع منها السياط ــ في السودان ، اهم من مناجم اليورانيوم والكوبالت والتيتانيوم والبورون ومعامل انتاج الماء الثقيل ، وذلك لسبب بسيط جدا : وهو ان عدد (البهلوانات) الذين يضيعون اوقات الناس واموالهم ويصبون عبقريتهم وفكرهم في امور لا تعود بالنفع العام ، او تحل للناس مشاكلهم ، او تشخص عللهم ، يحتاجون لمؤسسة صناعية عالمية لانتاج السياط الكافية لتطبيق فلسفة ذلك الحاكم الفريد المثالي .... ولعل اعجب نوع من (البهلوانات) المعاصرين ، هم اولئك الذين يحاولون اليوم (في العالم الاسلامي على سعته ومآسيه) ان يجعلوا من نكبة الاسلام في (افغانستان) ، غطاء يواري سوأة كل ما سبقها من نكبات منذ ابتلاع (موسوليني) للدولة الاسلامية الوحيدة في اوربا وهي (البانيا) ، حين ظهر له الضوء الاخضر (من مصادره) ليتحرك في ذلك الاتجاه ، ومرورا بنكبات المسلمين في فلسطين وأرتيريا وقبرص وشرق افريقيا والفلبين وجنوب شرق اسيا ، وغيرها من بقاع العالم التي ظهر فيها الضوء الاخضر لاغتيال المسلمين وتصفية سياداتهم وخلخلة عقيدتهم وبث السموم في ارجائهم .... (وحيث انه) لا مجال لجلد هؤلاء البهلوانات بالسياط التقليدية، فان السوط الوحيد الذي يمكن ان نجلد به بهلوانيات التاريخ المعاصرة ، في عالمنا العربي الإسلامي العجيب ، ان نسمح (لكلمة حق) عارية ان تقال ، وان نضع كل النقاط على كل الحروف ، وان نتأكد ان نكبة المسلمين في افغانستان عظيمة ولكنها تقف على قدم المساواة او هي حلقة في نفس السلسلة كحلقة ضياع القبلة الاولى وشيوع كلمة اورشليم بدل بيت المقدس ، او دفن عشرات المسلمين وسحلهم في تلال الخنادق في قبرص والفلبين او شنق علمائهم في ارتيريا واستعباد عقول واخلاق ولدانهم وشبابهم ، وغيرها من النكبات مما لا مجال هنا لحصره وتسطيره .....لانه كثير طويل قديم.....

فالمجاهد من يصيبه في افغانستان منطلقا (لا بهلوانيا) ويمنح الحرية ، كل الحرية ، لمجموعة منتقاة (من غير البهلوانات) من كل ارجاء العالم الاسلامي (بلا استثناء) لتلتقي في اي ركن من الجزيرة العربية ، مهد النبوات ، ومنبت الاسلام ، لتحدد النقاط الحقيقية لأسباب مهانة المسلمين المعاصرين وسوء حالهم ، ولتشير بكل امانة الى الثغرات التي اتى وسيأتي منها المسلمون ، ثم تعرض على اولي الامر في غير ما تنطع ولا تقعر ولا كثير فلسفة وتشدقات ، وبمنتهى الجدية والتركيز ، الحلول التي يراها الاسلام ، لكل اوطان المسلمين ، لتدرأ عنهم الاخطار المحتملة القادمة ، ولتحدد بكل الدقة والامانة ، على سعة العالم كله ، من هم الافراد والجماعات والحكومات العدوة للاسلام والمسلمين ، ولتضع حدا فاصلا بين الجد والهزل ولتسلط الضوء الموضح لتبيان السوس الذي ينخر في داخل المجتمع الاسلامي ذاته كظهور خلس للمتربصين حوله ، لينتقل من هذا كله إتفاق شامل واضح على علاج المجتمع الاسلامي من داخله بطريقة (علمية عقلانية تامة الوعي والادراك) قبل فوات الاوان وقبل ان يطمئن البهلوانات الى ان الزمان زمانهم والكلمة كلمتهم وانهم هم الذين يصنعون التاريخ ....

درويش مصطفى الفار

إشراف: خديجة الصدر

محاولات للحد من خطر السكر



في مطلع العقد الثالث من هذا القرن وبالتحديد في منتصف عام ١٩٢١ سجل الطب انتصارا مدويا باكتشاف مادة الانسولين التي ساعدت على انقاذ حياة مئات الالاف من مرضى السكر ولكن — وبالرغم من اهمية ذلك الكشف العلمي فان مرض السكر يأتي في المرتبة الثالثة من حيث الخطورة على حياة الجنس البشري بعد امراض القلب والسرطان، فالانسولين يعمل فقط على تخفيف وطأة المرض ويقلل من امكانيات حدوث تعقيدات اخرى عند ظهور اعراض المرض، والسكر لا يعني فقط ان هنالك نسبة عالية من السكر في الدم ... فهو يكاد يؤثر على جميع اعضاء جسم الانسان، وهنالك الملايين من مرضى السكر الذين يعانون من ارتفاع ضغط الدم والعمى والغنغرينة والاضطرابات العصبية والالتهابات المزمنة.

وبصفة عامة هنالك نوعان من انواع الاصابة بهذا المرض، الاول منهما ما يعرف بالسكر الحداثة وهو النوع الذي يصيب الاطفال ويستوجب تناول الانسولين في جميع الحالات تقريبا والنوع الاخر هو ما يحدث لدى المتقدمين في السن ويكون اقل خطورة بل وعليه التحكم فيه عن طريق عقاقير تؤخذ بواسطة الفم او باتباع نظام غذائي صارم.

اعراض السكر عند الاطفال

وفي اغلب الاحوال فان اعراض مرض السكر لدى الاطفال تظهر تحت وطأة الظروف والانفعالات النفسية كالمشاجرات او الامتحانات المدرسية وبعكس ما هو شائع فان عنصر الوراثة يتسبب في حوالي ١١٪ فقط من حالات هذا المرض لدى الاطفال وينجم معظمها عن عجز خلايا البنكرياس في إفراز الانسولين بكميات كافية.



طفلة تعد جرعة الانسولين

... والكبار

أما الإصابة بالسكر لدى الكبار فغالبا ما تحدث بالتدرج دون أن تكون مصحوبة بالاعراض المعروفة كالعطش وكثرة التبول . وقد تأتي مقدمات المرض على هيئة بثور ودمل وعدم التئام الجروح والتقرحات بصورة تامة . وهنالك العديد من الحالات التي لا يتم فيها اكتشاف الإصابة إلا بعد سنين طويلة على حدوثها فعلا . وتجدر الإشارة هنا إلى أن السكر في مراحل ما بعد البلوغ يكون ضحاياه في معظمهم من ذوي الأوزان الزائدة ويتسبب عنصر الوراثة في حدوث ما يوازي ٨٥ ٪ من الإصابات .

بعد ظهور الإصابة

وبعد ظهور الإصابة فان الاطباء يوصون المريض بملازمة سرير المستشفى حتى تستقر المراقبة والفحوصات المتصلة عن التحكم في معدلات السكر في الدم وتحديد كمية الانسولين التي تناسب كل حالة وعدد مرات تعاطيها وكما اسلفنا فان معظم حالات الإصابة بالسكر لدى الأطفال تستوجب تناول الانسولين كوسيلة وحيدة لدرء خطره . كما وان ٢٠ ٪ من مرضى السكر من كبار السن تستلزم حالاتهم تعاطى الانسولين ايضا ويعلق الاطباء اهمية كبرى على الربط بين جرعات الانسولين والنظام الغذائي والحياتي للمريض إذ أن عدم تعاطى الغذاء بدرجة كافية او الافراط في التمارين الرياضية قد يؤدي الى هبوط حاد في معدلات السكر مما يؤدي بدوره الى حدوث ما يعرف بالصدمة او الغيبوبة .

وبما أن حالات المصابين بالسكر في سن الرجولة لا تستدعي في معظمها المعالجة بالانسولين فان تخفيض معدلات السكر في الدم يتم بواسطة الاقراص المضادة للسكر التي تم اكتشافها في الخمسينات وقد قل استعمال هذه الاقراص في السنوات الاخيرة بعد ان ثار جدل طبي حول احتمال تسببها في إحداث امراض القلب ، غير ان تعديل وضبط النظام الغذائي مع العمل على تخفيف الوزن يؤديان بالضرورة الى الاقلال من نوبات المرض .

غذاء مرضى السكر

ومن الجديد في عالم هذا المرض أن الابحاث التي اجريت حديثا في هذا المجال قد دحضت الفكرة التقليدية السائدة حول نوعية الطعام الذي يوصى به للمصاب . فقد درج الاطباء على توجيه مرضاهم في الامتناع كلية عن السكريات والنشويات وتناول كميات كبيرة من البروتينات والدهنيات ولكن نتائج الابحاث الاخيرة اثبتت ان الدهون تعيق التحول الكيماوي للسكر ، وان النشويات قد تزيد من معدل مثل ذلك التحول مما حدا بجمعية مرضى السكر الامريكية التي اشرفت على تلك الابحاث ان توصي بوجبات طعام تحوي ما يوازي ٥٠ الى ٦٠ ٪ من السعرات الحرارية المستخلصة من المواد الكربوهيدريتية و ٣٠ ٪ من المواد الدهنية . وتشدد الجمعية على عدم استعمال السكر العادي بتاتا وتوصي بان تكون مصادر النشويات (مركبة) كما هو الحال في الارز ومختلف انواع الغلال .

وقد توصل الدكتور جيمس اندرسون من جامعة كنتكي بالولايات المتحدة إلى ان الخضر والبقول التي تحوي الالياف قد تغنى صغار المرضى عن تناول ما يعادل ٢٥ ٪ من جرعات الانسولين التي اعتادوا عليها إذ ان تلك الالياف تقلل من سرعة امتصاص الامعاء للنشاء والسكر .

كيف تتم الإصابة بالمرض

غير ان الشغل الشاغل للباحثين في هذا المجال هو معرفة المسببات الحقيقية لهذا المرض . فريق منهم

يعزى حدوثه إلى الإصابة ببعض الفيروسات ويدعمون رأيهم هذا بظاهرة ارتباط مرض السكر لدى بعض المصابين بأعراض مرضية أخرى كان يظهر المرض عقب الإصابة بالتهابات الجهاز التنفسي وقد دللوا على صحة ما ذهبوا إليه بعد أن توفي أحد الأطفال في أحد مستشفيات مدينة واشنطن حيث كان يعالج من الإنفلونزا ولكن التشريح اثبت أن سبب الوفاة هو السكر الذي نتج عن التلف الكامل لخلايا البنكرياس وتم العثور على الفيروس المعروف طبياً بكوكساكي ب وهو من الفيروسات المعروفة في التهابات الجهاز التنفسي ، وحقن ذلك الفيروس في أجسام الفئران ظهرت عليها أعراض مرض السكر.

ولكن معظم الإخصائيين يرى أن الربط بين السكر وتلكم الفيروسات لا يميط اللثام بصورة كافية عن لغز المرض إذ لم يحدث إطلاقاً أن ظهر السكر كموجة وبائية كما يحدث في نزلات البرد . ويرجحون أن يكون مرضى السكر مزودين بمناعة خارقة تجعلهم قادرين على إفراز أجسام مضادة ضد خلايا جسمهم نفسها ، تماماً كما يحدث لدى المصابين بروماتيزم القلب أو مرضى الكلى المزمن.

ولكن الثابت أن أيا من العاملين السابقين لا يلعب دوراً في احداث السكر لدى البالغين . فالذي يحدث في بعض هذه الحالات هو أن خلاياهم تهرم وتشيخ قبل الأوان كما في حالات الشيب المبكر . أما الغالبية العظمى منهم فقد تبين أن أوعية استقبال الأنسولين في أجسامهم مصابة بخلل عضوي خاصة في الكبد والأنسجة العضلية . وهذه الأوعية عبارة عن أجزاء من الخلايا يمارس فيها الأنسولين مهمته في التحويل الكيماوي للمواد الكربوهيدريتية . فإذا قام المصاب بالتقليل من السعرات الحرارية التي يتناولها فإن عدد الأوعية يتزايد بالمقابل ، مما يساعد على تخفيف حدة المرض وبالتالي فقد استنتج الأطباء أن السبب الأول في فشل تلك الأوعية في أداء مهامها هو أن المريض يحملها ما لا تطيق من السعرات الحرارية الزائدة.

في مجال التشخيص والعلاج

وقد شهدت السنوات الخمس الأخيرة من العقد المنصرم تطورات طبية واسعة في مجال تشخيص ومعالجة هذا المرض . ففي مجال الفحص المختبري يمكن الآن للمريض أن يجري فحصاً دقيقاً لدمه دون اللجوء إلى اختصاصي وذلك بأن يضع نقطة صغيرة جداً من الدم على شريحة من الورق المعد لهذا الغرض ثم يقوم بوضع الشريحة داخل « عداد الجلوكوز » الصغير فيعطي قراءة مضبوطة لنسبة الجلوكوز في الدم مما يسهل عليه - بعد استشارة الطبيب - أن يحدد حجم الجرعة وعدد مرات تناول الأنسولين ويتأتى له أيضاً أن يقوم بالفحص مرة أو أكثر من مرة في اليوم حسب مقتضى الحال.

البنكرياس الاصطناعي

والصورة الثانية [illegible] في مجال [illegible] جهاز الأنسولين [illegible] التوصل الى [illegible] البنكرياس الاصطناعي [illegible] بالنسبة لرصيفه الطبيعي . ويرجع الفضل في هذا الاختراع للدكتور فليب فليق وزميله وليم تامبرلين من جامعة

مريض واحد من مائة، عاش بنكرياس مزروع لمدة أربع سنوات ونصف، دون الحاجة إلى الأنسولين!

البنكرياس الاصطناعي يتدلى من على الحزام

ييل بأمريكا . وهو عبارة عن مضخة أنسولين صغيرة تتدلى من حزام حول الخاصرة وتعمل بالبطارية الجافة وتقوم هذه المضخة بحقن الجسم تلقائياً بكميات الأنسولين المطلوبة ، يساعدها في ذلك جهاز صغير ملحق بها يقوم بقياس نسبة الجلوكوز في الدم وتحديد الجرعة الدوائية . وقد نجح البنكرياس الاصطناعي هذا في حفظ التوازن الضروري بين المواد المختلفة في الدم لنسبة عالية من مستعمليه.

تجارب زرع البنكرياس

ويؤمل الأطباء أن تسفر عمليات زرع البنكرياس على غرار سائر الأعضاء ، عن حسم نهائي لمعضلة مرض السكر ، وبالرغم من أنهم أجروا حوالي تسعين عملية لزراعة البنكرياس فشلت كلها أو معظمها بسبب رفض الأجسام المتلقية لجسم المزروع أو لوفاة المرضى نتيجة لأعراض مرضية أخرى ، إلا أن مريضاً واحداً ظل يعيش أربع سنوات ونصف ببنكرياس مزروع دون أن يحتاج إلى جرعات أنسولين الأمر الذي دفع الأطباء إلى التفاؤل حول مستقبل نجاح زراعة البنكرياس . وعلى صعيد آخر مازالت التجارب المبشرة تجرى على مجموعات أخرى من المرضى وذلك بزرع الخلايا المأخوذة من البنكرياس عن طريق حقنها في الجسم لتصبح متصلة بالكبد.

تفاؤل بالنجاح

وبالرغم من كل العثرات التي واجهت هذه المحاولات إلا أن الباحثين الطبيين في مجال هذا المرض متفائلون بنجاحهم . فانخفاض نسبة الوفيات بين النساء اللاتي يعانين من السكر عند الولادة ، ونجاح العمليات الجراحية بأشعة ليزر للشبكية بالنسبة لمرضى السكر المهددين بالعمى ، والنجاح الأكبر لعمليات غسل وزراعة الكبد كلها بشائر تدل على أنه من الممكن جداً وفي المستقبل القريب أن يتم التحكم والسيطرة على هذا المرض ، بل ومنع حدوثه أيضاً .



منذ لحظة الحمل مباشرة يبدأ جسمك استعداده للقيام بمهمة حمل وتغذية الجنين لمدة تسعة أشهر. فما الذي يحدث؟ وكيف؟

إن كثيراً من النساء، وخاصة أولئك اللاتي سبق أن ولدن طفلاً واحداً على الأقل، يدركن أنهن قد حملن، وذلك بزمن طويل قبل أن يكون اختبار الحمل عليهن ممكناً، وأحياناً قبل أن ينقطع الحيض. وقد تحسين بأن شهيتك قد تغيرت، وربما أحسست بميل إلى الغثيان أو لاحظت أن ثدييك أكثر طراوة، وأنك ميالة إلى التبول مرات أكثر مما هو عادة. ويمكن لهذه التغييرات أن تحدث من الحمل، وهي أول وأكثر المؤشرات إلى الأمور التي ستحدث بشكل دراماتيكي في جسمك لتمكنك من حمل وتغذية الجنين لمدة تسعة أشهر، فالحمل بالضرورة، مصحوب بتغييرات مفاجئة في كيمياء الجسم تؤثر على كل أجزائه، ففي اللحظة التي يشعر فيها جسمك بأن تلقيح البويضة قد تم، وأنها استقرت في جدار الرحم، يبدأ يبث رسائله - الهرمونات - للشروع في الاستعداد لأربع مهام أساسية هي:

● الحصول على المواد اللازمة لعملية بناء جسم الطفل.

● الإعداد لتوفير هذه المواد في الوقت والموضع اللازمين.

● توفير بيئة ملائمة لنمو الجنين، وتسهيل التخلص من فضلاته.

● تكوين المواد الغذائية التي تؤمن تغذية الطفل بعد مولده.

وسيصبح كل ذلك مفهوماً لديك وبطريقة عملية أن ألقينا نظرة على الأجهزة المختلفة بجسمك.

الدورة الدموية

عندما يبدأ الجنين في النمو، فإن رحمك يتمدد ويكبر، وهذا يعني أن كمية الدم الجاري في جسمك قد زادت، وهي زيادة بمقدار خمسين بالمائة على الأقل، لأن الجسم يحتفظ بالماء. كما أن خلايا الدم الحمراء تزيد، وتستمد كميات من الحديد المختزن في جسمك، ويكبر حجم قلبك كيما يتمكن من ضخ هذا الدم الزائد حول الجسم.

وفي الثلاثة أشهر الأولى يرتفع القلب انتاجه من الدم، وهذا يفرض على جهاز الدورة الدموية كله أن يحسن أداءه، وتزداد كمية الدهون في الدم لأنها لازمة

لتصنيع الهرمونات ، وتأخذ بعض الخلايا التي تقوم بعملية التجلط في التناقص ، مما يترك أثرا جانبيا سلبيا وهو خطر النزيف أثناء الحمل ، لأن المادة الخاصة بتخثر الدم وتجلطه قد نقصت ، وبالتالي فإن الدم يحتاج لزمن أكبر ليتخثر ويتجمد . ولكن ينبغي ألا تجزعي لهذا أو ينتابك قلق ، لأن طبيبك يعرف هذا ، ويستطيع القيام بما هو ضروري لعلاج الأمر .

ويمكن لأي امرأة حامل في شتاء شديد البرد أن تلاحظ تأثيرا جانبيا آخر ، وهو انخفاض احساسها بالبرد ، وذلك نتيجة للدفء الذي يبعثه الدم الزائد في الجلد . ولكن هذه الزيادة تسبب نوعا من التورم في عروق الأجزاء السفلى من جسمك ، وبالتالي نوعا من الالتهاب بعد الولادة .

ردود فعل معقدة

ولا ندري بالضبط الكيفية التي تتم بها كل هذه التغييرات ، لأنها عملية معقدة للغاية ، ويعتمد كل رد فعل فيها على استجابة أخرى في مكان ما بالجسم . ولكن ما ثبت هو أن للهرمونات التي تفرزها المبايض والمشيمة دورا في كل هذا . إن جسمك يحتاج ، أثناء الحمل ، الى كميات أكبر من الأوكسجين ، خاصة قبيل نهاية التسعة أشهر ، ويوفر جسمك هذه الكميات الإضافية من الأوكسجين بزيادة تنفسه . وهذا التنفس الزائد هو ما يفسر ميل بعض النساء لحالات من الإغماء أثناء الحمل ، ويسهم الجسم أيضا في زيادة التنفس ، وذلك بتوسيع قفص الصدر ، الذي يرتفع ، وهذا يرفع الثديين ، مما يمكن الرئتين على العمل بكفاءة أكبر ، وبالمناسبة ، فإن مغنى الأوبرا يقضي سنوات عديدة في تدريب نفسه على توسيع قفص صدره ليتمكن من أداء الألحان العليا والطويلة دون مشقة .

الكليتان

يشعر عدد كبير من النساء بالحاجة الى التبول مرات عديدة ، مما يسبب لهن بعض الإزعاج ، وذلك نتيجة لزيادة حجم وتدفق الدم ، مما يكلف الكليتين عملا إضافيا للتخلص من الفضلات التي تفرزها الأم وجنينها ، وذلك ما يفسر ارتفاع كمية البول منذ الأيام الأولى للحمل وحتى الأسبوع الثاني أو الثالث بعد الولادة .

ولا تجد الكليتان ، وقد زاد عملهما وسرعة أدائهما أثناء الحمل ، الوقت الكافي للتدقيق في ما تفرزانه كما هو أمرهما في الأوقات العادية ، ولذا أظهرت بعض الفحوصات أن النساء يفرزن السكر وبعض الفيتامينات الذائبة في الماء مثل فيتامين سي . ولكن كل ذلك يتوقف بعد الولادة .

الهرمونات

تقوم الهرمونات ، وخاصة البروجيسترونات ، بتنشيط شهيتك للأكل أكثر في الثلاثة أشهر الأولى وذلك حتى يختزن جسمك الدهن الضروري لإطعام الجنين بعد الولادة . وهذا المعدل المرتفع من الهرمونات المختلفة في الجسم هو السبب في ذلك الشعور الذي قد ينتابك في الصباح والذي يشبه زيادة الحمض في الدم ، وذلك إن ... الشديد للماء ... هو أمر طبيعي ، فقد تشعر المرأة برغبة جامحة في الفاكهة ، لأنها تتخلص من الفاكهة والفيتامينات عند التبول . ومن آثار هرمون البروجسترون أن يرخي العضلات كيما تسهل الولادة ، الأمر الذي يجعل عملية إفراغ المعدة بطيئة أحيانا ، ويسبب نوعا من الحرقان أيضا .

وتصل هرمونات الجنس الى عشرة أضعاف وجودها العادي في جسم الحامل ، وكذا الهرمونات الأخرى مثل الأدرينالين والثيروئيد والكورتيزون . وكل هذه الزيادات تحدث تغييرات عديدة : فالثدي يتغير ، والحيض يتوقف ويختزن الجسم الدهون ، وتعمل الأجهزة الكيماوية بكفاءة أفضل ، حتى أن المرأة الحامل تشعر بطاقة هائلة ونشاط كبير في أحايين كثيرة ، فتقرر فجأة أن تقوم بإعادة طلاء حجرة ما ، أو النقل وهي في الشهر السابع من الحمل .

ولأن هذه الهرمونات تجري في دفعات فإن الحامل متغيرة الأحوال ، فبعد نشاط فيض ، تحس بالخمول وفقدان الطاقة ، وكل ذلك راجع الى نشاط الهرمونات .

ومن آثارها أيضا تلك الخطوط التي تظهر على الثديين والفخذين والبطن ، كما أنها تؤثر على الرغبة ، فتتأرجح بين الحماس الشديد للجنس ، وفقدانها له بشكل تام .

الوزن

لابد أنك لاحظت أن وزنك قد زاد بعد الحمل ، ويمكنك أن تتوقعي زيادة ٢٦ أو ٢٧ رطلا ، أي بمعدل رطل واحد كل أسبوع خلال الستة أشهر الأخيرة من الحمل . أما في حالة الحمل لأول مرة ، فإن الزيادة المتوقعة في الوزن أكثر منها في أي حمل لاحق ، ويمثل وزن الجنين ثلث تلك الزيادة تقريبا ، والباقي هو دهون وسوائل ، ربما يصل وزنها الى سبعة أرطال ، وغالبا ما تكون في منطقة الردفين والفخذين والبطن ، وما زيادة الوزن إلا لإعطاء الحامل الطاقة والقدرة لتغذية الطفل لمدة ثلاثة أشهر من لبن ثدييها حتى وإن كانت تتناول كميات صحيحة من الطعام ، وبالنسبة الطبيعية .

تغييرات

وتحدث كل هذه التغييرات تقريبا بعد الحمل مباشرة ، ولكن بعض النسوة يشعرن بها قبل الحركات ، وعلاوة على التغييرات التي أشرنا إليها آنفا ، ستلاحظين أن حلمتي ثدييك وما جاورهما تميلان الى لون داكن ، أما وجهك فيميل الى السمرة ، وربما لاحظت أيضا أن جدران المهبل قد تغير لونها ، فصار مائلا الى الزرقة ، وذلك نتيجة لزيادة جريان الدم ودورته . كما أن افرازات المهبل يتغير نسقها وكميتها .

ولا تجزعي إن زادت كمية عرقك ، وشعرت أحيانا بإمساك ، لأن جسمك يحجب الماء عن المصارين .

وليس من الضروري أن تحدث كل هذه التغييرات لكل النساء وبنفس الدرجة . وستعرفين بعد مناقشة الأمر مع بعض الأطباء وصديقاتك مدى الاختلاف في التأثر بهذه التغييرات ، ومتى عرفت ذلك ، والسبب الكامن وراء كل هذه التغييرات ، فإن بالك سيطيب ، ويقل مخاوفك .

وفي النهاية ، نود أن نؤكد أن جسمك قد خلق مزودا تزويدا كاملا للتكيف مع كل ما يتصل بالحمل والولادة ، وهما أمران طبيعيان وصحيان لأنهما جزء من الحياة لا ينفصل عنها .



الوخز بالإبر

عرف الصينيون المعالجة عن طريق الوخز بالإبر منذ الاف السنين، وظلوا على تمسكهم بهذه الوسيلة العلاجية الغريبة حتى انتقلوا بها من طور الفولكلور الطبي إلى عوالم الطب الحديث. فأصبح العلاج بالإبر ممارسة مقبولة في أركان الدنيا الأربعة بعد أن كان مدعاة للسخرية والتهكم لمنظر المريض الذي يشغل الشكك مع أطفاله وهم يستأصلون جزءا من رئته ومنظر السيدة التي تلد طفلة أثناء اجراء عملية والادة قيصرية لها ـ دفعا بالعالم الغربي إلى احلال الإشادة والتقدير محل السخرية والتهكم.

ولا يزال الصينيون نظرياتهم عن العلاج بالوخز على أساس الفكرة القديمة القائلة بأن الناقة والطاقة البدنية مصدران متصلان ومتصلان ببعضهما. ويؤمن الصينيون بأن الطاقة الحيوية تسري خلال الجسم البشري عبر قنوات معينة تقابل الأعضاء الأساسية أو الرئيسية في الجسم فإذا توقف ذلك السريان أو حدث فيه اختلال، فإن ذلك يقود إلى الألم والمرض. ويمكن تفادي ذلك بإبلاج الإبر في مواقع معينة عبر تلك القنوات مما يؤدي إلى إزالة الألم واستكمال العافية.

وقد حدد الطب الصيني القديم اكثر من ٣٦٠ موقعا اساسيا صالحا لاستعمال الإبر على الجسم إلا أن الأطباء تمكنوا فيما بعد من تبسيط المسألة وحصر المواقع والاقلال منها.

وقد نجحوا بصورة خاصة في حصر المواقع التي يمكن ممارسة العلاج عليها فأصبح من الممكن أن يؤدي الوخز في نقطة واحدة فقط إلى إزالة الألم في مواقع معينة من أجزاء بأكملها من الجسم البشري. ويثبت ما توصل إليه الصينيون صحة ما ذهب إليه الطب الشعبي في عالمنا العربي عن أهمية الدلك لمكافحة أمراض معينة في العضلات والعظام، فهم ينصحون بممارسة العلاج الذاتي في بعض الحالات عن طريق الضغط والدلك الخارجي في نقاط معينة وفقا للنظرية الاساسية للوخز بالإبر.

وبما أننا نتناول المسألة هنا بمعنى التفصيل فلا بأس من أن نخوض فيه بقصد منه ولا واجب التبويب والاحاطة بقصد كما أن وفرة الاسلوب في المشكلة في المسألة تسبب بقل ما نشهده إليه من جانب المعالجة نفس أو يحملك على مخاطر الوجود العصبي القعيدة

ونعود إلى صلب موضوعنا فنقول أن الضغط الخارجي على مواقع الإلم حسب النمط المتبع في العلاج بالوخز لبعض الأمراض يؤدي إلى زوال الألم ولو بصورة مؤقتة تماما كما لو كان المريض قد تناول العقار الكيماوي الموصوف لذلك الوجع المحدد ذاته وقد يمكن معالجة بعض الامراض مثل الأرق عن طريق الدلك بعض أجزاء الجسم بالضغط الإبهام.

ولا تتعدى مساحة أي موقع من مواقع الضغط الخارجي سقف سنتمتر مربع تقريبا على مقعرها سهلة التعقب لحساسيتها وخصوصيتها مما يسهل التعرف عليها وتحديدها للألم.

وطريقة الضغط الخارجي سهلة للغاية فيمكنك مثلا وعلى ضوء الرسوم التوضيحية المصاحبة لهذا الموضوع أن تحدد الموقع الذي تختاره ثم تضغط عليه مستعملا أقوى الأصابع (الإبهام) مع هزه وتحريكه من اليسار إلى اليمين ويمكن التوصل إلى نتائج أحسن باستعمال الغطاء البلاستيكي الموجود في مؤخرة أقلام الحبر الجافة.

١ ـ التواء الكاحل

في حالة الكسر الذي يستوجب التصوير بالاشعة يمكنك تلك تعليك يساعد على تخفيف الألم لحين وصول الطبيب

الضغط باصابعك في الموقع الذي يقع أسفل عظمة الكاحل البارزة من الداخل أو الخارج حسب موقع الورم على أن يكون الضغط بطريقة عمودية لا تعمل على تغيير مواقع العظام المهشمة إذا كان الورم مركبا.

٢ ـ الإغماء

قد يكون مصدر الاغماء أمرا خطيرا كاضطرابات القلب ولكن معظم حالات الاغماء لا تشكل خطورة وقد يكون سببها مثلا حمى مفاجئة سيء ويحدد الخبراء الوخز بالإبر أسفل العقلة الأولى من الإصبع الصغير (الخنصر) لمارسة الضغط ويحسن أن يكون الشخص المتلقي للعلاج راقدا على ظهره.

٣ ـ التسمم

وهنا نعني التسمم الكحولي أو الناجم عن تعاطي عقار مخدر والنقطة المثلى للضغط في هذه الحالة في جانب الجمجمة في المنطقة الواقعة أعلى الأذن بحوالي بوصتين وفي حالة التسمم الكحولي يمارس الضغط على أرنبة الأنف.

صابر ـ المستشفى زيه حدى فيها المريض بإبرة واحدة الطبر الذراع

- الطب الصيني القديم حقق أكثر من ٦٠٪ من حالات الاستعمال الإيجابي
- الضغط الخارجي على مواقع الألم لبعض الأمراض طريقة مجربة لزوال الألم
- معظم حالات الإغماء لا تشكل خطورة .. فالوخز أحدث نتيجة خير علاج

برفق حتى لا يسبب الضغط القلق لدى المتلقي .

٤ – التقلصات

وهي نوعان الأول منها يتصل بالأوعية الدموية والثاني بالعضلات والأخيرة منها كثيراً ما تعقب ممارسة الرياضة بصورة عنيفة خاصة في بطن الساق ولإزالة الألم في ذلك الموقع يتم الضغط على بطن الساق عند منتصف المسافة من الركبة إلى الكاحل وبصورة أكثر تحديداً بين عضلتي الساق اللتين تبرزان إذا وقف الإنسان على أطراف أصابعه ويكون الضغط شديداً لعمق الفجوة بين العضلتين .

٥ – الانقباض النفسي

ويشعر الانقباض النفسي للمدى المصلحة النفسية السريعة ولكن اختصاصي الوخز يرون أن أحسن السبل لمنع تفاقمه تكون بالاستلقاء على الظهر في استرخاء كامل ثم بتدليك منطقة الرسغ في كل من اليدين بعدها تدلك النقطة الواقعة بين السرة والأضلاع وكثيراً تغير بطرس التدليك بالضغط على أعلى نقطة على الرأس أي حيث يلتقي الخط الموصل بين الأذنين .

٦ – الصداع

أفضل مواقع التدليك في حالات الصداع هي ذلك الجزء من اليد الذي يحس منه الطبيب النبض على أن يتم تدليك ذلك الجزء على اليدين بالتناوب .

٧ – الغثيان عند السفر

يفقد كثير من المسافرين فرص الاستمتاع بالرحلات التي يقومون بها لما ينتابهم من غثيان وميل نحو التقيؤ ويكون الأمر خطيرة لدى الأطفال لأن ذلك قد يعرضهم لفقدان السوائل ولتفادي ذلك يمكن التمهيد للسفر بممارسة التدليك الخفيف على النقطة الواقعة في منتصف المسافة بين السرة ونقطة التقاء الضلوع .

٨ – آلام العادة الشهرية

تستوجب تصليات العادة الشهرية عند الفتيات مهلة للضعف لديا تؤل الساعة أي وقت ويقترح الأطباء الصينيون تخفيف الآلام عن طريق تدليك الإصبع الكبير في القدم في النقطة القريبة التي تلي أصل الظفر على أن نقطة الضغط والتدليك في جميع حالات أمراض النساء تقع على قمة الساق من الداخل على ارتفاع ما يوازي خمسة أصابع من عظمة الكاحل .

٩ – عسر التنفس

قد يكون عسر التنفس عرضاً لمرض خطير وقد يكون بالطفل ناجماً عن التهابات عارضة أو انفعالات مفاجئة ويستحسن على الراحة المريحة يجب أن يستلقي المصاب بشكل مريح أو لذلك له مفصل العقدة المقاربة الثالثة من أسفل القدم .

١٠ – الألم الفمي

ويعالج الألم الفمي بالضغط على النقطة القريبة من نهاية العقلة الأولى من السبابة فيما تحت الظفر ويكون تحديد السبابة اليمنى أو اليسرى حسب موقع الضرس أو السن المسبب للألم ويقول الأطباء الصينيون أن هذا العلاج قد يغنيك عن استعمال المخدر عند انتزاع الضرس التالف .

١١ – الأرق

يعرض الجسم حالتين من النوم إحداهما ثقيلة عندما يكون الجسم مسترخياً والأخرى خفيفة وهي التي تقود إلى عالم الأحلام وهي مسألة ضرورية وحيوية بالنسبة للصحة العقلية والمعروف أن معظم الحبوب المنومة تقود إلى النوم العميق وكثيراً ما يسمى للأرق وهو يعاني من آثار المخدر ولعلاج الأرق بصورة طبيعية ينصح أطباء الوخز بالإبر بممارسة التدليك الخفيف على العقلة الأولى من الإصبع الثاني في القدم المجاور للإصبع الغليظ ويمكن أيضاً تدليك المفصل الأخير لإصبع القدم الكبير .



نقط الوخز بالإبر الصينية باليدين لعلاج الأمراض

كتابات علمية

الدهون.. لا تشفي من أمراض القلب

كتب البروفسور المتقاعد وأستاذ الطب السابق بجامعة لندن سير جون ماكمنشل مقالاً لصحيفة (بريتش ميديكال جورنال) قال فيه إن الطعام الذي تكثر فيه الدهون غير المشبعة يتلف عضلات القلب ويزيد مخاطر حصوة المرارة وسرطان الأمعاء. وقال إن هذه الدهون لا تحمي القلب من أخطار النوبات.

وقد ساد إعتقاد منذ عام ١٩٦٧ بفائدة الدهون غير المشبعة في الوقاية من أمراض الجلطة الدموية والشريان التاجي وكان هذا الإعتقاد مبنياً على تقرير اللجنة الملكية في هذا الموضوع. لقد تسبب هذا التقرير في تناول الناس للدهون بنهم كبير للوقاية من تكونات الكلسترول في الدم.

والدهون غير المشبعة مصدرها بعض الزيوت النباتية وزبدة المرغرين الناعمة، كما توجد في اللحوم وشحوم الألبان خاصة الزبدة والجبن. وقد جاء الربط بينها وبين ارتفاع الكلسترول في الدم وتصلب الشرايين.

ويقول سير جون ماكمنشل والذي كان رئيساً للمؤتمر الدولي لأمراض القلب في عام ١٩٧٨: احاول دائماً زراعة الأمل في قلوب مرضاي ولكني لم أجد يوماً المريض القاطع على الفهم إذا تناولوا زبدة المرغرين بمساعدتهم في الشفاء. لقد انتقص تقرير اللجنة الملكية والطريقة التي استخدمتها به الإعلام التجارية وقررت أن أكتب بحثاً أفند فيه الحجج الباطلة التي ساقها ذلك التقرير حتى لا تصبح حقيقة بكثرة التداول.

ويؤكد سير جون أنه على الرغم من حقيقة كون الطعام الذي يحتوي على دهون غير مشبعة يقلل الكلسترول في الدم إلا أن ذلك ليس برهاناً قاطعاً على تقليل النوبات القلبية. ومن ناحية أخرى فإن تخفيض كلسترول الدم قد يؤدي إلى تضخم الكبد والقناة الهضمية الأمر الذي قد يؤدي إلى حصوة المرارة وسرطان الأمعاء.

تعرض البروفسور المتقاعد سير جون ماكمنشل إلى هجوم عنيف ومن المحتمل أن يظل مطروحاً في هذا الموضوع لأن الصحف البريطانية لا تزال في إعداد تلك نسبتها قبل نهاية هذا العام سيصبح فيه القلب مشغول من ذلك.

شركات سجائر تخفض القطران والنيكوتين بنسبة كبيرة؟

معظم شركات السجائر تسعى إلى تقليل نسبة القطران والنيكوتين في سجائرها ولكنها لا تستطيع ذلك بالنسبة لمادة ضارة أخرى هي غاز أول أوكسيد الكربون.

إلا أن مصانع تبغ يونيكو اليابانية تمكنت من صناعة فلتر خاص يخفض هذه المواد السامة بنسب كبيرة. ويقول المسؤولون في مصانع يونيكو إن هذا الفلتر الذي يحتوي على محلول (فوق أوكسيد الهيدروجين) يزيل السموم بنسب تصل إلى ٢٦٪ من القطران و ٨٤٪ من النيكوتين، و ٣٠٪ من غاز أول أوكسيد الكربون.

قامت شركة أساهي للبصريات اليابانية أصغر وأخف كاميرا في العالم من ذوات العدسة الواحدة والكاميرا اسمها بطام (بنتاكس ١١١) وهي في حجم علبة السجائر ووزنها ست أوقيات، ورغم نظام تحميلها وحفة وزنها فهي لا تقل جودة عن الكاميرات الكبيرة، بل تفوق عليها بنظامها المرن في تركيب الأفلام حيث تستخدم أفلام (١١٠) بدلاً عن أفلام ٣٥ مليمتر.

الكيمياء وعلاج سرطان الرئة

أعلن في واشنطن مؤخراً عن أول نجاح كيميائي في معالجة بعض أنواع سرطان الرئة القاتلة واستعملها علاجاً، وهذا النجاح يعطي أملاً في الخلاص من هذا المرض الخبيث.

والبكم نتائج هذا العلاج في العديد من المراكز الطبية.

● قام الدكتور ارفن فوانجرهيد من جامعة جورج واشنطن بتخصيص بعض المضادات من الأجزاء المصابة بسرطان الرئة وقد نجحت هذه المضادات في علاج بعض حالات سرطان الرئة وعاش المرضى لمدة خمس سنوات. وكانت نسبة النجاح ٢٨٪ من ٥٢ مريضاً تم علاجهم في جامعة اوتاوة بكندا.

● ويقول الأطباء في المعهد القومي لمكافحة السرطان إن ١٠٪ من المرضى بسرطان الرئة قد عاشوا لفترات تتراوح بين عامين وسبعة أعوام بعد التشخيص وذلك نظراً لعلاجهم بتركيبات من المضادات الكيميائية.

● ويقول الدكتور جيرالد فوسيكا من جامعة مينسوتا إنه تمكن من علاج إحدى حالات سرطان الرئة المميتة بواسطة مستخلص كيميائي يسمى (اوموزتين) وقد عاش ذلك المريض خمس سنوات دون متاعب السرطان.

إن علاج حالة واحدة لا يمكن أن يصبح مقياساً لنجاح الطب في علاج سرطان الرئة ولكن لما كان مرضى السرطان لا يعيشون طويلاً فإن العلاج الكيميائي يعتبر نجاحاً كبيراً حقق ما لم تحققه العمليات الجراحية، التي نجحت في بعض الأحيان.

● ومن العمليات الجراحية هناك العملية التي أجريت للممثل جون واين في عام ١٩٦٤، فزال خطر السرطان حتى هذا العام حيث أصابه سرطان في البطن. كذلك هناك العملية التي أجريت لآرثر جودفري والتي تم فيها استئصال جزء من رئته في عام ١٩٥٩.

وهناك حالات قليلة جداً يتم تشخيصها في الوقت المناسب لإجراء العملية. وبالنسبة لكل مرضى سرطان الرئة، سواء تم التشخيص في وقت مبكر أم لا فإن نسبة النجاة والحياة لخمس سنوات هي ٦٪ للبيض و٥٪ للسود، طوال الفترة من عام ١٩٦٦ وحتى ١٩٧٣، هذا بخلاف حالات سرطان الشعيرات الأشد فتكاً.

يقول الدكتور فوسيكا إن هناك برامج للعلاج الكيميائي ستساعد على إزالة خطر السرطان وربما الخلاص منه.

ويقول تقارير العديد من المستشفيات إنه حتى في الحالات المتأخرة التشخيص فإن ٢٠٪ من المرضى يمكن تصغيرهم لنصفين أو أكثر.

فينوس الجمال والحرائق

وصل إلى كوكب فينوس عدد من المكتشفين وارسلوا من هناك بعضا من المعلومات المفيدة، ولكن الاهم هو انهم وضعوا حدا للاحلام التي نغرق فيها كوكبنا عن فينوس. فالرواد السوفييت اثبتوا بالدليل القاطع ان فينوس لا يشبه الكوكب الذي طالما نرسم له الصور الرومانسية. الا ان جموح خيالنا واحلامنا وتلك الصور، امور لها ما يبررها فكوكب فينوس هو اكثر الكواكب اشراقا وبريقا، ذلك لقربه من الارض، فهو يبعد عنا حوالي اربعين مليون كيلومتر (٢٥ مليون ميلا). وسبب اخر من اسباب بهاء ذلك الكوكب هو قدرته الهائلة على عكس الضوء، وهو مغطى بالسحب الامر الذي [illegible] قدرته على عكس الضوء.

الا ان هذا الغطاء من السحب، مصدر لاسرار فينوس وسببا في عجزنا عن فهمه. فالسحب التي تغطيه تبسط حجابا [illegible] مراقب على الارض مهما كانت قوة منظاره [illegible] رؤية سطح الكوكب.

ومن الظواهر التي اثارت جدلا كثيرا حول هذا الكوكب (ضوء اشن) وهو اسم اطلق على الضوء الخافت الذي ينبعث من فينوس عندما يكون الجزء المظلم منه مواجها لنا، فيشع كالهلال، واول من تتبع ضوء (اشن) هو الفلكي (جوان شرويتر). ومثل هذه الظاهرة تحدث للقمر بسبب الانعكاس من الارض على سطحه، غير ان كوكب فينوس ليست له كواكب سيارة تدور في فلكه مما يجعل تفسير ضوء (اشن) امرا صعبا. ومن التفسيرات الطريفة اعتقاد الفلكي الالماني (فرانز فون باولا) الذي ظن انه وجد الاجابة على ضوء (اشن) فقال: انها حرائق الغابات، واقترح ان الضوء ربما اتى من نيران كبيرة اشعلها سكان الكوكب في الغابات احتفالا بانتخاب حكومة جديدة في فينوس. ولكن علماء اليوم يردون تفسير ذلك الضوء الى عوامل داخلية في الطبقات الجوية العليا للكوكب، وليس الى قرابين النور في الاحتفالات.

وما تزال الامال معقودة في العيش على سطح فينوس، إلا ان المشكلة هي الحرارة الشديدة القريبة من الشمس، ولكن الامل في الحياة هناك يرى ان الطبقات السميكة في الكوكب ستكون عازلا للحرارة يجعل سطح فينوس يتمتع بالهدوء والامان. ويزيد في املهم اعتقاد اثنين من الفلكيين الامريكيين هما (ف. ويبل) و (د. ف. منتسل) بان فينوس مغطى بالمياه ويعتقدان ان ثاني اوكسيد الكربون سيكسر تلك المياه ويحميها [illegible]. [illegible] صح ذلك يكون فينوس مثل الارض قبل ٦٠٠ مليون سنة وتكون بداية الحياة فيه.

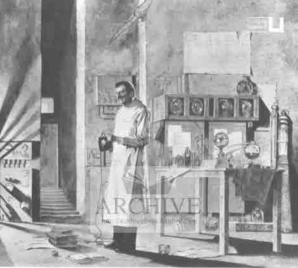
انها افكار رائعة ولكن العلم لا يظل رومانسيا على الدوام. لقد قامت اول رحلة كاشفة الى كوكب فينوس في عام ١٩٦٦ باكتشاف حرارة سطح الكوكب التي تصل الى ٤٨٢ درجة سنتغريت (٩٠٠ فهرنهايت) وان الضغط الجوي يساوي تسعين ضعفا زيادة عما هو على الارض وعند مستوى البحر، وان كميات ثاني اوكسيد الكربون هائلة وان هناك احتمال ان السحب التي تغطي الكوكب تحتوي على حامض الكبريتيك، وان سماء فينوس تمطر ماء ثقلا من ذلك الحامض القاتل.

زورق النجاة



يقضي الغواصون الذين يعملون في تجهيز معدات حقول النفط البحرية ساعات طويلة لاستعادة توازن الضغط بعد خروجهم للسطح. وإلا فلا بد من حجر المكان كالسفينة او الرصيف قبل ان يستعيد الغواص توازن الضغط، فان ذلك يكون سببا في تعرضه لامراض قاتلة تنتج عن تراكم النيتروجين في الدم. ولحماية الغواصين في مثل هذه الاحوال [illegible] قاربا للنجاة اسماه (ريسكيوسيت). والقارب مجهز بنظام يجعل الغواص يحصل على الضغط المطلوب في سرعة واتزان، كما يساعده على الانتقال من مكان لاخر بواسطة نفق خاص تحت الماء. ويتسع القارب لعشرة من الغواصين بالاضافة لغرفة تتسع لاربعة من البحارة الذين يراقبون عملية ضغط الهواء. والقارب مزود بكل الضروريات كجهاز الراديو، والادوية، وماء الشرب، والاطعمة.





صور طبيعية من عوالم غريبة

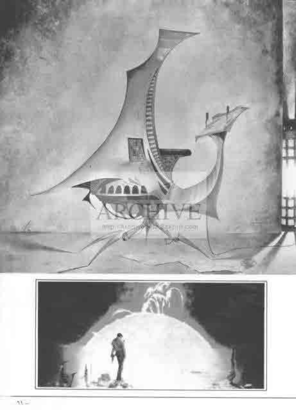
آلة الزمن

سوف نظل نحن البشر نحمل بداخلنا شوقا عارما لاستشراق عوالم مجهولة خارج دائرة ما لبعنا واعتدناه من واقعنا وطبيعة أرضنا وفضائها وأجوائها . إن بداخلنا فضولا لا يتوقف نحو معرفة دقائق كائنات وحيوات نتصور وجودها وقدراتها ومشاركتها الحياة في عالمنا دون أن تفصح عن وجودها لأعيننا . إلا إذا فتحنا عليها أعين الخيال والفضول ! ليس هو الفضول فقط . وإنما الرغبة الكامنة لأن يبسط الانسان إمكانياته الذهنية والحسية من أجل استشراق أفق المستقبل . والكشف عن تجارب روحية وممكنات جديدة للانسان .

وهذه أربعة عوالم من الخيال تلهمها أربعة من كبار كتاب قصص الخيال العلمي .. وحققها بالصورة الملونة أربعة من الفنانين التشكيليين المبدعين .

« فلذا المسافر في الزمان » . وذلك بنا مابطين دهليزا طويلا اشتد فيه تيار الهواء حتى بلغنا معمله . فرأينا نموذجا أكبر للجهاز الذي كنا قد أبصرناه يختفي أمام أعيننا . وكان قرص الشمس أحمر ملتهبا خلانا في الأفق . ولم تعد السماء العطلة من عل زرقاء كعهدنا بها .. ولا حول لي أو قدرة لأنقل لكم الشعور الباهظ بالكآبة الذي كان يخيم على العالم » .

« هـ . ج . ويلز »





ومن جسر على الخط الحديدي .. جلس
"كرايس" صامتاً يترقب مدينة "مشكراتسون"
وهي تستعد للإقلاع .. كعقبانشرة







كثيبا

« كانت يقع من الغبار قد غطت الرمال المحيطة بالسفينة الضخمة التي بدت تفقد توازنها ، واخذ إعصار رملي هائل يتجمع ويعد حين ابصروه ! وبرزت حفرة واسعة من بين الرمال ويرق ضوء الشمس من الدرجات البيضاء التي بداخله وكان قطر الحفرة ضعف طول السفينة على اقل تقدير « يا إلهي ! ما اقطعه » تمتم رجل كان يقف بالقرب من « بول » . وعقد الرجال حلقة حول « بول » يحدقون في خوف عميق . »

« فرانك هيربرت »

منظور جوي تحته عن الرمال الرملي
تنبثق من المعادن والبلاستيك التي
ترقد تحتها، وكانت الرمال حمضية
ذات ألوان زرقاء وأصفر بسواد الصخور



المدن الطائرة

« لم يعد هناك أي سبب لكي تظل المركبات التي تعبر الفضاء صغيرة وضيقة . وسوف يصبح بالامكان رفع أضخم الاجسام وقذفه بعيداً عن الارض ، وحمله الى أي مكان . وذلك عندما تصبح الجاذبية المضادة حقيقة هندسية . إن مدنا باكملها يمكن تحريكها ونقلها »

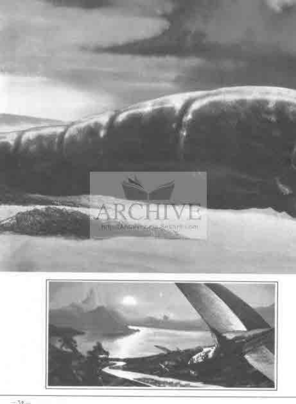
- جيمس بليش -

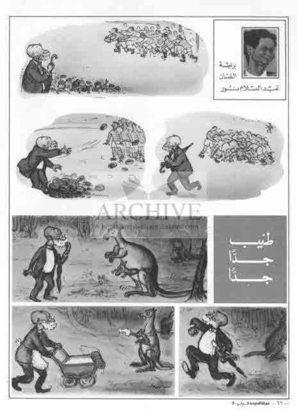


"ويبدأ الإنسان الأرضي يدرك مدى جبروت رياح غبار المسكالين، وقسوتها المدمرة رغم هذه الجاذبية.."

الجاذبية

.. عجيب هو عالم المسكالين فالقطر عند خط استوائه يبلغ ثمانية وأربعين ألف ميل والمسافة بين قطبيه تسعة عشر ألف ميل ودورته حول محوره تطول النهار بمقدار سبعة عشر دقيقة وثلاثة أرباع الدقيقة عن ليله وفي خط استوائه يكون وزني أربعة مائة وثمانين رطلا، أما في أي من قطبيه، فإنني أستطيع أن أرفع وأحمل ستين طنا، ولا تشرق الشمس في نصف الكرة الجنوبي منه لمدة ثلاثة أرباع السنة، فيتكون بذلك غاز الميثان المتجمد بدلا من المحيطات .. وتهب العواصف الهوجاء في خط استوائه، فتحمل بخار غاز الميثان عندما يصبح نصف الكرة الجنوبي دافئا للمخلوقات التي يجري غاز الميثان السائل في أعضائها .. هل كنمت




بريشة
الفنان
عبد السلام
طيب
جدًا
جدًا

إلا الشعر.. يا مولاي!



فتحي سعيد

كان السلطان الجالس في قصره
يغتبق .. فقال لشاعر عصره
والشمس بقايا تنحدر رويداً خلف الاشجار
تلمت كالكاس .. مزاج من كافور وعقيق ونضار
قال السلطان وقد حف السمار
علمني يارب الاشعار :
علمني الحكمة والصمت ،
وفن اللعب على مختلف الاوتار
علمني الفطنة واللغو ،
وتاريخ الفلك .. وفن الابحار
علمني فن العوم مع التيار وضد التيار
علمني المنطق والجبر واصل العائلة وفلسفة انيجان
علمني الموسيقى .. كي اعزف اغنية
حين يجن الليل وتبرزني الاشجان
والرقص .. لاعقد خصر حبيبي بالكفين
نكاد نذوب مع الالحان
علمني الرسم .. لارسم وجه حبيبي
حين يطل وتاسرني العينان ..

• • •

قال الشاعر للسلطان :
ذلك ميسور يا مولاي
اغرف من نبع المعرفة كما شئت
إلا حرج على الملك النعمان ..
ان يتقن فن العزف على مختلف الالوان !!

• • •

كان السلطان الجالس في قصره
يغتبق .. فقال لشاعر عصره
ونفثات المسك يضوع وعبق العنبر يعبق في البستان
والشمس شعاع يحبو كالطفل ..
ويتسلق سور الشرفة والاغصان ..
قال السلطان وقد ثمل الندمان
علمني يا شيْخ الكهان :
علمني الشعر .. فان الشعر خلود الازمان
نفس قد قيل من الرحمن ..
علمنيه .. فانك ادرى بالقافية وبالخافية من الاوزان
علمني كيف اصوغ من الكلمات عقود اللؤلؤ والمرجان
واتوج جيد حبيبي .. بقلائد در وجمان
اجعلني فارس هذا الميدان وسيد كل الفرسان ..
لا تجعل في الشعر ولا في الشعراء سواي!

• • •

قال الشاعر للسلطان
علمتك كل فنون الانسان
وحكيت بألسنة الطير والسنة الجنة والانس والسنةالحيوان
امـا الشعر .. فعذراً يا مولاي !!

فنان أفريقيا المضيئة

جمال قطب







كثيرا ما نسمع ونقرا عن الرحلات الاستكشافية والسياحية الى افريقيا • ولكن قصة « دافيد شبرد » مع الغابات والاحراش في هذه القارة الاسطورية المثيرة •• هي من نوع فريد •• فلم تقتصر على مجرد المغامرة الفردية في رحلة سياحية عابرة او مغامرة بطولية للبحث والاستكشاف ، ولكنها تتطرق الى تفاعل عاطفي وتعاطف وود ازاء القارة وحيواناتها وطبيعتها الخلابة الآسرة !

تلك العلاقة الوطيدة بين فنان من المع فناني الغرب المعاصرين وافريقيا المزدهرة اليانعة ، فقد اسفرت عن تسجيل عناصر الجمال الدفين بين غابات وادغال هذه القارة الساحرة ، واصبحت حيواناتها المفترسة ووحوشها الضارية ، مادة ابداع في لوحات عالمية تتسابق المتاحف والمعاقل الفنية وجامعو التحف الى اقتنائها باغلى الاثمان ••



ويتألق اسم الفنان البريطاني الاشهر دافيد شبرد كاول فنان عالمي اوقف حياته وفنه الرفيع على تخليد مكامن الجمال الافريقي ممثلا في رسم الحيوانات والمناظر الطبيعية الخلابة التي تزخر بها غابات افريقيا ، وكأنها عالم سحري مليء بكنوز الاثارة والاسرار والجمال الاسطوري الفريد !



بداية صعبة

في طفولته الاولى •• كان دافيد يعكف الساعات الطوال مشدودا بكل حواسه الى الكتب والمجلات التي تحكي قصص الرحالة والمستكشفين في افريقيا •• وكانت صور الحيوانات الكاسرة التي تزخر بها الغابات الافريقية تثير خياله وتلهب مشاعره، وبخيال الطفل الخصيب يصنع لنفسه عالما خاصا من المغامرات الوهمية في ربوع هذا العالم الغامض •• ولم يجد وسيلة او متنفسا لعواطفه الجياشة الا الاقلام والوانه •• يعبث بها على صفحات الاوراق البيضاء ، ليخط رسوما جميلة تعبر عن الغابات



والحيوانات الافريقية العملاقة التي كثيرا ما يرى صورها او يقرا عنها بشغف كبير ، وشب الفتى ، وقد تبلورت أحلامه ، ووضع نصب عينيه هدفه الكبير ، الا وهو السفر الى افريقيا ليرى على الطبيعة ما لم يستطع ان يحيط به من خلال القراءة او مشاهدة الصور المطبوعة التي تفتقر الى الحياة •• وفي الثامنة عشرة من عمره ـ مضحيا بكل مدخراته المالية المحدودة ـ قطع الاف الاميال الى نيروبي عاصمة كينيا املا في الحصول على اي عمل في احدى شركات الغابات والحدائق ، وكان قد قرا عن حاجتهم لمن يشغل مثل هذه الوظائف الصغيرة قبل رحيله من بريطانيا ، ولكنه لم يوفق في تحقيق هذا الامل ، وعاد مخذولا الى وطنه ••

وساقه حبه الشديد لفن الرسم الى السعي للالتحاق في احدى مدارس الفنون الجميلة ، ولكن امكانياته المادية المتعثرة حينذاك حالت دون ذلك ، ولم يعد امامه الا ان يعمل سائقا لاحدى السيارات العامة لنقل

- قصة دافيد شبرد مع الغابات في هذه القارة الأسطورية .. من النوع الفريد
- أول فنان عالمي أوقف حياته وفنه على تخليد شكل من الجمال الأفريقي
- وعمره ١٨ عاماً قطع آلاف الأميال إلى نيروبي .. لكنه عاد مخذولاً إلى وطنه !



الركاب .. ولم ينس يوما ان ينمي موهبته في فن الرسم متأثرا ومسترشدا بما يقرأ عنه او يراه في المتاحف والمعارض .. وكان يحلو له دائما ان يحكي لاصدقائه سير الفنانين العظام وكيف شقوا طريقهم الوعر حتى اصبحوا في النهاية ملء سمع العالم وبصره !

فلا غرو ان نرى دافيد وهو يقضي نهاية يومه الشاق في ممارسة الاعمال المتواضعة ليكسب قوته ، ويقضي ليله البارد الطويل قابعا وسط أكداس الاوراق والالوان والاقلام يمارس فنه الجميل !

حب الأفيال

ولم يقف به طموحه عند هذا الحد ، فقد صمم على ان يحترف الفن مهما لاقى في مسيرته من عثرات ومتاعب ، وكانت فرصته السانحة في الحركة والتجوال ويقترب من الامل لتحقيق أحلامه ، عندما التحق بسلاح البحرية البريطانية كرسام ، فاستغل تلك الفرصة في اشباع رغباته الفنية ، وسجل في لوحات ملونة كل ما وقعت عليه عيناه من الجنود والآليات والمناظر وحياة البحر المثيرة، ومن يوم الى يوم ، ذاعت شهرته ، واصبحت لوحاته التي تحمل بصماته المميزة ، تحتل مكانا مرموقا في مكاتب القيادة والمتاحف البحرية وقاعات الوثائق الحربية البريطانية.

وفي عام ١٩٦٠ استطاع ان يكون ضيفا على سلاح الطيران في قاعدته الجوية في عدن ، فصمم على ان يحقق حلمه القديم بأن يتجه غربا في البحر الاحمر عبر المضيق ليزور افريقيا وغاباتها وحيواناتها الشهيرة على الطبيعة ، واستمر في تجواله حتى وصل الى كينيا ، واستقر في نيروبي وقد عزم على امر في ثقة وكيف لا وقد زود هذه المرة بالنضوج والتجربة والخبرة وبما يكفيه مؤقتا من المال !

وظل عامين كاملين يرسم الحياة

الافريقية مركزا اهتمامه في تسجيل الحيوانات على وجه الخصوص ، وشغف اعجابا بالفيلة العملاقة ، فعكف على دراستها ومراقبتها وتسجيل حركاتها وسكناتها حتى أصبحت حبه الاول في موطنه الجديد • وكانت محصلة هذا العمل المتواصل الذي سعى اليه الفنان بالحب الخالص والرغبة الصادقة ، مجموعة رائعة من اللوحات الزيتية اقام بها معرضه الاول في اكتوبر عام ١٩٦٢ في العاصمة البريطانية •

كان المعرض حدثا جديدا وفريدا في عين المشاهد البريطاني الذي طالما سمع من حياة الادغال الاسطورية في وسائل الاعلام •

الشخصيات البارزة

وفوجىء دافيد بتهافت الجمهور على اقتناء لوحاته ، فرفع اثمانها الى ارقام مبالغ فيها بالنسبة اليه كفنان يقيم اول معرض في حياته • ولكن طلبات الشراء — بالرغم من ذلك — اخذت تتوالى على ادارة المعرض ، وبيعت كل المعروضات في ساعات قليلة !

ومنذ افتتاح هذا المعرض ، قرر دافيد شبرد الا يعود الى الوراء !

واتخذ قراره الحاسم : لقد نذر نفسه وفنه لافريقيا (ولاصدقائه) من الفيلة وباقي الاسرة الحيوانية في ادغالها المثيرة !

وحظي الفيل بالمكانة الخاصة في اعمال الفنان ، واطلق عليه اسم التدليل الشهير — والذي اقترن باسم دافيد نفسه — (جامبو) ، وكلما ذكر اسم جامبو ضمن مستحدثات الالفاظ الانجليزية المعاصرة ، قفزت الى الاذهان قصة الصداقة الوطيدة بين الفنان والفيل الافريقي المدلل ! فلا عجب أن نرى معظم لوحات الفنان الكبير وقد احتلت صورة صديقه جامبو المكان البارز فيها وقد اضفى دافيد عليه جمالا فنيا يحس ازاءه بالتعاطف والحب والاعزاز •

ويجانب لوحاته عن الفيلة وغيرها من حيوانات الغابة الافريقية ، مارس



دافيد شبرد بكفاءة واقتدار رسم المناظر الطبيعية والآليات والصور الشخصية PORTRAIT وابدع فيها ايما ابداع • ومن ابرز اعماله في رسم الشخصيات البارزة ، صورة الملكة الأم وسمو الشيخ زايد رئيس دولة الامارات العربية المتحدة وكينيث كاوندا رئيس جمهورية زامبيا والعديد من قادة العرب والشخصيات البارزة في بريطانيا •

القاطرات البخارية

ويعرف عن شبرد ولعه الشديد بالقاطرات البخارية القديمة ، حتى انها مثلت الاهتمام الثاني عند الفنان بعد الفيل الافريقي الشهير ، وبلغ هذا الاهتمام مداه حتى انه اشترى من هيئة السكك الحديدية البريطانية قاطرتين بخاريتين (زنة ١٤٠ طن) من الطراز الفيكتوري الجميل • بل وتحقق للفنان اكثر من ذلك ، فاستطاع بشهرته وامكانياته المالية الوفيرة ، أن يشتري محطة كاملة تمتد ثلاثة اميال ، لتتهادى عليها قاطراته الكلاسيكية الرائعة ، وجعلها مزارا عاما للجمهور من مختلف انحاء العالم • وقد سجل العديد من اللوحات لهذه القاطرات البخارية المنقرضة ، واضفى عليها جوا رومانسيا يلهب الخيال ، ويعود بالذكريات الى عصر البخار •• عصر الحب والهدوء والرخاء !

ولعل حب دافيد وولعه بالفيلة ، تلك الكائنات الذاكية العملاقة الدائبة الحركة ، هو الذي جعل الفنان شغوفا بالقاطرات البخارية الرشيقة ، واذا نظرت الى احدى لوحاته عن قاطرته وهي تشق الغبار مجللة بسحب البخار ينبعث من حولها ، ستجد تشابها كبيرا بينها وبين الفيل الافريقي الضخم وهو يهرع الى مصادر المياه في هيبة ورهبة محاطا بنفس ما يحيط بالقاطرة من سحب الغبار او الابخرة المتصاعدة من اكداس الاوراق والحشائش الرطبة المتراكمة في أحراش الغابة ••

كما أن الآليات قد مارس الفنان رسمها ودراسة تفصيلاتها عندما كان بسلاح البحرية في فترة نضوجه الأولى ، لذلك كله ، نجد أن دافيد لم يكن رساما يسجل الصور المرئية تسجيلا شكليا فحسب ، بل نراه يتفاعل عاطفيا مع مرئياته ، ويطلق عليها أسماء التدليل وكأنها كائنات بشرية تربطه بها أنس الوشائج أو أوثق الصلات ..

نعمة الفطنة

والملاحظ لإعمال الفنان في الغابة الافريقية ، يرى جليا عمق هذه المشاعر في تمجيد الطبيعة والكائنات الحية وكلها من ابداع الخالق عز وجل ، فلا يملك المشاهد الا أن يسلم بعظمة الخالق .. ممثلة في هذا الجمال الطبيعي الذي أخلص الفنان في تصويره بصدق حواسه ورهافة مشاعره وتفاعله بعين واعية مع عناصر الهامه !

نعود الى اهتمام الفنان الاول .. فنجد أن (جامبو) نجمه المفضل ، يليه النمر في المرتبة الثانية ، ثم تتوالى باقي الحيوانات حتى نصل الى آخر أسماء القائمة لنجد الأسد !

ويتعجب دافيد : كيف يطلق على الأسد « ملك الغابة » بالرغم من أنه أكثر الحيوانات كسلا وخمولا وبلادة على الاطلاق !؟

واستمر الفنان في عطائه الفريد عن افريقيا ، وطبعت أعماله على الملايين من البطاقات السياحية والتهنئة والاعياد والمناسبات ، ليراها العالم أجمع ، وازداد اسمه تألقا ، وتسابق هواة جمع اللوحات والاثرياء والمتاحف وأصحاب القاعات الفنية الى حجز لوحاته حتى قبل أن يشرع في رسمها ، كما تزاحمت دور النشر في عروضها السخية لتحظى بطبع أعماله في مجلدات فنية أنيقة ، وارسلت العديد من الحكومات الافريقية والمؤسسات العلمية في طلب أعمال الفنان وتكليفه بانجاز اللوحات عن افريقيا . وأصبح دافيد من كبار أصحاب الملايين ، وقفز ثمن بعض معارضه الى أكثر من ربع مليون جنيه استرليني . وفي عام ١٩٧١ اشترى طائرة من نوع (الهليوكوبتر) لتنقلاته الخاصة بين أحراش افريقيا ، ولقب بأنه أحسن فنان بريطاني يكسب من بيع لوحاته .

كما أنه يعتبر على رأس قائمة الفنانين الذين تطبع أعمالهم أولا بأول وتنتشر في مختلف أنحاء العالم .

عناصر الثراء الفني

ومما هو جدير بالذكر أن دافيد تبرر بثرائه الواسع وشهرته المتألقة كفنان جماهيري ، لا يمكن بأية حال من الاحوال أن يكون هذا الثراء التجاري من اصالة ، سببا في انتقاص قيمته كفنان مبدع له سمعته ووزنه الفني الرفيع ، فليس من المستساغ في عالمنا المعاصر أن يظل الفنان قابعا في صومعته ، ليعمل في انطوائية وتجرد ، وأن يخلط لحنه بألوانه في صمت رهيب بعيدا عن مجتمعه ، ومحروما من أضواء الشهرة والذيوع حتى يقال عنه إنه فنان لا يعنى بالمال .. أو أنه لم ينزلق الى الكسب المالي متخذا فنه سلعة يتاجر بها ! أعتقد أن هذا رأي عقيم عفا عليه الزمن !





لذلك نرى ان دافيد شبرد يرد على التساؤلات بشأن ثرائه الواسع قائلا: « وهل لابد من حياة البؤس والفاقة لكي ابرهن على اني فنان ؟! » .

حقيقة ، ان دافيد لم يبتكر مدرسة فنية كمنهاج اكاديمي يخلده في كتب تاريخ الفنون ، وهذا لا يتأتى بالاتصال مهما بلغ الفنان قمة البراعة والعبقرية ، ولكنها حقبات زمنية متتالية يشرك الفنان خلالها قريحته لكي تجوب آفاق الابداع .. بل ربما لكي تنحدر الى احط المستويات في نظر مواطنيه (كما حدث عندما استحدثت المدارس الفنيـة التأثرية او الوحشيـة او التكعيبية او السيريالية ثم التجريدية) ولكن الحكم في النهـاية الى حركة الابداع عامة .. والى مدى ما يضيفه الفنان الى التراث الانساني من عناصر الثراء الفني الشكلي او العقلاني ، وربما ــ كما هو حادث الآن ــ من عناصر الغرابة والخروج عن المألوف مما اسميناه مجازا بالتجديد !

المهم في كل الاحوال هو الاخلاص في البحث والممارسة دون ان نضع في اعتبارنا ما قد يصل اليه عملنا او ما قد تتبلور عنه ابحاثنا الفنية ، وكثيرا ما كانت الصدفة وحدها هي العامل الاساسي في خلق هياكل فنية وعلمية خالدة .

حماية الحيوانات

واذا كنا نورد اليوم فنانا كدافيد شبرد حقق من المجد الفني والثراء المادي ما لم يتحقق لغيره من الكثيرين ممن سبقوه او عاصروه ، فهو مثل نابض بالحياة للفنان المخلص الذي يتأثر بالحياة والطبيعة وينهل من مواردها الالهامية ، كما يؤثر في مجتمعه ويضفي عليه لمساته الفنيـة



الواعية .. كما انه يسعد وجدانيا بعمله وابداعه ، وفي نفس الوقت يكون مركز اشعاع ويبعث سعادة للملايين من البشر ! فالانطوائية في مجالات البحث في هذا العصر (عصر الشموليات وسرعة التأثر والتأثير) لم تعد مثار اسعاد او محل افادة حتى للباحث او للفنان نفسه ! لان عناصر السعادة والاسعاد تخطت حدود الاشباع الخاص الى عناصر أخرى من اهمها المال والشهرة والذيوع . ولعل تلك العناصر هي في حد ذاتها اقوى الدوافع الى الاجادة والاستمرار ! وان كان هذا هو رأي كاتب هذه السطور ، فليس ـ بالقطع ـ هو الرأي الوحيد !

عودا الى فناننا الذي اصبح الفن والاعلام كما اصبح مرجعا وخبيرا في كل ما يتعلق بغابات افريقيا وحيواناتها من اصدقائه . فتراه ـ كعرفان بالجميل ـ يهتم بتأسيس الجمعيات العلمية التي تهدف الى الحفاظ على الحيوانات الافريقية والعمل على حمايتها من الاخطار والانقراض ، ويعتبر ان تأمين سلامتها وإسعادها هو اهم اهدافه في السنوات الاخيرة . ويحتت

مساهماته في هذا المجال مئات الالوف من الجنيهات ، ويفسر دافيد تصرفه هذا بأنه رد ووفاء لدين في عنقه لاسرة الحيوانات الافريقية الوادعة ! وان ما يفعله من اجلها حاليا هو وفاء لنبيل العطاء الكثير .

ويحدثنا عن هذا العطاء الذي حظي به من رسمه لحيوانات الغابة الافريقية فيذكر انه اقام احد معارضه عام ١٩٦٩ في (جوهانسبرج) بجنوب افريقيا ، وكالعادة ، فقد تم حجز جميع لوحات المعرض مقدما قبل الافتتاح .. ولكن الغريب في الامر ان اللوحة الواحدة كان يحجزها اكثر من عشرين شخصا في وقت واحد . ولم يجد الفنان امامه الا ان يبيع لوحاته بطريق القرعة لسعداء الحظ الذين يفوزون في عملية الاقتراع ، والذين دفعوا برضى وعن طيب خاطر مئات الالوف من الجنيهات ..

التفاعل والوفاء

ولعلنا نتساءل عن الخصائص التي جعلت لوحات دافيد هذا السحر الجمالي في القيمة الجوهرية ، تلك التي حولتها لوحاته الى نافذة مضيئة تطل على الجمال الافريقي الساحر .

اننا نلحظ في اعماله تلك الاصالة الثرة ، والنظرة الواقعية المفعمة بالتعاطف والحب والاعجاب ، فنرى الجمال الشكلي متمثلا في صورة بصرية متلألئة ، بجانب الجمال الفني بعوامله ومقاييسه المعروفة بدقة وكفاءة نادرة ، وازدواج هذين العاملين يقودنا الى قضية الفن عموما حينما تتفاعل الاشكال بالمضمون الحسي وترتبط بالوجدان وبشفافية البصيرة عند الفنان .

وقضية الجمال في حد ذاته عندما يصبح عملا فنيا فهذا موضوع آخر . وهناك نظرية في (علم الجمال) تقول : « ليس كل ما هو جميل يعتبر عملا فنيا ، ولكن كل عمل فني جميل » .

وقد استطاع دافيد شيبرد بان يصوغ مكامن الجمال الشكلي في اطار فني رائع ! تلك هي عوامل نجاح اعماله ، بعيدا عن طلاسم

النظريات الفنية او التعبيرات المتخصصة المبهمة ! ويرجع ذلك الى حبه ـ غير المحدود ـ للطبيعة الافريقية . فطالما رأينا العديد من اللوحات التسجيلية عن افريقيا لغيره من الفنانين والباحثين والمغامرين ، ولكن الكثير منها لم يترك في النفس اثرا او ميلا الى الاعجاب والتأمل ، فكانت اشبه بالمعادلات الحسابية او النظريات العلمية او المراجع الوثائقية .. لانها افتقدت لمسة الفنان ونظرة الحب والشعور بالتعاطف . بينما نرى ان دافيد ـ وقد تفاعل بأحاسيسه وعواطفه مع الواقع الافريقي ـ قد كشف عن الجمال الذي ادركه والتقى به كهدف في حد ذاته ، وأصبحت لوحاته وسيلة للتغني بهذه المشاعر النبيلة النابضة . فلم يذهب الى افريقيا ببندق صيد ... او بنظرة متعالية مدفوعا باعتقاد بيئية او عنصرية متسلطة ، لذلك ، نرى ان الفنان يؤدي رسالته المثالية وهي : الاحساس والرغبة والانفعال ، ثم التفاعل والاستيعاب والاقتناع .. ثم الايمان والصدق والعطاء !

ذلكم هو دافيد شيبرد ... الذي يمارس اليوم قصة الوفاء لصديقته الجميلة افريقيا .. ويطلق عليها القارة المضيئة .

لعله ان يزيل من الاذهان تلك التسمية المجحفة : القارة المظلمة او القارة السوداء ..

وفي قصره الفسيح ، وبين الخمائل المترامية الزاهرة ، تتخللها الجداول الرقراقة والبحيرات الناعسة في ربوع الريف البريطاني الوادع ، ينظر الفنان الى الافق الجنوبي صوب القارة المضيئة الساحرة ، ثم يقول في صوت خفيض اشبه بالهمس او المناجاة :

ارجو ان تبلغ اصدقائي يا « جامبو » بانني اعترف بفضلكم جميعا على .. فيما بقي من عمري ، سأرد لكم الجميل !

جمال قطب



زمن الــراحـــة

محمد العربي الخطابي

ها كل شيء قد بدأ يتغير في نظر عبد الرؤوف بعد أن قضى نحوا من خمس وثلاثين سنة منقطعا الى شؤون وظيفته في الحكومة ، فلا أقل من أن يبدأ منذ الآن بالتفكير في مستقبله وأن يخطط لحياته القادمة وينظم ما سوف يتاح له من أوقات الفراغ ، انها هو يتأهب للاستظهار بحقه في التقاعد ـ كما يقول الفرنسيون ـ وانها للحظة حاسمة طالما سلات نفسه بالمخاوف فكان يؤثر الا يفكر في حلولها .

وعبد الرؤوف هذا موظف صغير ، غير أنه ، بحكم الواقع والممارسة مسؤول واسع النفوذ ممتد السطوة يتصرف في أمور مئات الموظفين ويحكم شرعه في قضاياهم .

كيف لا وهو المسؤول المباشر عن حفظ ملفات المستخدمين الصغار بجميع أوراقهم المختلفة من عقد العمل الى شهادة الزواج والحالة المدنية وكشف الخدمات والترقيات والعطلات . كما لا يغيب عن علمه شيء مما يتعرض له بعضهم من عقوبات ادارية مختلفة .

ومــع هـذه الســطوة لم يكن لعبد الرؤوف مكتب معلوم في الادارة بل كان يقضي جل أوقات العمل في قبو طويل عريض أسفل البناية تحيط بجدرانه رفوف معدنية ضخمة مكتظة بالأضابير ومجلدات الجريدة الرسمية ، وفي وسطه مائدة طويلة من الخشب الرديء تنتشر فوقها الاوراق والملفات من مختلف الالوان والاحجام .

ويدخل الداخل الى هذا القبو ، بعد أن ينزل في سلم ملتو وضيق ، فتستقبله رائحة الرطوبة والعفونة الممزوجة بدخان التبغ ، ويشاهد فوق البلاط مقاعد وأرائك وموائد مبعثرة بعضها مكسور الرجل أو الذراع . كما ويشاهد الداخل الى القاعة أيضــا خريطة معلقة على الجــدار محت الرطوبة ألوانها وطمست ما عليها من كتابة وعلامات كانت تشير مواقع البلدان والانهار والجبــال وطرق المواصلات . ولم يكن عبد الرؤوف في حاجة الى هذه الخريطة العتيقة التي تجاوزها الزمن ، الا أنه كان محافظا عليها لا يميل الى التغيير كما أنه كان يرى فيها مظهرا يكسب مقامه نوعا من الوقار والاحترام .

غير أن الثمرة الوحيدة التي بعثت عبد الرؤوف يحس بالعلو على أقرانه هي آلة جــديدة لاستخراج النسخ المصورة جيء بها اليه رئيسه الاعلى وأمنه على استعمالها فاكسبه بذلك ميزة جديدة ونشوة أوسع .

وقد كان من تأثير ذوي الحاجات من المستخدمين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من الرجس [illegible] الخبيثة النكدة المظلمة [illegible] استقر بعد على التسليم [illegible] كف عبد الرؤوف ، شيئا ، مستورة وبذلك تقضي حوائجــه فما يغادر المكان الا والوثيقة المطلوبة في جيبه والمعلومات الضرورية في رأسه .

نعم ، لقد اعتاد عبد الرؤوف أن يتقاضى ، اتماما ، عن ما يسديه لذوي المصالح من خدمات ادارية ، فهو يقبض عن كل خدمة مبلغا من الدراهم معلوما يحتفظ بثلثه لنفســه ويدفع الثلثين الباقيين الى رئيسه الاعلى الذي يتولى التوقيع على الاوراق ويمهرها بخاتم الادارة .

ومن هنا كانت سلطة عبد الرؤوف متمكنة نافذة تتجاوز جدران القبو الذي يعمل فيه . وقد كان شعاره المثل المغربي القائل ، ادهن السير يسير » .

• • •

باقتراب تاريخ التقاعــد بــدأ عبد الرؤوف يتحول من موظف عملي واقعي الى رجــل مستسلم لأحلام اليقظة يستبد به الخيال فيشرد ذهنه ويحلق فكره في كل سماء . وقد أخذ ينظر الى المستقبل بقلق كبير وحيرة أكبر . فكل شيء يبدو امام عينيه غامضا معتما . وانه ليسائل نفســه باستمرار : هل سيتحمل مفارقة قبو قضى فيه زهرة عمره ؟ هل تستطيع الدولة أن تستغني عنه وفي ذاكرته سجل حي مشحون بالأسماء والأوصاف والتواريخ والاعداد ؟ ترى ، من هو هذا الموظف الذي يستطيع أن يخلفه في مهنة والحال أنه لم يكن له مساعد مخصوص بالمهنة مطلع على خفاياها قادر على حل عقدها ؟

أسئلة من هذا القبيــل يطرحها عبد الرؤوف على نفسه من غير أن يكون ذهنه عنده صور أجوبة مقنعة . فهو يؤثر أن يصرف تفكيره الى [illegible] مستقبله هو .

[illegible] عبد الرؤوف يفترض أنه قد [illegible] بالعمل على التقاعد وأن عليه أن يشرع في تنظيم أوقات يومــه . فقد كان من دأبه ، زمن الخدمة ، أن يستيقظ في الساعة السادسة صباحا فيتوضأ ويصلي ثم يتناول فطــوره ويغادر بيته في الثامنــة فيشتري في الطريق الى عمله حوالي نصف ساعة يقرأ خلالهــا الصحيفة وهو يمشي راجلا ببطء في شوارع المدينــة ، ويكون أول من يصل الى الادارة من المستخدمين .

وفي الصحيفة يقــرأ عبد الرؤوف أخبار المجتمع : من تزوج ومن أنجب ومن توفاه الله ومن نال ترقية فــي وظيفة أو في عمل ، كما يقرأ أخبار الحوادث المختلفة والاعلانات المبوبة . أما السياسة فانها لا تعنيه بحال من الاحوال ينفر بطبيعتــه من مشاكلها ويحرص جهده على الا يخوض في شأن من شؤونها .

ويتراءى لعبد الرؤوف أن حياة التقاعد لابد وأن تفرض عليه تغيير كثير من العادات التي دأب عليها كان

زمن الراحة

يؤخر ، مثلا ، موعد النهوض من الفراش حتى يستوفي حقه كاملا من الراحة والطمأنينة فلا يغادر فراشه الا في التاسعة ، وبعد نصف ساعة يجلس لتناول فطوره ثم يخرج لترميم بيته الصغير الذي اشتراه بما اقتطعه من محصول « الاتعاب » التي كان يتقاضاها مقابل ما يؤديه من « خدمات اضافية » .

نعم ، ان في البيت جزئيات لابد من العناية بها : الحجرة الجلوس في حاجة الى ستائر جديدة ، والحمام من المرافق التي تتطلب اصلاحا جذريا ، وبعض اركان غرفة النوم قد عمتها الرطوبة فلابد من ترميمها ، والحديقة الصغيرة لم تمتد اليها يد بالري والتشذيب منذ زمن طويل فينبغي اذن احياؤها وتزيينها بالعشب الاخضر والزهور .

ولم يغفل عبد الرؤوف عن التفكير في أدوات الطبخ العتيقة فبعضها مثقوب أو مكسور أو ممسوح ، وبعض السكاكين في حاجة الى شحذ نصولها أو تغيير مقابضها ، ولابد أيضا من استبدال بعض مفاتيح الكهرباء .

فليكن هذا هو عمل الصباح . اما اوقات ما بعد الظهر فيمكن استغلالها على الوجه الافضل بعد الغداء بتسلية لقيلولة لذيذة لا يفيق منها الا في الخامسة فيغادر البيت ليبدأ جولة طويلة ممتعة في أنحاء المدينة يزور خلالها سوق المزاد وسوق الجملة وحارة النجارين ، فلعله يعثر في تجواله هذا على خردة مخزونة على معدات ولوازم زهيدة الثمن تمكنه من انجاز مشاريعه الاصلاحية في البيت بأقل النفقات . وقبل نهاية الجولة يعرج على بعض دور السينما فيتفرج على صور الافلام ويقرأ عناوينها وأسماء الممثلين ، وينتهي به المطاف الى قهوة (الوداد) حيث يمكنه أن ينصرف الى اللعب والثرثرة وأن يحتسي ما يطيب له من كؤوس الشاي الاخضر المنعنع فلا يعود الى البيت الا في التاسعة ليلا .

كان عبد الرؤوف ، وهو يستعرض شريط هذه الترتيبات في مخيلته ، يتوقف من حين لآخر ليتدبر في امور جوهرية أخرى كانت تثقل بالسه ويحدث بها نفسه منذ زمن طويل .

وكانت سعاد من القضايا الرئيسية التي تستأثر بتفكيره . انها امرأة في العقد الثالث من عمرها تعمل في قسم الحسابات بالادارة التي ينتسب اليها عبد الرؤوف ، مكتبها مجاور للقسم المعلوم . وهي ذات قوام ممشوق ، وجهها مستدير أبيض مشوب بحمرة ، وعيناها واسعتان يشع منهما بريق المكر والسحر . وهي مع ذلك سليطة اللسان حادة الطبع لا يقدر أحد على معاكستها او التبسط معها في الحديث ، وقد كان هذا سلاحها تصد به فرسان الادارة ودنائها .

وكان قد استقر بذهن عبد الرؤوف منذ حصوله على الترقية الاخيرة في حياته الادارية ، أن يخطب هذه المرأة لنفسه ويتخذها زوجة ثانية . وكانت هذه الرغبة تزداد عليه الحاحا كلما اقترب موعد احالته على التقاعد فيختلق المناسبات ويقبل كل فرصة تسنح له ليتحدث الى سعاد ويلاطفها بجمل وعبارات يقتبسها من بطون المجلات الرخيصة ، وذلك لان الملاطفة لم تكن من طبعه .

ولم يجسر عبد الرؤوف على مفاتحة سعاد في أمر الزواج وذلك بسبب عائقين كبيرين لم يدر كيف يتغلب عليهما : العائق الاول هو زوجته رقية التي كان يعلم من أمرها أنها لن تقبل بحال ضرة شابة تقاسمها بيتها وزوجها بل انها سوف تقيم الدنيا وتقعدها اذا علمت بنية عبد الرؤوف ، وهي لن تتردد في أن تجعل حياته جحيما . أما العائق الثاني فهو عاهة لازمت عبد الرؤوف منذ صغره ، فقد سقط وهو طفل من علو شجرة فانكسرت رجله اليسرى وبقي بها عرج ظاهر تلمسه مشيته المائلة ، وكانت سعاد تتندر بهذه العاهة وتتهكم من صاحبها كلما رأته مقبلا نحوها .

أما مسألة فارق السن بين عبد الرؤوف وفتاة أحلامه فلم تكن في نظره عائقا ذا بال لا سيما وأن العرف المتبع يبيح للرجل مهما كانت سنه أن يتخذ زوجة في عمر بناته ، ثم ان سعاد كانت متزوجة فتوفي عنها بعلها . وعبد الرؤوف يبدو صحيح البدن موفور العافية لم تبرحه الفحولة بالرغم من أعوامه الستين .

ينتهي عبد الرؤوف من التفكير في هذه المسألة فيخطر له خاطر سعيد سرعان ما يتبلور في ذهنه ويستأثر بأكبر نصيب من اهتمامه . ويتحول الخاطر الى مسعى حميد يستجمع له كل شجاعته فما يشعر الا وهو في مكتب رئيسه المباشر .

ـ أنت تعلم انه لم يبق بيني وبين موعد الاحالة على التقاعد سوى بضعة أشهر ، وأنا ـ كما تعلم ـ مازلت مكتمل القوة موفور النشاط قادرا على



الحركة والعمل ، والقوانين المعمول بها تجيز للمتقاعد أن يستمر في خدمة الحكومة ، بصفة استثنائية .

وقاطعه الرئيس قائلا :

ـ لقد فهمت مقصدك ـ اطمئن سوف أدبر لك عملا مناسبا تضيف دائما على التقاعد ، وسوف يصلك مني اشعار بهذا حينما يحين الوقت ، فانصرف في أمان الله .

وينصرف عبد الرؤوف مسرورا وهو يقول في نفسه : ان نجاح مثل المسعى يعني انني سأضرب عصفورين بحجر واحد ، مواصلة العمل في الادارة والبقاء قريبا من سعاد ـ ومن يدري ! فقد يتكفل الزمن بازالة ما بيننا من عوائق فيتحقق حلمي بالزواج منها ـ الزمن أبو العجائب ، كما يقولون ! ـ

تأتي اللحظة الهامة فيحال عبد الرؤوف على التقاعد ، وقبل أن يغادر الادارة يلقي نظرة اشفاق على المقر ، وتقع عيناه على الغرفة الضيقة فيتأملها بمرارة ثم يتطلع الى آلة الاستنساخ الفوتغرافي فتغرورق عيناه بالدموع وتعلوه تقشه عبرة ويصيبه الذهول : انها ساحة الفراق الرهيبة !

ويبدأ عبد الرؤوف حياته الجديدة الا أنه لا يغير الا قليلا من عاداته القديمة ، يستيقظ في الساعة السادسة كما كان يفعل من قبل ويخرج من البيت في الثامنة ويقطع نفس الطريق وهو منشغل بقراءة الابواب المفضلة لديه في الصحيفة الصباحية .

وتقوده خطواته الى مكان عمله القديم، يمر عليه من غير أن يدخل ثم يعود للبيت فيقبع في غرفة الجلوس حيث يتصفح بعض أوراقه الادارية القديمة ويقرأ صفحات من الجريدة الرسمية ، ولا سيما الابواب المتعلقة بترقيات الموظفين وتسمياتهم وانتقالاتهم ، ومن حين لآخر يدخل الى المطبخ ثم يخرج الى الحديقة ويعود الى غرفة الجلوس حيث يشرد ذهنه وتتسلط عليه الاوهام ويساوره القلق فيتأوه ويسأم ويغمض عينيه ، ويبقى على هذه الحال حتى يحين موعد الغداء فيتناول طعامه ثم

يقضي أوقات الظهر والمساء كما قضى سويعات الصباح .

أما الاختلافات التي [illegible] سوى انجازها في البيت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] نفسه بمشغول تقشه وعاود أوقات فراغه في أعمال مفيدة داخل البيت أو خارجه ، وكثيرا ما نصحته في فتح متجر صغير لبيع الفواكه الجافة التي كانت تصلها منها كميات لا بأس بها من مزرعة أبيها في الارياف ، والحقيقة أن رقية كانت تضيق بوجود زوجها في البيت طيلة النهار ، أما هو فقد كان فكره مشغولا بأمرين : سعاد والخطاب الذي وعده رئيسه المباشر بارساله اليه ، ولذلك فانه كان يتطلع الى مرور ساعي البريد تطلعه الى رؤية سعاد الحلامة .

ومرت عدة أشهر وصاحبنا على حاله من الفراغ والقلق والسآمة ، وذات صباح طرق ساعي البريد باب البيت وسلم لعبد الرؤوف رسالة فض غلافها على الفور وقرأ محتواها :

« بعد التحية ، تلبية لطلبكم يسرني أن أخبركم انني قد عثرت لكم على عمل يناسبكم بمخازن الادارة ، فمن حسن حظكم أن الحارس الليلي الذي كان مكلفا بالمقر قد توفاه الله اليه

فرأيت أنكم خير من يخلفه نظرا لأمانتكم وتمرسكم بشؤون الخدمة ، وسوف يصرف لكم أجر يومي قيمته عشرة دراهم .

فأرجوكم أن تتصلوا عاجلا بدائرة المستخدمين .

وتفضلوا ... »

وما أن أتم عبد الرؤوف قراءة الخطاب حتى اكفهر وجهه واحتدم غضبه وتقوضت كل آماله : كيف ـ أبعد خمس وثلاثين سنة من العمل الدؤوب في الادارة والتفاني في خدمة الرؤساء أصبح مجرد حارس في المخازن أسهر الليالي وحيدا ومحروما هذا جزائي بعد كل ما قدمته من خدمات ثمينة لرؤسائي ؟

وأحس عبد الرؤوف ، لأول مرة ، انه أصبح متقاعدا بالفعل ، وأنه بدأ يدخل مرحلة الشيخوخة من بابها المظلم الكئيب ، فلا كانت سعاد ولا كانت الخدمة !

وما أن هدأت نفسه حتى أخذ يستجمع شتات ذهنه ثم بدأ يفكر جادا في مشروع متجر الفواكه الجافة الذي كانت زوجته رقية قد اقترحت عليه فتحه .

محمد العربي القطابي

عز الدين صغيرون

الأزمة الروحية في الرواية المعاصرة

■ وهذا هو الداء الأمثل كما يراه المثقفون عادة

■ حب الحياة يجيء حينما يضعف إحساسنا بالزمن

هل ما يعانيه « عمر » بطل رواية نجيب محفوظ حالة مرضية ؟ أم أزمة روحية ؟

انه محام ناجح ذو مكانة اجتماعية ، راقية ، ووضع مالي مريح (متزوج وله بنتان وولد) ورغم هذا يذهب الى الدكتور بدعوة انه مريض في حاجة ماسة للعلاج . وحينما يسأله الطبيب — بعد الفحوصات الطبية اللازمة — بماذا يشعر ؟ لا يجد في ذهنه حالة محددة مقنعة يستطيع ان يصف بها مرضه . ولكنه يجيب قائلا : « شد ما كرهتها — الحياة — في الأيام الأخيرة » فينصحه الطبيب بقوله : « اعتدل في الطعام — اقلل من الشراب — والزم بريقتك منتظمة كالمشي — انت كلي ما تكشفه » . ويتبع هذا النصح الطبي ويذهب في اجازة طويلة للاسكندرية . وهناك يطبق هذا النظام الحياتي المثالي — في نظر الاطباء — ورغم هذا يعود الى بيته في القاهرة وداء « كره الحياة » لم يفارقه .

ونجد بالمقابل « كيغان » بطل مسرحية برنارد شو « جزيرة جون بول الأخرى » يحس بنفس الاعراض ، أو بما يسميه هو « لا معقولية الحياة وانه يكره هذه الحياة » . ويناقشه « نورا بيتت » على أن الحياة معقولة وجميلة ، وانه مقتنع بها كرجل عاقل ، وان يعش الشرود فيها — فيما يتمنى كيغان — وهو يعاني من نفس حالة « عمر » : — وعلى ذلك فانت تحس بكامل حريتك في هذا العالم ؟

— نورا بيتت : بالطبع ! الا تحس انت ايضا بذلك

— كيغان (من الصميم) : لا .

— نورا بيتت (بسذاجة) : حرب حبوب الشعور

باليأس بسبب... كما شعرت بطريقتك ... هذا هو الشفاء (الداء) الأمثل كما يراه المثقفون عادة فهم ينسبون كل نقيصة روحية مختلفة الى اسباب فسيولوجية ، او على أحسن الفروض يسعون كما قال « فرويد » ويسعون بالذهاب الى المحلل النفساني !

ما هي المشكلة ؟

يستطيع ان نضع لها قالبا ، او صيغة ، مرتبكة بعض الشيء ، الا انها توضح بصورة بسيطة ما نعنيه بها في المستويات المختلفة ، الا وهي مشكلة الحياة الانسانية . ورغم اتساع وشمولية مفهوم « الحياة الانسانية » الا اننا نعني بها ذلك الصراع والتضاد القائمين بين « الكائن الطبيعي » و« الكائن المعنوي » في بنية الانسان . وهذا يعني بالطبع ازدواجية تركيب الانسان : ككائن طبيعي يعيش ضمن استخطاطات الطبيعة وقوانينها الصارمة من ناحية ، وككائن معنوي يمثل تجربة روحية خاصة به ويتطوره الروحي من ناحية أخرى .

اما الصراع فيتأتى من واقع كون ان الانسان هو الكائن الوحيد الذي لا تقوم علاقته مع الطبيعة على التكيف ، بل هو — على العكس — يحاول دائما ان يوقف ويكيف الطبيعة وفق اغراضه هو . وهذا منشأ الصراع بين العقل والطبيعة ، لأن العقل كطبيعة مضادة — يقف في مواجهة الطبيعة ليفعل بها ما يشاء ويتصور . وحينما ينسحب هذا الصراع على كامل بنية وتركيب الانسان ، نجد ان السلوك الانساني الامثل ، وهو السلوك المتحرر من قيود الغريزة ، والنابع او المبتدع من العقل . وهذا عكس سلوك الحيوانات عموما ، والذي يقوم على الغريزة ، كالكائن جسدي ، ومن هنا فوق الحيوان تكيفه الجسدية على التكيف الحركي ، وقائدها الانسان ، الذي حاول ان يخضع جسده ، كجزء من الطبيعة ، لعقله . ويستطيع هذا ان يفسر لنا الحضارة — على « تمرد عن الطبيعة » — بل ويصلح هذا لأن يكون مدخلا مفهوما لقول شبنغلر في « تدهور الحضارة الغربية » من ان كل سيكولوجية هي فيزياء مضادة .

مشكلة الحرية

وبهذا نكون قد خطونا أول خطوة في معمعة قضية « عمر » . وتتحدد هذه بتعريفنا لها بأنها مشكلة « الحرية » . بماذا نعني بالحرية ؟ انها التحرر من استخطاطات الطبيعة وقوانينها الصارمة . الا انها ليست كذا وحسب ، لأنها في هذا المستوى انما تكون مشكلة سياسية واجتماعية ، بل هو تضيف اليها الشرط الثاني والذي يعطيها المفهوم الاشمل والمدلول الاعمق — الشرط الفلسفي — مفهوم الايجابية : كيف نسيطر على جسدي ، ونطلق سراح روحي — لأكون إنسانا حقيقيا وحرا ؟ ونستطيع ان نجد بأنه منذ البدء كان يحس احساسا مبهما بهذه المشكلة . ففي اولى صفحات الرواية يعلق على لوحة معلقة امامه ، « هو الأفق ينطبق على الأرض ، دائما ينطبق على الأرض من أي موقف ترصده ، فيا له من سجن لا نهائي » .

وهذه هي المشكلة على وجه التحديد : المحدودية التي تحاصره في كل حياته على المستوى الطبيعي ، أي محدودية حياته ككائن طبيعي ، ولذا فهو يعتاظ من الكمالية المتجسدة في عيون الابقار في تلك اللوحة . ويعلق قائلا : « لم تطاوله عيون الابقار بقداستها » . وقوله هذا يشبه جسد « ت . س . اليوت » مؤلف « الفدة الحكمة السبعة » ، المجندي الذي يداعب كلبا وهو خال من التوتر والقلق اللامعقول بوضعيته الانسانية المهينة ، لأن حريته لا تصيب له قلقا ولا أرقا .

في المرحلة الأولى كانت المشكلة عنده مشكلة الخلاص الذاتي ، الخلاص من عبودية الجسد — وهو رمز الانسان — الكائن الطبيعي الثقافي . ونجد عمر مجسد لنا هذا المفهوم حينما يردد قول الطبيب له : « من الآن فصاعدا انت الطبيب » يردده في نفسه ويقول : « من الآن فصاعدا انت الطبيب ، فانت حر » . والفعل الصادر عن الحرية نوع من الخلق . وحتى ولو كان مقاومة مستمرة لشهوات البطن ، ونقل ان الانسان لم يخلق ليتخم بالاطعمة . وبتحرر المعدة تتحرر الروح كذلك وتحلق . « ص ٢٨ » وهو بهذا انما يردد القاعدة التي تلتقي عندها كل الاديان — والتي تنص على انه ليس بالخبز وحده يعيش الانسان .

- الأفكار لا تموت.. وهي وحدها التي لها قوة البقاء فوق الزمن
- الإنسان لا يستطيع أن يضع قدماً في أرض العقل.. وأخرى في أرض الطبيعة

الزهد في الناس والأشياء

ويتطور نفسه، وتتضاءل أحداثها بعد ذلك، ويتطور دائره معها. فنجده بعد الثلاثين يزهد في زوجته وبيته ويقول: «لا أرى في زينب العزيزة — زوجته — إلا تمثالاً لوحدة الأسرة والبناء والعمل». وفي صفحة ٣٦ يقول: «إنهما شيء واحد. زينب والعمل.. والداء الذي زهدني في العمل هو الذي يزهدني الآن في زينب.. في القوة الكامنة وراء العمل.. في الرمز.. في المال والنجاح والثراء.. وأخيراً.. المرض. ولأني أتقزز من كل أولئك فأنا أتقزز من نفسي.. أو لأني أتقزز من نفسي فأنا أتقزز من كل أولئك».

وهنا ملاحظة مهمة يمكنها أن تلقي الضوء، وتوضح أكثر مفرداته.. فالانسان كائن طبيعي، إنما يتغذى بفعل قواه الغريزية، تماماً مثل الحيوان.. وكل القواعد السلوكية في هذا المستوى «الطبيعي» تتحكم فيها القيم الغريزية وهي تقوم أساساً على قاعدة البقاء، ومنها يتفرع حب السلطة والقوة بكل أشكالها ومفاهيمها المادية الطبيعية. قوة الجسد وقوة المال.. إلخ. وهذا ما حققه عمر، وهي على هذا نهائية.. أو متناهية.. فأنت كما يقول برنارد شو لا تستطيع أن تنقل أكثر من المعدل الذي حددته لك الطبيعة.. لابد من حد تقف عنده.

ومن هنا ترسخت في لاشعور الانسان قاعدة ألا وهي: أن العيش بمستلزمات الطبيعة حياة محدودة ومتناهية.. فهي قيد وموت.. لأن الموت لا يحدث إلا في التاريخ الانساني الجسدي. والموت هنا هو نهاية «الانسان — الجسد».

بينما تخلد قيمة معنوية وروحية.. فالأفكار لا تموت.. وإن مات المفكر.. وهي وحدها التي لها قوة البقاء فوق الزمن.. ووراء الزمن. وهذا ما نخلص منه الى قاعدة أخرى هي: أن الانسان يقرر نفسه ولا يتجاوزها حينما ينغمس في الحياة العملية اليومية.. والذين كانوا يستطيعون أن يفسروا القاعدة، بقوله في «أسطورة سيزيف»: «الضجر يأتي في نهاية أفعال الحياة الميكانيكية» وإننا واجدون أن كلمة الضجر هي قرار الخواء الذي تعود اليه فصول رواية الشحاذ، وبأشكال مختلفة متنوعة.

والآن فإن المسألة تبدو على هذا النحو «في الفلسفات الانسانية المعاصرة — وطبقاً لتفكيرها الاجتماعي — أن حياة الانسان لا ينقصها سوى توفير احتياجاته وضرورياته المادية المعيشية (بحسب حق)». وتلك فلسفة الوجودية الحديثة التي نهايته فنسأل: هل تظهر مشكلة الانسان بذلك؟ ألا نجد بأن الاحساس بتفاهة الحياة وبالضجر تجتاح حتى الأثرياء؟ وتصير المشكلة في نظر الوجودية بعد ذلك كالآتي: أن الانسان يحتاج دائماً لأن يعيش حياته بايجابية وبلا قوة أو احساس بالتفاهة بها، إذا استطاع أن يكتسب

نجيب محفوظ



[illegible] الانسان لا يستطيع ... العمل والواقع العملي، ولهذا يقرر ... النتيجة والواقع المعيشي. ولذا فإننا نجد عمر محرضاً ... بحواء الحياة ... الى الهدف والمعنى.. فالضجر الذي أصاب الكاتب سكوت فتزجرالد كان يعود الى هذا.. إذ أنه جعل الثراء والحياة المرفهة والتفوق الاجتماعي غاية له.. ولكنه لما وصل الى نهاية الطريق الاجتماعي أحس بفشل حياته وخوائها وعبثيتها كلها.. فمات موتاً مجانياً عبثياً!

هل من خلاص؟

الانغماس في حياة جنسية مطلقة، يمكن أن يمنح الانسان تلك الطاقة المعنوية التي تبدد أبخرة الضجر والقلق.. وتملأ فراغات حياة الفرد، إلا أنه مخدر، وحل مؤقت.. فالنصر فيه هروبي وغير حقيقي، وقد ... المركز ذي ... حتى نهايته.. إلا أنه لم يحقق له شيئاً، بل انتهى به في نهايته الى التكرار الميكانيكي للفعل.. وإنما أصابه الضجر.. العدو الأول ... الى خلق توسع في الفحش الاسفي... وهو الفعل الجنسي.. فصار مجرماً مثل المجرم الجنسي في رواية كولن ويلسون «طقوس في الظلام».. وكل أنواع الاجرام الجنسي، إنما هي في جوهرها علامة على الافلاس والضجر من المعيشة الجنسية.. التي تحدث.. عن طريق الخطأ.. الى اشباع الرغبات الروحية العميقة، لكنه انحرف بها وبغايتها، فالاستجابة بها،

لاشباع حاجات تختلف — اختلافاً كمياً كبيراً يكاد أن يصبح نوعياً — عن الجنس.

السقوط في المتع الحسية

ويجد عمر في بحثه عن الخلاص، ينغمس في علاقات جنسية متعددة ومتنوعة.. ويقول لصديقه مصطفى: «أما رأيت أنني خرجت الى الغير أرى الحياة على التمييز». وصحيح الى حد بعيد أن الأنثى رمز للحياة، ولكن الحياة الطبيعية وهو كان يعاني من تشوش في معرفته لمشكلته الحقيقية، لذا لم يدر ما يريده على وجه التحديد، لأن القلق في التفاهة النفسية لم يكن إلا البحث عن عالم الطبيعة المفقود، وهذا لا يقود الى طريق المرأة.. بل على العكس.. يقود الى ضد المرأة.. الى ضد الاعتياد والاستقرار، وتحسس الخطر في هذا الطريق في الوقت المناسب.. أي قبل أن يشتد به الضجر الذي يدفعه الى الشذوذ الجنسي، أو الاجرام، أو القتل. وقد كاد أن يفعل، ونجد في صفحة ١٢٦ مثلاً، وهو يضم ... غانية — في حجرته — رغبة غريبة في قتلها.. ويتخيل أنه يشق صدرها بسكين فيعثر في داخله على ما يبحث عنه. القتل هو الوجه الخفي للخلق وهو تكملة الدورة المفرغة التي لا تتكلم.. ويخيل لنا أن قتله المرأة كان سيكون محاولة لقتل الحياة الميكانيكية عجزاً — التي هي رمزها وسرها الأكبر —، والقتل كان سيكون محاولة للتجاوز، بحثاً عن الجوهر الأصيل — للحياة — فيما وراء هذا الشكل الهش الزائف لها. ولكنه قبل أن يقتل يصل الى نتيجة مؤداها فيما يقول ص ١٢٠: «نشوة الحب لا تدوم ونشوة الجنس أقصر من أن يكون لها أثر». وهذا حصيلة ما انتهاه في الخلاص عن طريق الجنس. فيدور الى تجربة منه فشلاً، الحق أنني أكره النساء، وهذه خطوة في الاتجاه الصحيح.

ونعود الآن الى مشكلة الهدف أو المحرض. فلما كان الرجل قد فقد كل هدف وغاية فقد فقد بالتالي كل رغبة في الحياة. وهذا واضح من الحوار الذي جرى بينه وبين صديقه مصطفى — وقد كان حديثهما عن الهدف فيما هو واضح. فقد قال مصطفى:

— الحقيقة أن عملك قد حقق لك أبعد غايات النجاح.. وان زوجتك تمنيتي فلم تعد أمامك غاية تتطلع اليها

— هل أسأل الله فشلاً في العمل.. وخيانة في الزوجية؟!

— لو استجاب لك لمنحك حب الحياة من جديد (ص ٦٠).

وحب الحياة يجري حينما يضعف احساسنا بالزمن.. أي حينما نعيش وراء قيود الزمن ووطأتها.. واللحظات السعيدة فيما نعلم إنما قصيرة حتى ولو طالت يوماً بحاله.. ولحظات الضجر والشقاء طويلة ولو كانت دقائق

مفصودات . وفي « العودة الى ميتو شالح » لبرنارد شو نعرف جواه ان هناك طريقا للخلاص من مصيدة الزمن .. طريق الفنان وصاحب الرؤى . وقد جرب « عمر » بطل « الشحاذ » طريق الفن في شبابه ، فقد كان الناس يشتغله ويضع نبوءته الا انه هجر الشعر ، لأن العلم فيما يقول بطلاسمه والغازه وعلمنه يخرج الشعر عن مقامه .

رفض الرومانسية والشعر

وفي الواقع نستطيع ان نعرف السبب الحقيقي الذي يجعله يرفض العودة الى الشعر ، وهو يتمثل في الرومانسية ، لأن عمر الرجل تجاوز الشباب ، وقضى حياة علمية وعملية ناجحة وطويلة .. ولذا فهو يحس بأن عودته الى الشعر ستكون سخفا .. وعودة الى الوراء .. الى الشباب والرومانسية . التي فيها من الضعف ما يجعله – بتجربته العلمية والعملية الطويلة – يبتعد عن الطريق الصحيح نحو التشبع والتحرر النهائيين . ويقول هلر في رواية هرمان هيس « سدهارتا » : « ليس الانسان شكلا ثابتا غير متوقع ، انه تجربة وانطلاق . انه لا شيء .. الا من جسر خطر ضيق بين الطبيعة والروح .. ان المصير الكامن فيه يدفعه الى الروح والى الله ، اما حنينه الكامن ايضا فانه يعود به الى الطبيعة » .

والطريق الى الله وإن ابتدأ بالرومانسية الا انه لا يعود اليها ثانية . ويقول هيس « ان العودة الى الطبيعة ثانية طريق مزيفة تقود الى اللامكان انها تقود الى العذاب واليأس . كل شيء « مخلوق » حتى ابسط الاشياء هو من اسقمه خطيء متعدد . ان الطريق الى البراءة الى اللامخلوق الى الله ، تقود باستمرار ، لا إلى الخلف ، الى الشباب او الطفل ، وانما ابعد نحو الخطيئة .. اعمق نحو الحياة الانسانية .. وبدلا من ان تقوم بتضييق عالمك وتبسيط روحك ، ستأخذ العالم كله في روحك مهما كلفك ذلك » .

وهذا ما يمنع عمر من العودة الى الخلف .. الى الشباب والطلاقة الوردية .. الى الشعر . وهو كما قلنا الذي يملك من ذخيرة التجربة الحياتية العميقة ما يعصمه عن التردي في هاوية الرومانسية الحالمة . والمشكلة انه يحاول هذا يريد ان يتخلص من مصيدة الزمن فيقول « الملا بالبرنس الظلام العقل هذه الايام » ص ٢٩ ويحسد تحطيم بوتقة الزمن لا شعوريا ، وتحطيم اطره التقليدية المتحجرة الثابتة الازلية على هذه الاطر والقوالب العقلية الجامدة فيقول في ص ٨٧ : « الاجابة العقلة تحطك والكلها تستقر ، التصرفات العقلة تقتسيك بلا معنى .. ما اجمل ان يثور البحر حتى يطارد المتسكعين على الشاطيء .. وان يرتكب المسافرون على الكورنيش حماقات لايمكن تصورها .. وان يطير الكازينو الكبير فوق السحب .. وان تتحطم الصور

المألوفة الى الابد . فيخفق القلب في الدماغ ، وترقص الزواحف والعصافير » . وكل هذا انما هو محاولة لهدم وتقويض العالم الخارجي المتماسك بلادة وغباء . وهنا نحس بتدخل عنصر الحلم والخيال وثورة القلب ضد العقل . وربما كان العنصر الانساني المشترك هنا هو الاحساس بمخفية الوجود الانساني برمته .

البحث عن اليقين

فهل الى « كيف يتم الخلاص » ؟

يتأكد ما قاله كولن ويلسون في ان الرؤية هي الشيء الذي يسعى اليه اللامنتمي . فاولى شعر الرؤية في الصحراء وهو وحيد ويصفها وصفا جميلا وافيا من الصفحات ١٢١ – ١٣٢ – ١٣٣ . وقال عنها بعد ذلك : « هذه هي النشوة .. اليقين بلا جدل ولا منطق .. انقاذ المجهول ومسقط السر » . والخيرا تساءل وهو يزيد من سرعة سيارته عقلا بعد ان اللحظ من الرؤية والحصر عندها : لا يستطيع ان يتلمس ان [illegible] الرؤية والنشوة [illegible] النشوة الفن والنهي [illegible] [illegible] وفيه [illegible] اليومية [illegible] الاشياء المشوقة [illegible] [illegible] [illegible] في المصعد . فوجد الطفل الرضيع [illegible] [illegible] في الشارع وهو يصرخ « بيبكا – بيبكا » التي وجهتها . وجهها . وهي اللحظات التي اكتشف فيها نيوتن قانون الجاذبية حينما كان مضطجعا وسقطت التفاحة عليه من الشجرة فاصبحت مسألة الجاذبية فجأة ، وسقراط جعل عيدا يحل مسألة هندسية صعبة لمولاه . بعد ذلك ان حل المسألة كان يوجد في دواخل العبد الا انه غافل عنه بالانغماس والانشغال بشؤون الحياة اليومية وجزئياتها التافهة ، فالمعرفة في داخلنا ولكننا نشتغل عنها بجزئيات حياتنا اليومية البسيطة ولكننا في لحظات الرؤية نستجلي هذه القوى الخبيئة في داخل انفسنا . والمشكلة بفلسفة الوجودية الجديدة هي : كيف نسيطر على هذه القوى ونوجهها متى وكيف ما نريد .

وتنتهي القصة او تكاد هنا ، فنجد صاحبنا عمر وقد نبذ الحياة العامة ، والعمل نفسه وطبيعته ومشاكله وبيئته وكل الدنيا .. وكرس نفسه لستعيد هذه الرؤية التي شاهدها في الصحراء ، ويغيب عن نفسه وعن ما حوله في الحدائق العامة . وتجد مقاطع شعرية مكثفة جميلة . بل من اجمل ما كتب في الروايات الحديثة . الا انها تثير القضية خطيرة الفنية هذه الرواية . يسميها هذا .

والقضية تتركز في الفنية من حياة الانسان ، وجعل الرؤية او لحظات الرؤى هي غاية حياة

الانسان وهدفها الاسمى .. ومن خلال هذه القضية يمكن ان يوجه النقد للنظرية الوجودية التي جاء بها كولن ويلسون .. وخلفة ما نقوله هنا : تضاحي الرؤية ، لحظات التركيز الذاتي العميق لان تكون الغية ، نحاول ان نكتشف ونتلك بها من منحتنا الروحية وهل هي على مقوام ! والمقياس الذي نقيس به لبقائنا هو : مدى استطاعتنا السيطرة على هذه اللحظات لأطول مدة ممكنة .. او استحضارها متى شئنا .. في الزمان والمكان اللذين نريدهما .

ولكنها لا يمكن ان تكون غاية نحياها كما يتصور ويلسون ؛ لماذا ؟

لانها لحظات عارضة ، سرعان ما تذهب وتتبدد .. لتتركنا كما نحن .. بكل ضعفنا ورغباتنا .. وانسياقنا وراء التوافه . وهذا ينبع من طبيعة لحظة الرؤية ذاتها .. انها تصاعد وفوران روحي ، ولكنه ليس سموا روحيا مستمرا يقلنا على اسس ثابتة .. بقدر ما هو تصاعد وفوران روحي عاطفي مؤقت وعنيف . ومحاولة جعل هذه اللحظات غاية للحياة ، ترمي بالشخص بعيدا عن صراع الحياة وتجعل منه حالما محلقا سرعان ما ينتحر او يموت او ينتهي بالجنون اذا فشل في استعادة هذه اللحظات .. او حتى إذا ادمنها بشدة .

وربما كانت الخطوة الاولى في الاتجاه الصحيح في حالة « عمر » يستطيع ان يقدمها كولن ويلسون بقوله « ان الانسان الذي يريد ان يتطور دون ان يقضي على القابيله يجب ان يسيطر على « كليبان » – الوحش – في ذاته – وهو شخصية مشوهة يعتبرها شكسبير الصلة بين الانسان والارض ، او الانسان والحيوان وذلك في مسرحية العاصفة – الوحش الذي سماه بيتيك الشبح ، وهذا الشبح هو العدو ، وقد كتب بيتك قائلا :

> كل انسان هو في قبضة شبحه ،
> حتى تحين الساعة ..
> التي تستيقظ فيها انسانيته
> والتي يشبحه الى البحيرة

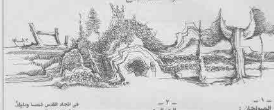
ولم يبلغ الحديث بعد تلك عن المشكلة ، ولكننا وقفنا حيث وقفت رواية نجيب محفوظ العظيمة « الشحاذ » الا انه ربما جاءت مناسبة اخرى نتحدث فيها عن اقتراح الطريق الصحيح ونتوسع اكثر وأوفى ..

عز الدين صخيرون

في عدد قادم :
محمد حسن اسماعيل
[illegible]
بقلم : هارون هاشم رشيد

ملصقات على باب العامود

شعر: أحمد الشيخ



ـ ١ ـ

الصولجان :

يسقط الليل على الليل
وتشتلق الرحيل
في اتجاه الضوء ...
والدرب طويل
ـ هل تعبت ؟؟
ـ لم أجد بعد طريقي
خطوة أو خطوتين
ودخلت الدائرة
وأقمنا الدهش حتى السحرة
وعلى وقع الطبول
فلدوك الصولجان
عاشقاً للوهم في هذا الزمان
ـ خذلتك الذاكرة
فلذا الشوق بعينيك ذهول
والسنابل بخـــان

ـ ٢ ـ

الجوال :

يكبر الوهم ويمشي [illegible]
في اتجاه [illegible]
[illegible]
ـ هل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] إلى الصحو
ويصحو نفسـا
نائماً يطفو على حلم جميل

ـ ٣ ـ

الصرخة :

يكبر الجرح على الجرح ،
ويدعـوك الرحيل
في اتجاه القدس شمساً ودليلاً
ـ هل صحوت ؟؟
ـ لم أجد بعد خلاصي
يا رؤوسا أينعت بعد القطاف
في انتظار المعجزة
يهجر الماء الضفاف
والفتاوى جـاهزه
إنه العشق النبيل
صرخة الأرض تزج الذاكره

ـ ٤ ـ

النهار :

يكبر الطفل ويجتاز الحصار
ويلاقي الخاصـــة
وعلى مد الجهات الناعسـ
يزرع الأرض نهـار

عندما يستعير [illegible] سيارة والده فانه يخرج [illegible] من [illegible] السيارة ويضيف [illegible] إلى عمر والده .

●

[illegible]

●

سألت الأم ابنتها عن [illegible] في [illegible] الأول [illegible] :
ـ [illegible] ... [illegible] ...

●

كان الرئيس الأمريكي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
ـ [illegible] ... !!

رءوف توفيق

عصر جديد للسينما.. يبدأ

● التفاؤل والحماس يواكبان بداية الثمانينات.. وهناك آمال كبرى في حركة انتعاش ومنافسة قوية بين صناع السينما العالمية

لقطة من فيلم (شعر) للمخرج ميلوش فورمان

لا يختلف اثنان من النقاد أو المراقبين لحركة السينما العالمية على أن العام المنقضي — ٧٩ — شهد بداية ما يمكن تسميته بعودة الحياة الى السينما كفن وفكر وكصناعة.

ومن هنا فان قدرا كبيرا من التفاؤل والحماس يواكب بداية الثمانينات، ويتبدأ بحركة انتعاش ومنافسة قوية بين صناع السينما العالمية.

ويأتي هذا التحول بعد أن كادت السينما الامريكية — أقوى وأغنى سينما في العالم — أن تشهر إفلاسها، وتغلق استوديوهاتها وتصفي أصولها — نتيجة انهيار أسواق التوزيع المحلي والخارجي، وانصراف الجمهور عن دور العرض السينمائي والاكتفاء بمشاهدة التليفزيون داخل بيوتهم.

واستمرت هذه الأزمة الطاحنة من أواخر الستينات، والى منتصف السبعينات تقريبا، وسط محاولات مستميتة من جانب خبراء صناعة السينما الامريكية لدفع الدماء من جديد في الجسد المريض. وقيل أيامها أن السينما الامريكية تعيش في غرفة الانعاش!

وتنوعت محاولات الانقاذ، ما بين تكتل شركات الانتاج الكبرى، وما بين الاتجاه الى تقديم الأفلام التي تعجز شبكات التليفزيون عن انتاجها وتقديمها.. فظهرت أفلام الرعب والكوارث مستخدمين في ذلك كل الامكانيات المتطورة في حرفية الصناعة السينمائية من خدع وحيل فنية، مستهدفين أساسا استثارة غرائز الجمهور ودفعهم للتخلي عن مكانهم المريح أمام التليفزيون داخل بيوتهم، والنزول الى الشارع والاتجاه الى دور العرض السينمائي.

ومهما كان رأينا في نوعية أفلام هذه الفترة، الا أنها بمثابة أفلام مرحلة انتقال من عصر الى عصر في الفن السينمائي.

وأعتقد أنه عندما يكتب تاريخ السينما من العشرين عاما الماضية، سيتوقف الباحثون طويلا أمام موجة أفلام الرعب والكوارث.. لا لتميز موضوعاتها بحثا عن قيم الجمال والفكر، بل كدليل على براعة خبراء السينما الامريكية في مواجهة الأزمة وإعادة إغراء الجمهور لارتياد دور العرض.

ولأنها أفلام مرحلة انتقال لا يمكن أن تستمر أو أن تعيش طويلا.. فقد شهدت



جين فوندا – مايكل دوجلاس وجاك ليمون في فيلم (أعراض صينية)



مارلون براندو والمخرج كوبولا – فيلم (نهاية العالم الآن)



ستالون في فيلم (روكي)

شركات الانتاج السينمائي مع مرحلة الانكماش المؤقت . لاصحاب المواهب الشابة والجادة لكي يبدوا انفسهم لتقديم افكارهم ومشروعاتهم للمرحلة التالية من تطور الصناعة السينمائية

وجاء عام ٧٩ ليشهد الثمار الاولى من افلام المرحلة الجديدة في السينما

ولم يخيب جمهور المشاهدين الظن .. سجلت ارقام الايرادات في دور العرض السينمائي – داخل الولايات المتحدة الامريكية – وخلال عام ٧٩ – زيادة قدرها ٢٠ مليون دولار – عن العام السابق له اي ان الجمهور بدأ يعود من جديد السينما .. وبدأت السينما تستعيد مجدها القديم .

● **الافلام الثلاثة العملاقة**

ويمكن تسجيل بداية المرحلة الجديدة في السينما بعرض الافلام الثلاثة التالية (نهاية العالم .. الآن) للمخرج فرانسيس كوبولا – (ايام السماء) للمخرج تيرنس ماليك – (هير) للمخرج ميلوش فورمان

فهذه الافلام الثلاثة .. وإن اختلفت موضوعاتها .. إلا انها تتفق في نقطة جوهرية وهي انها جلبت للسينما [illegible] المتع البصرية والسمعية [illegible] الا ينتهي [illegible] والمؤثرات الصوتية [illegible] المخرج في [illegible]

[illegible]

ويتحقق في وصف هذه السينما ما قاله منذ زمن الفنان المخرج الامريكي اورسون ويلز (لا يصبح الفيلم جيدا حقا .. إلا حينما تكون الكاميرا عينا شاعر) وما عبر عنه ايضا المخرج الفرنسي ريتيه كلير (ان ما هو سينما .. هو ما لايمكن روايته)

حينئذ تصبح هذه الشحنة الهائلة والمتدفقة من الاحاسيس التي يلتقطها المتفرج . اقوى من القدرة على التعبير عنها او روايتها بالكلمات .. فجزئيات الصورة والصوت تصبح كقطعة من الموسيقى لا يمكن ترجمتها الى عبارات مقروءة او منطوقة .. فهذه الموسيقى تظل موسيقى .. وهذه السينما تظل سينما ..

والبراعة في الوصول الى هذه الصيغة الفنية الجديدة للسينما .. لا تنهض .. ولا تعيش على اساس من الوهم او الكذب .. بل لابد ان تقوم على ارض صلبة من الواقع والحقيقة .

وهذا ما تميزت به الافلام الثلاثة .. وهذا ما اعطاها نقطة الريادة للمرحلة الجديدة في السينما .. انها افلام تقول اشياء كثيرة عن الواقع الانساني وتخاطب العمق الانساني في اي مكان على الارض من خلال قيم العدل والحق والخير .

فيلم (نهاية العالم .. الآن) للمخرج كوبولا .. يناقش قضية الحرب في فيتنام .. او بمعنى اشمل قضية القوة الغاشمة التي تحاول ان تفرض سيطرتها على الآخرين .

وفيلم (هير) للمخرج فورمان .. يناقش نفس القضية من منطلق حق الشباب في الحياة والحرية والحب .. في مواجهة نفس القوة الغاشمة التي تحاول استخدامه كوقود لمعاركها وانتصاراتها الكاذبة .. كل هذا من خلال الموسيقى والرقص والغناء !

وفيلم (ايام السماء) للمخرج ماليك .. يقدم قصيدة شعرية بالسينما عن القوى الشريرة داخل الانسان عندما تفسد كل ما حولها من حب وجمال وعطاء .. انه فيلم عن الطبيعة بكل ما فيها من خير وتفتح .. والانسان بكل ما فيه من طمع وشهوة وخراب نفسي !

ومن الملامح الهامة لهذه الافلام الثلاثة انها اعتمدت تماما على الوجوه الجديدة من الممثلين .. فيما عدا فيلم (نهاية العالم .. الآن) الذي استعان مخرجه بالممثل مارلون براندو ليظهر في الدقائق العشر الاخيرة من الفيلم .

وهذا ما يؤكد ان هذه السينما تعتمد اولا واخيرا على قدرة المخرج في عرض موضوعه .. والتحكم في كل عناصره الفنية دون الاعتماد على اسماء او شهرة بعض الممثلين .. وهذا ما يعني نهاية اسطورة النجوم

فالنجم الاساسي هو الفيلم ككل

وقد اثبتت ايرادات هذه الافلام ان الجمهور لم يعد عبدا للاسماء الكبيرة .. بقدر ما

لقطة من فيلم (مانهاتن) يظهر فيها وودي آلن مع ديان كيتون



أصبح مشوقا لأن يكتشف الجديد وأن يلتقط من ماله ايرى موضوعا يهمه

● مباراة أمريكية

والتنوع المدهش والمثير الذي شهدته السينما الامريكية في عام ٧٩ .. تضمن ايضا الفيلم الجديد لعبقري الكوميديا الامريكية (وودي آلن) الذي كتب ومثل واخرج فيلمه (مانهاتن) وتعمد أن يصوره بالابيض والاسود كنوع من التفرد بين زحام الافلام الملونة . وللتعبير عن موضوعه الذي يسخر فيه من الحياة الامريكية والمادية التي سيطرت على كل شيء حتى اصبح الانسان العقلي الذي يحمل قدرا من الثقافة ، غريبا ، وحيدا ، غير قادر على الاتصال بالآخرين

ويعود (روكي) مرة أخرى .. انه الممثل (سيلفستر ستالون) الذي كتب ومثل فيلمه الأول (روكي) وحصل به على جائزة أحسن فيلم منذ ثلاث سنوات .. هاهو يعود مؤلفا وممثلا .. ومخرجا للجزء الثاني من (روكي) ويحقق نجاحا جماهيريا كبيرا .. ووصل الايراد إلى مليون دولار كل اسبوع في العشرين اسبوعا الأولى لبداية عرض فيلمه داخل الولايات المتحدة فقط !! .. ومغامرة هذا الممثل الفقير الذي ارتبطت شهرته بفيلم روكي .. هي في الواقع مغامرة الانسان البسيط الذي يواجه المجتمع المتشابك الخبيث ولا عليه من أسلحة غير النقاء والحب .. ويشعر الممثل في مغامرته .. وينجح الفيلم لأنه يخاطب العلم داخل كل

إنسان مقهور .. وما أكثر هذا الإنسان في عالمنا اليوم [illegible]

[illegible] السينما الأمريكية [illegible] موضوعا [illegible] السياسية [illegible]

[illegible] أن موجة الأنشطة المفرطة من [illegible] ولاية بمستقبلنا الأمريكية نتيجة ما حدث في المفاعل النووي والقنابل الهوائية التي عطلت العمل في المفاعل وأزعجت أمريكا كلها من احتمال الانفجار المرعب .



المخرج جون هيوستن الذي أخرج فيلم (دماء الحكيم)

يأتي فيلم (أعراض صينية) لمخرجه جيمس بريدجز .. ومنتجه الشاب العبقري مايكل دوجلاس الذي شارك في تمثيل الفيلم مع جاك ليمون وجين فوندا .. ويأتي هذا الفيلم ليحقق عودة إلى السينما لتكون وسيلة تسلية وترفيه .. بل وسيلة تحمي وايقاظ الغافلين عما يحدث حولهم .. أو ما قد يحدث ايضا

وهذا المنتج الشاب (مايكل دوجلاس) هو الابن الأكبر للممثل المعروف (كيرك دوجلاس) .. وهو نفس الشاب الذي انتج من قبل فيلم (أحدهم طار فوق عش المجانين) وحصل الفيلم على خمس جوائز اوسكار هامة .. وكان ذلك الفيلم هو أول انتاج له في السينما وهو يتجاوز الثلاثين من عمره !

● إكتساح جيل الشباب

والملاحظة الهامة التي يجب الا نتجاهلها .. أن غالبية الذين صنعوا أهم أفلام ٧٩ .. هم من جيل الشباب الذين يتراوح اعمارهم بين الثلاثين الى الاربعين وهذا دليل حيوية السينما الامريكية وانفتاحها بالدواخل الشابة . وان الشباب هم الذين يملكون مفاتيح التخاطب مع جيل الشباب أمثالهم الذين يسيطرون الآن على التردد على دور العرض السينمائي

ورصيد السينما الامريكية من المخرجين لا يتوقف .. فالاستديوهات تفتح أبوابها للجديد دائما .. سواء في الاخراج او التمثيل .. أو بقية فروع الصناعة السينمائية



لقطة من فيلم أيام السماء (المخرج تيرانس مالك)



لقطة من فيلم (نحن الاثنين) للمخرج كلود ليلوش

وتتكفل وسائل الدعاية الضخمة بتقديم هذا الجديد والترويج له .

يتطلع المثقف الامريكية الآن يتحدث عن مخرج جديد (روبرت بنتون) الذي اخرج فيلم (كرامر ضد كرامر) من بطولة (داستين هوفمان) يقدم من خلاله مشكلة الابناء عندما يحدث الانفصال بين الأب والام .

وليس معنى سيادة جيل الشباب في السينما واكتساح النجوم ليس معناه توقف جيل الكبار وعمالقة الفنانين عن العمل أو اثبات الوجود . فنحن نتوقف بالاعجاب أمام آخر أفلام المخرج الامريكي الكبير جون هيستون (٧٤ عاما) الذي يناقش قضية الدجل الديني ويعرض أحد الشبان لاعلان نفسه نبيا جديدا ولكن التورط الذي اندفع إليه حتى يرتكب جريمة قتل . وهذا الفيلم (دماء الحكيم) ينطلق من خلال رؤية دون مجاملة وكأنه يطلق نذير الخطر لما يحدث في المجتمع الغربي .

● **ملامح اخرى من الخريطة**

وإذا كانت السينما الامريكية تملك الامكانيات المادية الضخمة ، وقدرة خبرائها على تجاوز الازمات ، وابتكار الاساليب الفنية الجديدة للإبقاء على صناعة السينما كصناعة قومية يشبهونها احيانا بتجارة البترول التي لا تنضب ، فإن السينما الايطالية تقف في السلسلة كحلقة قوية ، تجدد نفسها دائما ، وتثير قضايا المسلسلة ساخنة من خلال رؤية مجموعة من مخرجيها الكبار بجيل الشباب الرافض لكل الزيف والقيم البالية .

[illegible]

الايطالية) المخرج (بيرناردو برتولوتشي) صاحب فيلم (التانجو الأخير في باريس) وفيلم (١٩٠٠) يعود الى دائرة الاهتمام والجدل الفني من خلال فيلمه الجديد (القمر) الذي يناقش قضية العلاقات الانسانية المعروفة .

ويتحرك سينما المانيا الغربية الناهضة موقعها على الخريطة العالمية من خلال أشهر افلامها لهذا العام (الطبلة) المخرج فولكر شولندورف .. وفيلم (نوسفيراتو) للمخرج فيرنر هيرتزوج .

وتحاول السينما الكندية أن تلحق بالتطور العالمي من خلال الاغراءات المتعددة التي تقدمها لنجوم هوليود ومخرجيها لكي يتعاونوا في تقديم الافلام الكندية .

أما السينما الفرنسية فهي تحاول جاهدة الا تفقد انفاسها الاخيرة وتتشبث ببعض الاسماء اللامعين من مخرجيها لعلها تلفت انظار العالم إليها من جديد .. فهي تقدم المخرج البولندي الاصل المهاجر إليها (رومان بولانسكي) وسط جو كثيف من الدعاية لآخر افلامه (تس) الذي صور في فرنسا بعد أن حصل على الجنسية الفرنسية وتحاول أن تروج لآخر أفلام (كلود ليلوش) الذي تجاهله النقد والجمهور بعد تكرار نفسه في الافلام السابقة .. إلا انهم في فرنسا يتحدثون به الى آخر رمق ويقدمون للعالم فيلمه الجديد (نحن الاثنين) من بطولة كاترين دينيف .. والذي لم يلق أيضا النجاح المتوقع .

● **هل يستسلم التليفزيون**

إن السينما الغربية تموج الآن بالنشاط والصراع .. وإذا كان عام ٧٩ قد بشر بميلاد عصر جديد للسينما .. فإن عواصم العالم الغربي التي تهتم بصناعة السينما تحاول جاهدة أن تثبت وجودها ، وأنها قادرة على التطور واللحاق بالعصر .

ومن هنا يتأكد لنا أن الثمانينات ستشهد عودة الحياة للسينما .. وعودة الجمهور لها بعد أن أصابه الملل من التليفزيون .

وهذا لا يعني نهاية الحرب بين السينما والتليفزيون .. فلكل له اسلحته .. ولن يستسلم التليفزيون لهجوم السينما والمعركة ستشهد فصولا ساخنة .. ولكنها في النهاية في صالح المتفرج .

رءوف توفيق

من تجارب الشخصية

عودة طائر الكناريا

داخل كل انسان طائر يهرب معيدا بجناحيه ، لانه لا يجد وسط الآخرين لرغبته . ويستمر رحلته أعواما بين الأمل المجنون ، والحزن المعلن حتى تحدث الصدمة فيتوقف عن الهرب . ويطل من جديد داخل نفسه ويكتشف أن وطنه الثالث ليس جناحيه .. وإنما قلبه .. ففي يوم من أيام يونيه في منتصف السبعينات .. وفي لحظة من لحظات الخلود التي انفتحت اجنحتها على أسرة ثرية تقطن في القاهرة وتحضر كل صيف لقضائه في مدينتنا عند أقاربهم . كان لهذه الأسرة حسناء صغيرة تعرفت عليها ورحبت بي الأسرة ترحيبا مطلقا .. وبعد أيام تسعدنا أن علاقتنا توطدت .. بل زعمت الأم أنها تريد أن يقترن بابنتها .. انه نوع من فلسفة الحياة .. وتعبئة تحدي الزمن .. حدث هذا دون علم أحد منا .. بل انه احس بشعور غريب يدفعه نحو الثالثة . أن ذهنه الذي اعتاد أن يفكر في أسس من المنطق لم يقو على مقاومة فتنتها .. ترى لحبها .. أم لثرائها ..؟ مضت أيام وشهور وهو لا يحضر إلى البيت قط .. بل انه ذهب ليقطن معهم في القاهرة .. كان علي أن أعرف أشياء كثيرة ، وكثيرة فلقد أولى معركة [illegible] مقتبس .. [illegible] زمنية .. وبعد ثلاثة أشهر حضر إلى البيت .. على الليل بقلب [illegible] وجهه .. حبات الدمع اغرقت وجهي ..

الحسنت أن العالم يتضاءل .. انكشفت مشاعري في تلك اللحظة .. وفي نفسي بحث عن الآمال موقنا انه ترك قلبه .. ولكن بعد جدال عنيف ومحاورات كثيرة .. أخيرا بانه لو تركها .. وليس في مقدوره تركها .. بعدها أيقنا انه ينضج عن معمعة المشاكل .. لقد حار قلبي بين الدروب الأمل وهجر الحبيبة حتى أصبح مزيجا منهما ، ولكنه يعمه ولا أعرف لذا الخلاف .. والشعر شمعة جديدة مثل الشمعة التي [illegible] مع الأماني .. وبينما كانت الشمعة الأخيرة تلفظ نورها الأخير .. انتظرنا أن يقوى بشيء لكنه أمر بحظة على الصمت .. كان الصمت يوضح أعصابه .. وجهه يطفح بالغضب والتعب القاتلة .. الآن فلا جدال في أن خلفوا ملاحقه .. ولم تمض سوى دقائق حتى جاء شقيقه عصام لحضرته بعد الفتح شديد لقد كانت عليه شبك ندون ويسد .. حتى لا يفلت من زواج ابنتها

بعدها جلسنا لتشاور الوضع .. [illegible]

[illegible] بيننا .. [illegible] تسحوري كان [illegible] مع [illegible] السيارة .. لقد سكنت الدنيا يومها لتقتصت إلى [illegible] .. وبدا الليل الصغير بتبسم [illegible] الحياة من قبل .. الحياة ..

تجاوز التفاوة .. ومات الكلام على فمي .. ونعلم صديقه عصام مسترسلا .. بعد أيام قليلة سيلتقون شقيقها في مدينتنا .

وجاءت تلك الليلة الموعودة .. فاختيرها بأنه سيستقبلهم إلى القاهرة لراحة حتى صباح اليوم التالي ليرجع قلبا إلى بلدها حدث عنه عندئذ .. فذهب إلى القاهرة ويطل الشقة مدعية الاصابة أن السعادة بدواخله .. وأنني يقينه أن ابنها الأخير عند ذلك قال له الأمر : ما الذي حدث لك فقال : لقد صدمت بعراقة تحركات ذراعي فارجوك بأن تحضر إلى زوجها صباحا من الخارج .. فذهب الآن في محاولة لشراء الزيارة .. وفقد رائع الشر يبحث عن الشقة في عدد من الأدراج دون جدوى .. بعدها شعور أنها نهاية البداية أو بداية النهاية وأنه بعد عنه سوى حرج واحد في الغرفة المقفلة .. فلم يتردد في اقتحامها والبحث عنه ووسط سيل من الأوراق المتراكمة .. وفجأة وقع بصره عليه وسط عشرات المغلفات بل الثالث .. خفق قلبه خفقات تكاد أن توقف القلب .. وعلى وجه السرعة غادر البيت لسيطر سيارة حتى مدينتنا ، جاء فرحا .. وحين لقيتني في انتظاره ارتسمت على شفتيه ابتسامة مشوبة بالفرح والحزن ، الفرح لانه تخلص من المأزق .. والحزن : لأن ما حدث معه في وضح النهار .. لم يكن متاحا له أن يسترده بغير المرقة في غفلة من الآخرين !

رضا عبد الفتاح الكاشف
٣-٣-٣ – مير سنقيد

الوفاء

قادتني ظروف الحرب الثانية لاختيار قرية في جبال الألب قريبة من البلدة الفرنسية ، قرة نوبل ، لتمضية الشهر الصيف فيها أتناول طعاما مغذيا افتقر إليه في باريس لافتقاد المواد الغذائية آنذاك ، والحياة في القرية تسمح لي بادخار بعض المواد الغذائية انقلها معي عند عودتي .

وهناك وفي وسط القرية فوجئت بنصب تذكاري لكلب ! فتساءلت : ما شأن هذا الكلب ؟ هل أقام السكان متحرجا في حوة وسط النزوح الكثيفة التالية قبلية برياحه التراع ؟ أم انه قصة أخرى استحق عليها الخلد هذا التمثال ؟ وأدني فضولي حيث عرفت القصة .

عاش الكلب صاحب هذا النصب مع صاحبه فترة طويلة ، وكان هذا الرجل قد فقد البصر يذهب صباح كل يوم من قريته الى محطة القطار التي تبعد عن القرية أربعة كيلو مترات ليستقل القطار الى ، قرة نوبل ، ليعمل في وظيفة ليعود منه شيئ الحاجة ، يعود الكلب بعد سفر القطار يبقى في المنزل ، ويعود الرجل مساء فيلتقيه حيث يجد الكلب الذي ينتظره في موعد عودة القطار فوق أي الخطر وتحفظ به تركيبه فيقضي على عودته ليذهب به الى منزله في القرية .

بقي الامر كذلك يتكرر كل يوم مدة طويلة الى ان توفي الرجل . فبقي الكلب ، على عادته ، يذهب صباحا الى محطة القطار يرافقه ويعود منه ينتظر صاحبه ثم يرجع الى المنزل بعد أن يقطع الأمل من عودته . وبعد شهور وجدوا الكلب ميتا على محطة القطار بعد أن تعب ويئس من انتظار صاحبه .

دكتور جميل محفوظ
سوريا

مبتسما وعابسا

شعر: كمال عقاد



حين يهل الليل كل ليلة ، انتهز انشغال
حارسي الموانيء •
في نوبة التغيير ، انثني من بينهم اطير
وجهي اليك ، يعرف الطريق جيدا ، حتى اذا
دخلت افقك السحري •
اشد في يديك ، في عينيك •• اتحد
في قسمات وجهك النبيل الدافيء

••

اركض في شوارع المدينة التي
صاغت طفولتي
من الزجاج والحديد والامواج والزبد •
اركض في شوارع المدينة التي ••
انجبت ابتسامتي •
وشيب لمتي •
اركض في شوارع المدينة المزينة المبتسمة
اوقظ كل النائمين الاشقياء الناعمين
يشربون نخب عودتي •
في الليلة الطيفية المللمة •

اسابق الجناح لا ازال والطريق معشب
ومجدب وصاخب وهاديء

••

حين يهل الليل كل ليلة انتهز انشغال
حارسي الموانيء ••
في نوبة التغيير انثني من بينهم •• أطير
لكنني حاولت ما فعلت الف مرة ومرة ، لم
استطع !
في هذ الليلة كنت بين قبضة الحرس
مبتسما وعابسا مقسم البدن
بين الحدود والجنود والحدود والجنود

وعدت مثلما اتيت اسحب ابتسامتي
وحزن خطوتي
مغتربا بلا ثمن
متهما بانني اهرب الاشواق للوطن
وانقض العهود والسدود •• والمباديء !

عبد الوهاب الأسواني

العلماء العرب في الخارج

- هم يقولون : لا أحد يوفر لهم الجو العلمي الذي يبتكرون فيه !!
- بعض هؤلاء العلماء يرون بشدة أن الملفات سخيفة !!
- ليس المطلوب منهم سوى عبارة «مرفوضة لأنها ليست من اختصاصنا»!!
- التقرب من رئيس المصلحة يعطي الموظف مزايا لم يكن يحلم بها

كثر الكلام في الآونة الأخيرة عن هجرة العلماء العرب إلى أوربا وأمريكا ، سيما وأن أكثر هؤلاء العلماء قد نجح هناك وأصبح من المشهورين ..

هم يقولون إنهم اضطروا للهجرة لأننا لم نوفر لهم الجو العلمي الذي يمكن أن يبتكروا فيه .. وهذا كذب وافتراء ، لأننا لم نقصر في هذه الناحية .. بدليل أننا وفرنا لكل منهم وظيفة محترمة بمجرد تخرجه من الجامعة ، وجعلنا له راتبا شهريا يتقاضاه قبل نهاية الشهر بأربعة أيام ، وأعددنا لكل منهم مكتبا ـ له خمسة أدراج وأربع أرجل ! ـ يجلس أمامه طول النهار .. بل وزودنا هذا المكتب بما لا يقل عن سبعين ملفا لكي تحفظ فيها الأوراق العلمية بكفاءة : .. ولا تخفى عليكم المكانة الاجتماعية التي يرتفع إليها الشخص الذي يجلس أمام مكتب فوقه كومة ملفات عليها ختم الحكومة ذاتها !.

بعض هؤلاء العلماء وصل بهم نكران الجميل إلى الحد الذي وصفوا فيه هذه المكاتب بأنها تافهة ، ونعتوا الملفات بأنها سخيفة ولا تضم بين دفتيها إلا كل ما يعطل مصالح الناس ، أما عن المرتبات التي يتقاضونها ، فإنها ـ كما يقولون ـ لا تفي بحاجاتهم الضرورية ، بينما هم مطالبون بشراء الكتب العلمية والمراجع الهامة واقتناء المعامل ، وكلها أشياء مرتفعة الثمن .. فضلا عن إنهم ـ كما يزعمون ـ في حاجة أساسا إلى البعد عن الإرهاق النفسي الذي تسببه لهم الوظائف الحكومية بمشاكلها الصغيرة التي تستنفد طاقاتهم بلا جدوى...

نقول لهؤلاء العلماء ، إن هذا الكلام افتراء على نعمة الله .. فنحن لم نرهقهم اطلاقا ، وكل ما كنا نطلبه من الواحد منهم ـ في الفترة التي يقضيها في مكتبه ـ أن يفحص خوالي الثلاثة شكوى من شكاوى المواطنين ، ولا نفعل شيئا بعد هذا الفحص غير أن يكتب مذكرة مطولة عن كل شكوى ، ثم تحول الشكوى والمذكرة إلى زميله المختص الذي يجلس في المكتب الملاصق لمكتبه ، وهذا بدوره يكتب مذكرة أخرى ويحولها [illegible] .. وهكذا حتى تأخذ الشكوى دورتها كاملة .. كما تقضي بذلك قوانين العمل .. ووصلت [illegible] أصحاب المستويات العليا .. كتبنا أسفلها بالقلم الأحمر عبارة « مرفوضة لأنها ليست من اختصاصنا » ..

ويعلم الله أن كل هدفنا من كتابة هذه الجملة لم يكن إلا لتخفيف العبء عن كاهل هؤلاء العلماء لكيلا تعود إليهم الشكاوى من جديد فيضطروا إلى كتابة مذكرات أخرى ..

وعلى الرغم من كل هذه التسهيلات التي قدمناها لهؤلاء العلماء ، فإنهم يفضحوننا الآن في الصحف الأجنبية ، مما يدل على أنهم مثل القطط التي تأكل وتنكر .. فقد صرح أحدهم بأن عملية الابتكار العلمي تشبه عملية الإبداع الفني .. في حاجة إلى شيء من المرونة من جانب الأجهزة الوظيفية في العالم العربي .. بمعنى أنه كان من الواجب أن يعفى العالم المبتكر من مسألة التوقيع في دفاتر الحضور والانصراف ، لكي يستطيع أن يتفرغ للبحث والابتكار ..

وردنا على هذا الكلام بسيط للغاية .. هو أننا كنا فعلا نعفي بعضهم من التوقيع في دفاتر الحضور والانصراف .. فما إن نتوسم في أحدهم خفة الظل بحيث يستطيع إضحاك رئيسه في المصلحة التي يعمل فيها ، ويملك المقدرة على إزالة الهم من فوق قلب سعادته ، حتى نطلب منه أن يتأخر عن موعده الرسمي بالساعتين والثلاث ساعات ..

حقا إن من نكتشف فيهم ثقل الظل أو تجهم الوجه قد نعامله بطريقة تدفعه إلى التفكير في الانتحار ولكن هذه النقطة بالذات تحسب لنا وليست علينا .. فهي تدل على أننا نحاول تطوير سلوكيات المواطنين إلى الأفضل ..

وحتى ثقيل الدم هذا ، كنا نتساهل معه ، وقد نعفيه من الحضور إلى العمل نهائيا .. في حالة ما إذا كان يؤدي خدمات خاصة لرئيسه .. مثل شراء ما يحتاج إليه البيت من لحوم وخضروات ، فضلا عن تنظيم المائدة في حالة وجود ضيوف ، ثم رفع الأطباق وغسلها ، إلى آخر هذه الأشياء التي يوجبها الاحترام ..

بل يمكن القول أن الذي نكتشف فيه أنه موهوب في هذا المجال ، كنا نجعل له أجرا إضافيا قد يصل إلى أربعة أضعاف مرتبه .. وهذه المسألة الأخيرة بالذات ، تدحض الحجة التي تقول إن المرتبات لم تكن تكفي الحاجيات الضرورية لهؤلاء العلماء .. فالعيب ـ كما نرى ـ ليس منا بقدر ما هو راجع إلى المحرومين من المواهب التي ذكرناها ..

أغرب ما في الأمر أن أحد هؤلاء العلماء قال مرة أثناء ظهوره في أحد البرامج التليفزيونية بباريس ، إنه لا



يهمه أن يتقرب من رئيسه في العمل ، مالم تكن هناك علاقة علمية أو فكرية تربطه به ..

وبصراحة نحن لم نفهم ماذا يقصد صاحبنا بهذا القول .. فهذه أول مرة في حياتنا نسمع فيها عن حكاية العلاقة العلمية أو الفكرية هذه .. فقد درجنا على أن العلاقة بين الموظف ورئيسه ، هي علاقة التابع والمتبوع .. وهي علاقة نؤيدها ونشجعها حيث أنها نابعة من صميم مجتمعاتنا الشرقية ذات العلاقات الفوقانية !

ثم أن التقرب من رئيس المصلحة ، يعطي الموظف ميزات لم يكن يحلم بها .. بحيث يصبح مرهوب الجانب من زملائه الى الدرجة التي يتولاهم فيها الفزع بمجرد أن يظهر بينهم فجأة ، ومن ثم يضطرون الى قطع أحاديثهم والتودد إليه .. بل يمكن أن يكون له من النفوذ الواسع ما يتيح له فصل أي زميل يتجرأ على تعكير مزاجه ..

ولا نعتقد أن أحد هؤلاء العلماء يمكن أن يصل إلى هذه المرتبة في أوربا حتى لو اخترع قنبلة تمثل مفعول القنبلة الذرية ..

أما حكاية العلاقة العلمية أو الفكرية التي يتغنون بها ، فواضح أنها من الفكر المستورد الذي يهدف الى تدمير تقاليدنا العريقة ، وتحطيم مقوماتنا القومية ذات المليون سنة من الحضارة .. ومن هنا يتضح أن هؤلاء العلماء لو أقاموا بيننا ، لأفسدوا عقول بقية موظفينا الطيبين الطيعين ، فالحمد لله الذي أراحنا منهم بأن (غاروا) الى حيث ألقت !..

مونولوج جماعي

إسماعيل مصطفى تامر



حدث مرة أن وقف عصفور يغرد على غصن شجرة بجانب النهر العظيم فكان أن سألته نقطة ماء حائرة ؟!

ـ كيف تغرد ولماذا ؟ ألست خائفا ؟!

ـ (بسذاجة) ولماذا أخاف .

ـ لأن الخوف يرتبط بنا من لحظة شعورنا بالحياة .. [illegible] الذي هو غير أنت .. تخوف .. الخوف !!

ـ (متضاحكا) ولماذا تفرض علي هذا الموقف ؟

ـ إنه الحقيقة .

ـ فما هي ؟

ـ بمقتضى التي عشتها حتى الآن .. [illegible] هذا هو حقك الذي يجب أن تعيش !

ـ افرض أنني بعث حسما لكثرة الكلام .. ولكن كيف أعرف وأحس وجودي ؟!

ـ بإحساسك الأول :

ـ الفرض أنني لم أصل إليه .

ـ فبإحساسك الثاني .

ـ والفرض كذلك أنني لم أصل إليه ؟

ـ فبإحساسك الثالث .

ـ (بمرفزة) ألا تنتهي لديك الأرقام .. فلماذا لا تقول « أي » رقم وتتخلص ..

ـ يمكن ذلك .. ولكن على شرط !

ـ (بلهفة) ما هو ؟

ـ (بهدوء) أن تصل إليه بتأن وتعمق .. ولكن عليك أن تصبر لتعب الطريق .. لقد اخترت طريقا شاقا مرهقا لم يكلفك أحد به !

ـ (مقاطعا فلا كمن لا يريد التركيز على الأمر ثم متذكرا) ولكن قل لي .. خلال حواري معك لم تقطع تغريدك لحظة واحدة .. ألم تمل بعد من هذا الترداد المحدود للأصوات .. أقصد ألا تشعر بالرتابة على نحو ما ؟!

ـ بالنسبة إليك ، قد ترى في الأمر رتابة .. أما بالنسبة لي .. فهي إيقاع انسجامي وغيابي عن نفسي .. تصور لقد خرجت عن نفسي خلال حواري معك وحضرت إليها من غيابي .. من أجلك .. من أجل خوفك هذا !

ـ (بانفعال واستعلاء) ألا تقل لي ما معنى هذا التعالي السخيف وأنت عصفور لا تعدو لقمة في فم .. ما شأني بغيابك وحضورك ؟!

ـ إذا وصلت في غضبك هذا إلى حدود المفاضلة .. فأنا الآن أفضل منك !

ـ (باستغراب) أفضل مني .. كيف .. هل جئت تبدل القوانين ؟!

ـ لم أتم كلامي بعد .. قلت لك أنا الآن .. أما أنت (متوقفا) .

ـ ما هذه « أما أنت » ؟!

ـ عنيت بها .. أنك في لحظة وجودك أفضل منا جميعا .. بل نحن ذرة تافهة أمام وجودك .

ـ ما هذا التناقض ؟!

ـ ذلك ما يجب أن تدركه وإلى ذلك الوقت فأنا أغرد في غير عالمك !

وانطلق العصفور يغرد ، بينما نقطة الماء الحائرة في ذلك النهر العظيم تمضي دون أن تدرك أنها قطعت مسافات خلال حوارها مع ذلك العصفور وعندما أخذت بالتساؤل وبدأ الحوار يكبر .. وجدت نفسها تنزلق في مسقط النهر إلى البحر الهائل الكبير ، وهناك حيث لا رجعة للضفاف القريبة كان عليها أن تبحث عن السؤال الأكبر في عالم لا تصل شاطئه مرئيين !!

إسماعيل مصطفى تامر





تونس على صهوة حصان الزمن

تحقيق يكتبه: كمال سعد • عدسة: محمد أسيوطاليا

غرقت في مدن تونس حتى النخاع مع حكايات المجد الغابر .. وذكرتني أمجاد أسنة سيوف الحق بهمومي الشخصية التي اكتسبتها من واقعنا العصري الذي غرقنا في طوفانه ونحن لا ندري ماهي جذوره ولا أين الإبعاد .. وتمنيت لو عدت الى الوراء لأولد في عصر فارس عظيم هو عقبة بن نافع الذي صاح في اباء وشمم وهو يدخل بفرسه في مياه المحيط الأطلسي : « اللهم اشهد إني قد بلغت المجهود ، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد من دونك » ..

لكم هزني هذا المشهد رغم مضي اكثر من ١٤ قرنا على حدوثه .. ولكم توقفت قليلا عند تفاصيله الشيقة ومعانيه التي لا تنضب .. ولكم انبهرت بتلك الروح العظيمة التي أعطت الجيوش الاسلامية قوة خارقة جعلتها لا تستسلم لعدو ولا تلين أمام من يجتمعون في كل شبر من الأرض ..

نهاية قرطاجنة

كنت قد قررت أن أدخل تونس هذه المرة فوق حصان الزمن .. أن أبدأ رحلتي إليها بتلك الأيام التي حفرت في أذهاننا أسئلة عديدة لم نحن أثناء البحث عن أجوبتها ، سوى الأسى والترحم على المجد الزائل .

وقطع بي حصان الزمن مئات السنين .. ولم يأخذني إلى لحظة وصول الجيوش الإسلامية إلى تونس ، قبل أن يقطع بي مشوارا يمهد به لهذا الحدث الهام ..

قبل الميلاد بثمانمائة وثمانون عاما كانت هناك أميرة فينيقية تسمى « عليسة » تحركت بأسطول ضخم من مدينة صور في لبنان الى شمال افريقيا ونزلت على شاطيء قريب من مدينة تونس الحالية ، واشترت قطعة كبيرة من الأرض أسمتها قرطاجنة أو الأرض الحديثة ، وكونت القرية مجتمعا من التجار والأعيان ، سرعان ما سيطر على تجارة البحر المتوسط !

تونس

● بنات "يوغرطة" البربري في السجن عندما أراد منازلة روما!!

منظر عام لتونس العاصمة يبدو فيه شارع بورقيبة

وفي وقتها بدأت روما تشعر بالخطر، فزحفت جيوشها من جنوب ايطاليا للانتصار على القرطاجنيين في صقلية، وشجعهم هذا النصر المحدود للزحف على قرطاجنة ذاتها بجيش كبير بقيادة «روغلوس» دفن بكامله تحت اقدام القرطاجنيين في عام ٢٥٥ قبل الميلاد!

نشوة الانتصارات

وكعادة الرومان في تنظيم المدن أصبحت قرطاجنة مقسمة الى ساحل يخضع لحكمهم المباشر أما بقية أرضها في الوسط والجنوب مع نوميديا فيتولى أمرها امراء البربر بتوجيه منهم!

ويبرز من بين هؤلاء الامراء «يوغرطه البربري» نتيجة لاهتمامه بالزراعة وسعيه الحثيث لتعمير البلاد وتقويتها، وتجعله تلك الشهرة يفكر في طرد الاجانب باعلان الحرب عليهم، الا انه لم



صبية من شمال تونس

يستطع بالطبع مناطحة جيش روما في أوج مجده، فأخذوه اسيرا ليبقى في السجن حتى الموت، وليضموا ـ عقب هذه التجربة ـ كل اراضي البلاد الى الحكم الروماني المباشر، مع الابقاء على مقاطعة نوميديا في ايدي امراء البربر، على ان يتم الاشراف عليها عن طريق مندوب من الحكومة الرومانية أو مقيم عام ثقافته رومانية!

وشجع الحكم الروماني اهالي روما على النزوح إلى المنطقة باعطائهم الارض الزراعية، التي استخدموا في اصلاحها وزراعتها اهالي البلاد الاصليين الذين كانوا يعاملون معاملة العبيد الارقاء!

وادت حركة انشاء المستعمرات الى الاعتناء بالآبار والصهاريج والقنوات، وظهور المدن الجديدة، وارتفاع تعداد

استنجد الملك المخلوع بأصدقائه فجاءوه بجيوش تملأ عيون الشمس!


الطريق إلى جامع الزيتونة


الساعات التقليدية بجوار جامع الزيتونة

السكان إلى ما يقرب النصف مليون نسمة!

وتحت وطأة ظلم السكان الأصليين للبلاد إزدهرت قرطاجنة تحت الحكم الروماني، ولم ينقذ الأهالي من هذا الظلم الفادح إلا استنجاد حاكم افريقيا الروماني «بونيفاس» بجنسريق ملك الوندال الذي كان يحكم اسبانيا، ووجدها فرصة ذهبية لتجهيز جيش يغزو به شمال افريقيا، فزحف الى المنطقة غير عابىء بمن استنجد به، وهاجم هذا الجيش بونيفاس ـ نفسه ـ الذي ولى هاربا!

وعقب سيطرة الوندال اتجهوا الى روما واستولوا عليها بسهولة، ولكن نشوة الانتصارات وكثرتها أصابتهم بالغرور وحب الترف وأبتلتهم بداء الصراع على السلطة!

وكان من الطبيعي أن يفرز هذا الوضع حاكما غاية في الضعف هو «هلدريق» لم يستطع جيش الوندال أن يتحمل ضعفه فانزله من الحكم ليضع مكانه «جليمر» الذي كان من نفس أفراد عائلته!

وتتكرر قصة أول سقوطللحكم الروماني في قرطاجنة عندما يستنجد ملك الوندال المخلوع بأصدقائه البيزنطيين ليساعدوه في العودة الى العرش، فيأتونه في صورة جيوش تملأ عيون الشمس، ويستولوا على تونس لتظل تحت حكمهم ١٠٨ عاما، (أي من عام ٥٣٤ ميلادية حتى عام ٦٤٢ ميلادية وطوال تلك الفترة كان أهالي البلاد في ثورات مستمرة على حكم الروم البيزنطيين الذي فرض الضرائب الفادحة وعمم الظلم والرشوة، وجعل الإنغماس في الملذات من ضروريات الحياة، كالماء والهواء!

ويبدو أن تلك الأحداث، كانت تمهد لدخول حصان الزمن الى أزهى فترات نضال الأمة العربية.

فارس كالحلم

المشهد بالغ الروعة..

شمس الإسلام تزحف على شمال افريقيا فتبدد الظلام وتغمره بنور الحق والشمس الزاحفة ممثلة في ٢١ الف مقاتل مسلم يقودهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح والي مصر في عهد الخليفة عثمان بن عفان، وهم يستعدون لمواجهة مائة الف مقاتل يقودهم القائد البيزنطي جرجير!

ويتقدم صفوف المسلمين سبعة فرسان كلهم يحملون نفس الإسم: عبد الله!

إنهم عبد الله بن سعد، وعبد الله بن الزبير بن العوام، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عباس بن عبد المطلب ..

ويلتحم الجيشان على أرض سبيطلة بالقرب من القيروان في معركة اسميناها معركة العبادلة السبعة!

ويبرز من بين صفوف المسلمين فارس كالحلم يمتطي حصاناً بالغ الرشاقة ويلف رأسه حتى الجبين بعمامة كبيرة بيضاء، ويقبض على سيف بتار في يده، يشق به صفوف الأعداء باحثاً عن قائدهم جرجير - الذي ما إن وصل إليه حتى ضربه بسيفه ضربة قوية شقت رأسه، وجعلت المسلمين يكبرون، واندفع عبد الله بن سعد ليقبل جبين المقاتل الفدائي - الذي أحدث دوياً هائلاً بين صفوف العدو بعد مقتل قائدهم فكان الاختيار الوحيد أمامهم هو ولية الأدبار تاركين خلفهم سبيطلة في أيدي المسلمين!

وعاد جيش المسلمين إلى مصر بعد هذا الانتصار مكتفيا بقبول دفع الجزية التي كانت عبارة عن ٣٠٠ قنطار من الذهب.

غير أن جيوش المسلمين عادت مرة أخرى في عام ٤٤ هجرية لمحاربة الروم في عهد معاوية بن أبي سفيان، وكانت بقيادة ثلاثة قواد:

- معاوية الكندي الذي هزمهم في موقعة الجم
- عبد الملك بن الزبير الذي فتح مدينة سوسة
- عبد الملك بن مروان الذي فتح جلولا قرب القيروان وهي الواقعة التي استشهد فيها الصحابي أبو زمعة عبد الله البلوي الذي مازال قبره في مدينة القيروان .. وقد اتجه عبد الملك بن مروان أيضا إلى بنزرت فدخلها بجيوشه

معارك عقبة

وتتوالى الأحداث أو المشاهد عقب ذلك



الدكاكين التقليدية في المدينة

● تفض عقبة بن نافع تراب المعارك العديدة ليجد في انتظاره مؤامرة!

● قصة القائد الذي استرجع مدينة القيروان واستشهد على مشارف برقة!



الأيدي مخضبة بالحناء

الأبناء يرثون المهنة

لوازم العرس التقليدية

معاوية الكندي يعود الى مصر ليحل محله عقبة بن نافع الفهري، فيخطط بمجرد وصوله لمدينة القيروان ويشيد بها مسجدا

وبعد خمس سنوات من وصوله للمدينة يتركها هو الآخر ليحل محله دينار ابو المهاجر .. ثم يعود في عهد يزيد بن معاوية في مهمة أكبر هي فتح شمال افريقيا، ويصر على الاستمرار في مهمته إلى أن يصل إلى المحيط الاطلسي، وينفض تراب المعارك العديدة عن على كاهله بعد ان حقق كل ما أراد، وينظر حوله ليحصى عدد الجنود الذين تبقوا له بعد تلك المعارك فيجد انهم لا يتجاوزون الثلاثمائة مقاتل، فيعود مع جيشه الصغير وافكاره بعيدة كل البعد عن الدسيسة التي دبرها ضده زعيم البربر، كسيلة، وصدقها الذين التفوا حوله، ليقاتل هو وجنوده حتى آخر رمق من حياتهم وليدفنوا جميعا في منطقة الزاب بالقرب من قسطنطينة!

ولكن هل يضيع دم عقبة بن نافع هكذا وببساطة؟!

بالطبع لا .. فهاهو عبد الملك بن مروان يستقبل الخبر في غضب شديد، ويدعو عامله على طرابلس، زهير بن قيس البلوي، مطالبا إياه بضرورة استرجاع المدينة، ويسترجع فعلا مدينة القيروان، ويقتل، كسيلة، الذي خان الأمانة، ويعود بعد الثأر لتهاجمه

تونس

كيف انتشرت الثقافة الإسلامية بين جميع أبناء قبائل البربر ؟

جيوش الروم ويقاتلها حتى الاستشهاد على سواحل برقة !

ويعود عبد الملك بن مروان إلى غضبه من جديد .. ووقتها كانت ثورته اشد .. فجهز جيشا كبيرا ، وضع على رأسه حسان بن النعمان الغساني في عام ٧٧ هجرية ، وطالبه بأن يضع نهاية لكل تلك الحروب بتحقيق نصر شامل ، وتحرك الجيش ليدك قرطاجنة تماما كقاعدة أساسية للروم وليواجه البربر في جبال الاوراس ، فتهزمه في البداية أميرتهم ، دهيا تابتت ، فيعود إليها باستعداد اكبر ليهزم قواتها تماما ، وترفرف راية الاسلام في افريقيا ، وتستمر بعد ذلك جيوش المسلمين في توطيد هذه الراية ، فنرى موسى بن نصير بعد أن ترك مكانه في افريقيا إبنه عبد الله ؟

وأدت هذه الفتوحات إلى تثبيت فتوحات الإسلام في تونس والاراضي الافريقية ، وانتشرت الثقافة الاسلامية بين جميع ابناء قبائل البربر الذين اصبحوا من اكثر المدافعين عن العروبة والاسلام .. وحتى ابناء اميرة البربر ، داهيا تابتت ، اصبحوا من ضمن قواد الجيوش الاسلامية المكبرين باسم الله في كل معركة يخوضونها !



شاهد كالعاصفة

ويعبر بي حصان الزمن السنين والاحداث ، مرورا بوالي افريقيا عبد الله بن الحبحاب الذي بني جامع الزيتونة في عام ١١٦ هجرية الى دولة الاغالبة التي استقلت في عهدها افريقيا واصبحت مرتبطة بالخلافة العباسية ، إلى الدولة العبيدية الفاطمية التي انسها عبيد الله المهدي بعد ان انقذ من سجنه في المغرب ، الى الدولة الموحدية التي استطاع مؤسسها عبد المؤمن بن علي الكومي ان يوحد المغرب الاقصى والاوسط قبل وفاته في عام ٥٥٨ هجرية ، الى الدولة الحفصية التي شقت جهود توحيد البلاد في عهد الدولة الموحدية والتي ظل حكامها في صراعات أدت الى تعاون احدهم وهو الحسن بن ابي عبد الله

الأسواق في مدينة تونس

ارتفع صوت شاعرهم العظيم أبو القاسم الشابي ليوقظ يأس الراقدين !

مع الأسبان فحكموا تونس ونهبوها واستباحوا كل شيء فيها ، ولم ينته دور هذه الدولة إلا بدخول تونس تحت حكم الدولة العثمانية !

وتأتى حرب عام ١٨٧٠ وتخرج منها فرنسا مهزومة أمام ألمانيا ، إلا أنها ترغم الباي صادق على توقيع معاهدة باردو في ١٢ مارس عام ١٨٨١ التي احتلت على أثرها البلاد التونسية ، وبدأ مقاومة الاستعمار في صور عديدة من بينها الإصرار على إنشاء المدارس العربية والمقاومة الوطنية بما فيها الكفاح السياسي الذي أدى إلى الاستقلال في عام ١٩٥٦ ، وإلى خروج آخر جندي فرنسي من قلعة بنزرت في ١٥ أكتوبر عام ١٩٦١ ، وبداية مرحلة من الإصلاح الداخلي ..

وخلال معركة الاستقلال يعود بي حصان الزمن مرة أخرى إلى اللحظة التي واجه فيها أبناء تونس روح التحدي في سبيل استعادة الكرامة وتمسكوا بالحياة العربية والشخصية العربية معتمدين على التراث القديم .. ووقف بي أمام شخصيتين : البشير صفر الذي كان من بين الذين أيقظوا القومية العربية في نفوس أبناء تونس وعملوا على إحياء نهضة فكرية متحررة .. والشاعر العظيم أبو القاسم الشابي الذي رأى بلاده وكأنها مزرعة زيتون وفواكه ورأى المستعمر وهو يعتبر تونس وطناً له ويسهل خروج أبنائها من الجنسية التونسية . فارتفع صوته في قوة ليوقظ يأس الراقدين :

ليت لي قوة العواصف يا
شعبي فألقي إليك ثورة نفسي
إنني ذاهب إلى الغاب علي
في صميم الغابات أدفن بؤسي
ثم أنساك ما استطعت فما
أنت بأهل لخمرتي ولكأسي
سوف أتلو على الطيور أناشيدي
وأفضي لها بأشواق نفسي
فهي تدري معنى الحياة وتدري
أن مجد النفوس يقظة حس

وتبلغ ثورة شاعرنا في وجه المستعمر عندما يخاطبه بأقوى الكلمات :

رويدك لا يخدعنك الربيع



منظر خلاب بالقرب من تونس العاصمة

الشاطئ الذهبي من أجمل شواطىء تونس



مقاهي لها طابع خاص

تونس

● ماذا عن فن المسرح والانتاج السينمائي والفنون الشعبية في تونس؟

وصحو الفضاء وضوء الصباح
في الافق الرحب فوق الظلام
واصف الرعود وعصف الرياح
ولا تهزان جنوح الضعيف

فمن يبذر الشوك يجن الجراح
تأمل هنالك .. إلى ما حصدت
رؤوس الورى وزهور الامل
ورويت بالدم قلب التراب
واشربته الدمع حتى ثمل
سيجرفك السيل سيل دماء
ويأكلك العاصف المشتعل

ويظل شاعرنا الشابي في الانشيد ، مرة يحاول تحريك السكون ، ومرة اخرى يداعب الامل ، واحيانا نرى في كلماته الحب والثورة ، وايضا مناجاة الوطن بقلب مشتاق لم يحتمل النبض سوى ٢٥ عاما ، فودع الحياة تاركا خلفه زوجة عاصرت سنوات الاستقلال والاصلاح بما زالت تعيش في مدينة بنزرت ، وولدين اكبرهما محمد صادق الشابط في سلاح المشاة وجلال المهندس .

احياء التراث

ويطوف بي حصان الزمن في تونس أو البلد التي اصبحت تنتمي إلى حوض الحضارات وإلى الخصب المتدفق فنا وتقاليد .. وارى كيف انطلقوا لانقاذ الشخصية القومية التي حاول الاستعمار طمسها ، وكيف جمعوا كل مظاهر الثقافة


البيت العربي من الداخل

الشعبية بما فيها من فنون واساطير واشعار وازجال وعادات . فالشعب التونسي لديه نزعة قوية لاحياء التراث العربي ممثلة في الاعمال التشكيلية وفي النصوص المسرحية وحتى في الاشكال من الفن العربي الاسلامي في المباني الحديثة .

ويطير بي ... الفرقة القومية بما تقدمه من ... الكوميديا الاعلى ... الامل ... والرقص الجماعي وتعبيرات المرح البسيطة بالقوة والسعادة وحياة الصحراء وتقلباتها وفرحة الحياة !

ويبادرني انسان بسيط بقوله .. هل تعرف ان ابن خلدون صاحب المقدمة الفلسفية الشهيرة تونسي المولد ؟ .. واقول له اعرف ذلك ، واعرف ايضا ان بشير صفر اسس مدرسة الخلدونية عام ١٨٩٦ لاحياء ذكرى المؤرخ العربي الكبير ..

واسأل عن شاعرات تونس فلا اجد من بينهن غير فاطمة الدريدي ، فرصيد الشاعرات قليل ، واسمع بعض ابياتها التي تقول « لأن » الكتابة بالنور لنغمة .. وحرفي عند بسابق نجمه .. وقلبي حكايات يحن حزين .. يعن اشتاقا لاصداء نغمة ؟ وهذه الابيات بالطبع لا تعطي عنها فكرة كاملة !

وما ينطبق على شاعرات تونس ينطبق ايضا على الشعراء ، فلم نعد نسمع عن شعراء موهوبين في نفس مستوى ابو القاسم الشابي وعبد الرزاق كرباكة وسعيد ابو بكر والطاهر الحداد ، فقد كان هؤلاء الشعراء ثورة على الظلم وتعفن الاوضاع الموروثة والتواكل والتخلف والجبر ، وكانوا دائما يدعون الى التحرر من الاستعمار والى حرية التعبير !

والادهى من هذا إنني صادفت كتابا في تونس مازالوا يلجأون الى التعبير باللغة الفرنسية لاعتقادهم بان من يكتب باللغة العربية لاتنظر اراؤه بالرواج المنتظر لها في العالم !

مهرجان قرطاج

ولقد رأيت في تونس مكتبات قديمة تضم


معبد روماني قديم


الرقص الشعبي


التصوير الشعبي للبطولات الاسلامية

● أين فنانات تونس .. ولماذا يصر بعض الكتاب على التعبير باللغة الفرنسية ؟

● هل ما حدث كان مواكبا لأحلام المجتمع التونسي في الحياة ؟

كتب نادرة في التراث ومخطوطات هامة تحتاج الى تحقيق واعادة نشر ..

وجذبتني الصناعات اليدوية التقليدية بما تستخدمه من خامات محلية وبما تتميز به من زخارف اسلامية والوان براقة ..

ووصلت الى الجامعة التونسية التي مضى على انشائها عشرون عاما لاجد داخلها شيئا يفيض بالحركة والحيوية والتفاعل مع المجتمع .. وتذكرني جامعة تونس بالعام المنصرم الذي احتفلت فيه الكلية الزيتونية للشريعة واصول الدين بذكرى تاسيس جامع الزيتونة وقدمت في المناسبة دراسات حول الاشعاع الثقافي والعلمي للجامع الاعظم عبر العصور التي تجاوزت ١٢ قرنا !

ولكن ماذا عن المسرح ؟..

رأيته بكثافة في المحافظات .. وعرفت ان الفرق الفنية تركز اليوم على اللغة العربية الفصحى وتعالج مشكلات عديدة اهمها مشكلة الهجرة إلى اوربا ومشكلة نزوح اهل الريف الى المدينة.

والمسرح التونسي كما تعرف قد بدأ في العشرينات .. وإن كان المسرح المسرحي التونسي قد عرف منذ ١٦٠ عاما ، وقد اعتمد في بدايته على الخطابة لاتصاله بالحركات الوطنية ، وفي عهد الاستقلال جاء الفنان زكي طليمات من القاهرة وبدأ عدة محاولات لتكوين فرقة مسرحية متماسكة ، وقد

الجامع الاعظم بمدينة سوسة

تأسست في عام ١٩٥٤ فرقة مدينة تونس على يد الفنان علي بن عياد ويديرها اليوم الفنان المنصف السويسي . اما الانتاج السينمائي في تونس فهو قليل .. وفي هذا العام تنعقد الدورة الثامنة لأيام قرطاج السينمائية وهي التي تهدف الى النهوض بالسينما العربية والافريقية وتعمل على تشجيع روح التنافس من اجل البحث عن وسائل تعبير سينمائية جديدة ..

أحلام المجتمع

واثناء جولتي على صهوة حصان الزمن أرى في انحاء البلاد مراجعة شاملة تهدف للبحث عن إجابات لأسئلة تطرح : هل كان ما حدث مواكبا لأحلام المجتمع التونسي ؟ .. وما هو وضع تونس من الناحية الاقتصادية والجغرافية والسياسية ، وماهي مكانتها وما ينبغي ان تكون عليه هذه المكانة ضمن المحيط الذي تدور فيه ؟.. وهل في امكانية تونس مايسمح لها بان تستمر على هذا النسق السريع وخاصة فيما يتعلق بمجموعة التحولات الاجتماعية وفي مقدمتها ما ينفق على التعليم ؟

كل تلك الاسئلة وغيرها تبحث عن اجابات لمستقبل البلد الذي وصل في مجال التنمية ـ حسب تقرير البنك الدولي ـ إلى المرتبة الخامسة بين بلدان العالم الثالث .. والذي ينصرف اهتمامه الحالي الى وضع حد لازدياد الاستهلاك ، والذي يشجع العمل الزراعي باعتباره العمود الفقري للاقتصاد ، فهو ينطلق من منطلق يقول انه لا يمكن تحقيق تقدم مطرد في الصناعة او في قطاع الخدمات مالم نحقق لانفسنا حدا ادنى من الاستقلال الذاتي من حيث الغذاء !

ولا تتوقف رحلتي مع حصان الزمن في تونس .. فانا عاشق لقبابها المستديرة ومآذنها واسواقها القديمة المتعرجة المسقوفة وقلاعها وحماماتها ومساجدها وبساتينها وسواحلها الممتدة لحوالي ١٢٥٠ كيلو مترا وسهولها الخضراء التي التي لاترويها انهار ولكن تنساب اليها المياه من الهضاب المرتفعة ..

عاشق لكل مافيها من قديم موغل في القدم .. ولكل ما يتمتع به سكانها من طيبة وبشاشة وجه وصراحة تجعلهم عندما يصفون اي انسان بالفسق يقولون عنه انه يشبه طير الدوري ، وهو الطير الصحراوي الذي يفسد المزارع ويعبث بها في قسوة بالغة !

عاشق لابنها البار ابو القاسم الشابي الذي قال يوما :

الا ايها الظالم المستبد
حبيب الظلام عدو الحياة
سيجرفك السيل سيل الدماء
ويأكلك العاصف المشتعل

كمال سعد



كرنفالات سياحية في المحافظات

صلاح خليفة

القيروان

مدينة العلماء والوثائق النادرة

القيروان هي مائدة التراث الإسلامي باعتبارها العاصمة الأولى ، وقد جعل ذلك منها أحد المواقع البارزة في تاريخ هذا الوطن الى وقتنا الحاضر ، وخاصة في أشكال مبانيها وطرز العمران فيها ، وأيضا الحياة الفكرية التي عرفتها عبر القرون وهي عاصمة بعيدة عن مركز الحكم .

ولذا فان تلك الحقائق وغيرها جعلت هذه المدينة تتميز بتراث لا مثيل له بين المدن التونسية ، وقد اثرى هذا التراث هؤلاء العلماء الذين تركوا خلفهم مصنفات ودواوين نادرة !

وثائق نادرة

ومدينة القيروان تذكرنا بابن رشيق ابو على الحسن القيروانى (٣٩٠ ـ ٤٥٦ هـ) الذى ولد فى المسيلة وتعلم فيها ورحل إلى القيروان وعاش فيها اكثر عمره وغادرها الى احدى مدن صقلية حيث توفى هناك ، وقد اشتهر بكتابه « العمدة فى صناعة الشعر ووصفه » وله كتب اهمها « انموذج الزمان فى شعراء القيروان » و « قراضة الذهب فى نقد الحرب » ..

وهى من المدن البعيدة عن سواحل البحر ، ولعل اختيارها كعاصمة للملك فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، يرجع لهذا السبب الذى كان يجعلها بعيدة عن غارات الاعداء ..

واذا كانت مدينة القيروان تقع فى وسط الجمهورية التونسية ، وتتصل بشبكة مواصلات تربطها بتونس كلها ، فهى تمتد فوق سهل منبسط من الارض تحيط به مجاري بعض السيول ، التى استطاعوا التحكم فيها أخيرا بانشاء بعض السدود !

وطبيعة هذه المدينة الاسلامية انها قارية ، تمر بها بعض الفترات

فى المدينة كميات ضخمة من المصاحف المكتوبة بماء الذهب على الرق !

●

عمارة القيروان لا شبيه لها فى العالم الاسلامى وهى من الوثائق النادرة !

الحلوة في الصيف والباردة في الشتاء وهي منطقة زراعية هامة بشكل تنعكس على الفعاليات المالية بعد أن عرفت فترة طويلة من الجمود !

اما لو تحدثنا عن قيمة المدينة التاريخية فسيطول في ذلك الحديث، فمعالم المدينة كثيرة ولو احصيناها لتجاوزت المائة الى ..

والقيمة الوثائقية لهذه المعالم بالغة الاهمية ، اذ توجد في مدينة القيروان اقدم واكبر مجموعة من المخطوطات المكتوبة على الرق والتي عرفت في العالم الاسلامي كله ، وهي توزن بالاطنان ، وتم نقل اكثرها الى دار الكتب الوطنية بتونس ، بانتظار استعادتها لتكون موضع حفظ في مركز الدراسات الاسلامية برقاده .

وفي هذه المجموعة كمية ضخمة من المصاحف الجميلة جدا التي كتبت على الرق الازرق والرق الابيض الناصع البياض ، وباحبار مختلفة بما فيها الذهب ، ثم توجد اكبر مجموعة قديمة لمخطوطات كبار فقهاء المالكية المعروفين ، فنحن نعرف ان المذهب المالكي ولد في المدينة لكنه نضج واخذ منزلته بين يدي علماء القيروان ، ويكفي ان تعلم أن المدونة التي تجمع فقه مالك بن انس هي من رواية سحنون بن سعيد القيرواني .. وكتب المذهب المالكي القديمة الاصلية من عهد عبد الله بن أبي زيد وسحنون بن سعيد وعيسى بن مسكين وغيره توجد بخطوط أصحابها على نسخ من الرق في القيروان !

البرك المائية

وقد اتبع المسئولون خطة جديدة في صيانة مدينة القيروان ، فبدلا من صيانة معالمها اتجهوا الى صيانة موقع طبيعي كامل بكل ما احتوى عليه من الازقة والمسالك والانماط المعمارية، وبدل ان تحافظ قوانين الاثار على المعلم فقط اصبحوا يحافظون على كل ما هو داخل المدينة حتى يبقى متجانسا ولا تطغى عليه اساليب التغيير التي نستعملها الان في الابنية الحديثة ، فالمدينة لها متسعات خارج المنطقة التاريخية وليفعلوا بها ما شاءوا ، لكن الموقع التاريخي يجب ان يظل محافظا على مدينة القيروان التاريخية ..

وتقوم وزارة الشئون الثقافية بجهد واضح في صيانة هذه المعالم والانفاق عليها .. لكن اصبحت المعالم من الكثرة والاهمية بحيث ان الوزارة استحدثت مشروعا لتحسين العالم الاسلامي العربي باهمية هذه المدينة فوقع احتضان هذا المشروع من طرف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وأطلق نداء لصيانة مدينة القيروان ، ووجه هذا النداء الى العالم العربي والاسلامي ليسهم بامكانياته وخبراته ووسائله في مساعدة مدينة القيروان على البقاء والصيانة .

البسملة المنقوشة على خزانة المصاحف في جامع يوسف داي

جامع عقبة تتجلى فية الحجارة الصافية

مسجد القيروان





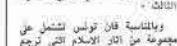
جامع القيروان

اما عن ميزة عمارة القيروان ، فقد وجد بها اربعة او خمسة معالم تعد من الوثائق الوحيدة من نوعها التي لا يوجد لها شبيه في العالم الاسلامي •• وتحتوي المدينة ايضا على الاساس الذي يغطي سقوفها وجدرانها في تلك الفترة ••

وهذا الامر ليس امتيازا لمدينة القيروان فحسب بقدر ما هو وثائق عن الحضارة الاسلامية عامة في ذلك الوقت •• مثلا اذا أخذنا جامع عقبة ابن نافع ودخلنا اليه وقارناه بالمساجد الاسلامية الكبرى التي كانت معروفة في ذلك الوقت مثل جامع احمد بن طولون في مصر او الجامع الاموي في دمشق ، ولو انه يوجد قبله ، وكذلك جامع ابي دلف في سامراء وجامع بغداد ، فبعض هذه الجوامع اندثر تماما كما حدث بالنسبة لجامع بغداد ، والمساجد الاخرى جردت من كل المعنويات التي تمت الى العصر العباسي •• فجامع ابن طولون سقوفه جددت في عصر السلطان لاشين ، والجامع الاموي اخترق عدة مرات آخرها في القرن التاسع عشر ، وجامع سامراء الذي له سقوف وليس به محتوى •• اما جامع القيروان فما زال يحتفظ بالسقوف الملونة المنحوتة التي صنعت في القرن الثالث الهجري •• اما عن المنبر فلا توجد منابر قديمة في الجوامع الاسلامية القديمة ، اما جامع القيروان ففيه المنبر الذي صنعه ابراهيم احمد بن الاغلب سنة ٢٤٨هـ اذن فهو اقدم منبر فريد من نوعه في العالم الاسلامي ووثيقة عن عصره ••

الاسوار القديمة

ولان العصر الاسلامي كما عرفته كل البلاد الاسلامية عصر يتميز بنوعية التراث المتبقي منه فان مظاهر العمران المدني تكون عرضة للتلف لانها تفتقد المؤسسات التي تستطيع ضمان بقائها ، وذلك عكس المؤسسات الدينية التي لها وازع ودوافع داخل الانسان للعناية به فقد حفظت معالم ممتازة جدا وكبيرة مثل جامع القيروان الذي لا يجهله احد وايضا الكثير من



«الاسوار القديمة التي ترجع للقرن الثالث •

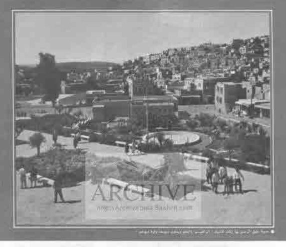
وبالمناسبة فان تونس تشتمل على مجموعة من آثار الاسلام التي ترجع الى الفترة التي توازي الفترة العباسية في القرن الثالث على وجه التحديد في الشرق وفي الوقت الذي ضاعت امثال هذه المعالم في الشرق نفسه •

فقد حافظوا على اغلب التراث الثابت المبني بمواد ثابتة وصحيحة حيث يحترم الانسان هذا التراث •• وظل هذا الاحترام تقليدا الى اليوم واذا ما استعرضنا القوانين البلدية

والقوانين التي يشرف عليها ويوجهها المعهد القومي للآثار لوجدنا أنها تراعي في الدرجة الاولى المعايشة والاحياء بين الماضي والحاضر !

وهكذا نرى ان تونس زاخرة بالآثار العريقة ، وان على رأس هذه الآثار مدينة القيروان ذات التاريخ الاسلامي العريق والتي يأتيها السواح من كل مكان ••

صلاح خليفة



الخليل مدينة الأنبياء

خالد الأغا

عندما دعاني هاتف الشوق لزيارة الخليل لم أتردد لحظة في تلبية هذه الدعوة التي تمت بمسجد الهيئة يوم رمضاني مبارك.

كانت حافلة تونس في النقطة ... إلى مدينة خليل الرحمن العريقة في عروبتها وإسلامها

العطرة لتاريخ النبوة الشريفة الحافلة لعصور الكثير من الأنبياء والصحابة والتابعين والشهداء.

لقد تباركت ذرات التراب المتجمع في الخليل إذ ضمت بكل العز والعنفوان رفات أنبياء الحق: إبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف ولوط ويونس، فاستحقت بجدارة لقب مدينة الأنبياء، إضافة إلى لقبها الأول مدينة خليل الرحمن. قال تعالى: «واتخذ الله إبراهيم خليلا».

ولقد ورد ذكر أبينا إبراهيم سبعا وعشرين مرة في القرآن الكريم.

ولقد ورد في الأثر الجليل عن حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم قال: «من لم تمكنه زيارتي فليزر قبر أبي إبراهيم».

لقد عشت مع الخليل كما المرء يعيش مع جزء غال من وطنه، قرأت تاريخها، وعشت بوجداني تفاصيل هذا التاريخ، وعاشرت العديد من



● جامع الحرم الإبراهيمي ومنبره الشريف الذي أمر بإقامته صلاح الدين الأيوبي

● الترحيب بالقادمين إلى الخليل

● قبر سيدنا إبراهيم الخليل

● قبل حوالي أربعة آلاف عام نزل الكنعانيون العرب ديار الخليل
● لم يستقر إبراهيم طويلاً بفلسطين .. فارتحل إلى مصر ومنها إلى الحجاز
● مقامات الأنبياء الكرام تقع داخل المغارة الشريفة

أبنائها فلمست أصالة المحتد والأرومة ، وصدق الكلمة وصفاء الوداد والوجدان .

لكنني مع هذا الإدراك كله لم أشرف من قبل برؤية الخليل ، حتى كانت تلك اللحظات الرمضانية العذبة التي زرت فيها ثاني أقدس المدائن الفلسطينية بعد القدس .

ها هي السيارة تنطلق بنا شرقاً .. وها أنذا أجد نفسي متواضعاً في بوابة تاريخ الخليل .

جذورها الأولى

قبل حوالي أربعة آلاف عام تقريباً نزل العرب الكنعانيون ديار الخليل ، فأقاموا فيها وأنشأوا بعض المدن والقرى التي ما يزال بعضها قائماً حتى اليوم .

ومن أشهر القرى المنشأة : قرية أربع ، وهي أحد الأسماء القديمة لمدينة الخليل الحالية ، وتقول التوراة بأنها بنيت قبل « تانيس » عاصمة مصر السفلى بسبع سنين أي حوالي سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد !

ويروي لنا التاريخ بأنه عندما ضيق أهل « أور » الكلدانية الدائرة على سيدنا إبراهيم هجر الجنوب العراقي واتجه إلى أرض فلسطين التي بارك الله فيها للعالمين ، وقد أقام إبراهيم بعض السنين تحت شجرات بلوط في شمال الخليل ، وما تزال واحدة منها قائمة حتى الآن (الصورة) إذا صدق الرواة !

لكن ابراهيم لم يستقر بفلسطين طويلا ، فارتحل الى مصر ، وبعدها الى الحجاز ، وقام مع ولده اسماعيل ببناء البيت الحرام ، واقامة صرح الكعبة المشرفة ، قال تعالى : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل » ، وهناك ترك زوجته هاجر مع ولدها اسماعيل « ليقيموا الصلاة » ، فخاطب ربه خاشعا متضرعا : « ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

عاد ابراهيم ثانية الى فلسطين حوالي عام ١٩٠٠ قبل الميلاد ، والقى عصا الترحال في الموقع الذي تقوم عليه مدينة الخليل اليوم ، حيث اشترى من « عفرون الحيثي » حقله الذي في « المكفيلة » بأربعمائة شاقل من الفضة ، « الشاقل حوالي ١١ جراما » .

وعندما توفيت « سارة » زوج ابراهيم دفنها في مغارة « المكفيلة » وهذا اسم سام معناه « المغارة المزدوجة » .

وعندما توفي سيدنا ابراهيم عن مائة وخمس وسبعين سنة دفن في المغارة ذاتها حيث دفنت زوجه ، ومن بعدهم ولده « اسحق » وزوجته « رفقة » دفنوا كلهم فيها ، كما دفنت ايضا « ليئة » زوجة سيدنا يعقوب عليهما السلام .

وقد ورد في العهد القديم من التوراة ان يعقوب توفي في مصر الا ان يوسف واخوته قد حنطوا جثة ابيهم وجاءوا بها الى « قرية اربع » في موكب حافل ودفنوها في مغارة « المكفيلة » .

وعندما مات يوسف في مصر تم تحنيط جثته ، وعندما خرج

● الحرم الإبراهيمي الشريف حيث قبر الخليل إبراهيم عليه السلام

اليهود بينها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يرون بقايا الرامة .

وفي زمن وجود [illegible] بيت الخليل ، يحزنون [illegible] الى احد اقطاب اليهود الذي مات ودفن فيها ، ويحرفون اسم يهودي معناه « الرباط » .

الحرم الابراهيمي

يرجح بعض المؤرخين بأن السور الضخم الذي يحيط بالحرم الابراهيمي الشريف اليوم هو من بقايا الامبراطور الادومي هيرودوس الذي شيدت اواخر ايام حكمه ميلاد السيد المسيح عليه السلام .

ويبلغ طول ضلع السور ١٩٨ قدما ، وعرضه ١١٢ قدما ، وارتفاعه ٤٠ قدما ، وبالنظر لهذه الضخامة فلا غرابة ان نقرأ ونسمع رواية اخرى بأن سيدنا سليمان هو الذي امر الجن وسخرهم لبناء هذا السور !!

وتعلو السور منارتان احداهما ناحية الشرق والاخرى ناحية الغرب .

واذا دخل الزائر الحرم من وسط السور الشرقي رأى على يمينه صحنا مكشوفا يقسم المكان الى جزءين : الجزء الجنوبي ويشمل الجامع الذي يضم ضريحي ابراهيم وسارة في هيئة قبتين مستطيلتي الاضلاع ، وفي واجهة الجامع يوجد محراب رائع من الرخام مزين بالفسيفساء الملونة ، وفوقه نافذة ملونة ، اما الى جانب المحراب فيرتفع منبره البديع الذي يعود تاريخه الى ايام الدولة الفاطمية ، وهو مصنوع من خشب الجوز ومطعم بالعاج ، وبعض الواجهة الامامية مصنوعة من خشب الابنوس .

والمحراب بشكله العام يعتبر آية خلاقة من آيات الفن والاتقان ، ويعد من اقدم منابر العالم الاسلامي وابدعها ، وقد احضره صلاح الدين الايوبي من عسقلان بجنوب فلسطين حيث كان موضوعا بمشهد الحسين ابن علي بعد ان خلي عليه من الصليبيين .

مضاجع الانبياء

اما مضاجع الانبياء الكرام وزوجاتهم فتقع داخل المغارة الشريفة وما الاضرحة العليا الا مجرد مشاهد

قبة ، والمنارة ثلاثة منائر ، أحدها مواجه للمنبر ... وثانيهما في الركن الشرقي لمدخل (الوجه) ، وثالثها تعلو القبة مباشرة ، ومن الجدير بالذكر أن أحدا لم يدخل هذه المغارة منذ أكثر من ٧٠٠ عام .

وقد جاء في كتاب (بدكر) المطبوع عام ١٨٩٤ عن الحرم الإبراهيمي الشريف ما يلي : لا يسمح لغير المسلمين دخول الحرم الشريف ، ولم يدخله من غير المسلمين إلا القلة ممتازة من الأوروبيين ، إنما كان يسمح لليهود وغيرهم الصعود إلى الدرجة السابعة فقط من سلم الحرم ، وعند الدرجة الخامسة يوجد ثقب يعتقد اليهود أنه يمتد داخل الحرم إلى أن يصل بالقبور ، وفي كل جمعة يأتون إلى الدرجة المذكورة يبكون ويلوحون لمالهم في ذلك شأن بحيطهم عند جدار المبكى في بيت المقدس !! .

ضيافة دائمة !

خلال العهد الإسلامي الأول ذكر المؤرخون والرحالة مدينة الخليل بأسماء عدة منها :

مسجد إبراهيم - حبرى - حبرون مشهد الخليل - الخليل .

وينتسب إلى قبيلة « لخم » العربية المملوكية التي ... [illegible] ... الرسول الكريم ... [illegible] ... في جزيرة من الروم بفلسطين لهم قرية يقال لها « حبرى » وأخرى يقال لها « بيت عينون » فإن فتح الله عليك الشام فهبها لي ! قال الحبيب : هما لك ، وكتب كتابا بذلك ومما جاء فيه : « ... إن له قرية حبرى وبيت عينون قريتها كلها ، سهلها وجبلها وماءها وحرتها وأنباطها وبقرها ولعقبه من بعده ... » .

نزل الخليل عام ١٦٢٧ م الشيخ المقري صاحب « نفح الطيب » فقال : زرت مقام الخليل ومن معه من الأنبياء تلوى المقامات الشريفة فأنشدت قول ابن مطروح :

خليل الله قد جئناك نرجو
شفاعتك التي ليست ترد
أتيناك دعوة وانقطع تشفع
إلى من لا يخيب لديه قصد
وقل يا رب السائل ووفد
لهم بمحمد صلة وعهد

أتوا يستغفرونك من ذنوب
عظام لا تعد ولا تحد
فيا مولاهم عطفا عليهم
فهم جمع أتواك وأنت فرد

شموع خليلية

لقد ظهر في ديار الخليل كثير من العلماء والأدباء والفقهاء والمجاهدين وغيرهم ، ومن أشهر مشاهيرها :

■ القائد الفذ موسى بن نصير أحد صانعي التاريخ الإسلامي ، والذي مهد بفتوحاته العظيمة قواعد الإمبراطورية الإسلامية في أوربا ، وهو سليل أسرة نصير الخليلية ، وقد أكد هذه الحقيقة ياقوت الحموي في « معجم البلدان » .

● أبو فروة كيسان ، وهو الذي اشتراه عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقد اشتهر من أحفاده أبو الفضل الربيع بن يونس ، وولده الفضل بن الربيع أحد الوزراء النفاة في بلاط هارون الرشيد .

● الشيخ علي البكا ، وهو عابد زاهد مجاهد مكرام ، اشترك في حصار أرسوف عام ٦٦٣ هـ ولا زال ضريحه وزاويته معمورين بالزوار حتى اليوم .

● الشيخ الإمام محيي الدين الخليلي الداري ، الذي أنشأ المدرسة المجدية الخليلية عام ٦٦٥ هـ في القاهرة .

والفقيه شرف الدين قاسم الحوراني وهو الجد الأول للعائلة الحوامدة الخليلية بالخليل ، وعمر ابن عبد العزيز التميمي وكان وزيرا خيرا وحفيظا ، والشيخ الإمام أبو إسحق إبراهيم الجعبري الخليلي ، أحد العلماء المرضيين والأئمة المشهورين ، كما وصفه ابن بطوطة عند زيارته الخليل ، وشيخ الإسلام برهان الدين أبو إسحق الأنصاري الخليلي الشافعي ، والشيخ حسن علي قوبدر وكان « كنز المعارف والفنون ، فريد اللطائف ، غاية في الزهد والزهادة » ، والشيخ خليل التميمي

الداري، ومحمد بن الشيخ أحمد التميمي وهو أول من أبرز رواية بالعربية في فلسطين سماها «أم حكيم»، والمصلح الاجتماعي الحاج حسن الدويك، مخلص العموري، عبد الرحمن عمرو.

ومن الوجهاء الذين برزوا في بلاد الخليل الشيخ درويش الجعبري، الحاج صالح عبد النبي - الأستاذ رشاد الخطيب التميمي مفتي عمرو، عيسى البطاط، عبد الحليم الجيلاني الملقب «بالشلف»، والشيخ عبد الحفيظ أبو الهيلات، والشيخ محمد صبري عابدين وغيرهم الكثير. وهناك شخصيات حية أخرى لم تسعفنا الذاكرة لاستحضار أسمائها ممن لحقوا بالرفيق الأعلى.

الخليل وثورة البراق

اشترك أهل الخليل وبلادها في جميع الإضرابات والثورات العديدة التي خاضها عرب فلسطين ضد الحكم البريطاني الغدار وحلفائه اليهود. ومن أبرز حوادث الخليل إبان الحكم المذكور خروج اليهود من المدينة على أثر ثورة البراق عام ١٩٢٩، ولم يعودوا إليها إلا بعد اليوم الخامس من حزيران الأسود عام ١٩٦٧م.

وفي الإجراءات القضائية التي اتخذتها السلطات الاستعمارية أصدرت أمرا بشنق ثلاثة شبان من العرب هم الشهداء: عطا الزير، ومحمد

جمجوم وهما من الخليل، وفؤاد حجازي من صفد ... [illegible]

... وقد سجل الشعبي الفلسطيني هذا الحدث بأغانيهما حسب عادات وتقاليد أهل الخليل في أفراحهم وأعراسهم.

وقد خلد شاعر فلسطين المرحوم إبراهيم عبد الفتاح طوقان ذلك اليوم بقصيدة مجلجلة أسماها «الثلاثاء الحمراء».

مستودع الرجال

وحين أصدرت سلطات الاستعمار البريطاني لابس الكوفية والعقال بالمطاردة والتنكيل باعتباره زي ثوار فلسطين أصدرت الثورة أمرا بتعميم هذا الزي وطلبت من جميع السكان أن يلبسوا الكوفية والعقال، وتم ذلك فعلا فاستحال على المستعمرين التفريق بين الثائر والرجل العادي.

واضطر المستعمرون بعد ذلك أن يفرضوا حمل الهوية الشخصية، فأصدرت الثورة أمرا بقتل كل فلسطيني يحمل الهوية، ولم يحملها أحد!! وفشلت مرة أخرى خطة بريطانيا للقضاء على الثورة

الفلسطينية. وكان أهل الخليل أسرع الناس تنفيذا لهذه الأوامر، ولا غرابة في ذلك... فالخليل كانت وما برحت مستودعا غنيا بالرجال الأشداء الذين يرفدون الثورة ويغذونها.

وجدير بالذكر أن أول من نفذ اضراب البلديات في فلسطين عام ١٩٣٦ هو المرحوم ناصر الدين ناصر الدين رئيس بلدية الخليل.

آثارهم الخالدة

في أواخر العهد البريطاني كان قضاء الخليل يضم ٨٢ قرية من أشهرها: حلحول - بني نعيم - بيت جبرين، عجور، الدوايمة، الظاهرية، دورا، السموع، صوريف، يطه، زكريا، العروب، اجنادين.

يوجد في قرية حلحول مقام نبي الله يونس بن متى عليه السلام، ويوجد على المقام مسجد ومنارة بنيا عام ٦٢٣هـ.

وفي قرية «دورا» مزار يعرف بقبر النبي نوح الذي ذكر بالقرآن الكريم في ثلاث وأربعين موضعا.

وإلى هذه القرية المجاهدة تنتسب عائلة (عمرو) التي تعلو بنسبها إلى بني جذام بن عدي.

وإلى قرية «كفر بريك» المعروفة اليوم ببني نعيم كبير ينسب إلى النبي لوط عليه السلام.

وفي موسوعة النضال الفلسطيني ارتبطت بني نعيم بمعركة حامية دارت في جبالها عام ١٩٣٨ بين وحدات من الجيش البريطاني وبعض فصائل الثورة الفلسطينية التي تولى قيادتها سعيد العاص وعبد القادر الحسيني. وقد قرر العدو مؤخرا سرقة أكثر من ٦٠٠ دونم من أراضي بني نعيم لإقامة مستوطنة عليها.

أما قرية «صوريف» فإليها ينتسب المجاهد القائد إبراهيم أبو دية أحد أبرز قادة الجهاد في فلسطين خلال الأربعينات.

أما قرية اجنادين فلها تنسب معركة اجنادين الشهيرة بين المسلمين والروم

عام ١٣ هـ . ومن الصحابة الذين استشهدوا فيها : عبد الله بن الزبير ابن عم رسولنا الأعظم ، وعمرو ابن سعيد بن العاص وأخاه أبان ، فبار بن سفيان ، سلمة بن هشام وأخوه الحارث ، عكرمة بن أبي جهل ، هشام بن العاص ، والأخوة الأبطال الأربعة : تميم ـ العجاج ـ الحارث سعيد ـ أبناء الحارث بن قيس ، نعيم بن عبد الله المعروف بالنحام ، عبد الله بن أبي الجهم ، جنسس ابن عمرو ، عمرو بن الطفيل .

« بيت جبرين » وهي بلدة قديمة كانت عامرة وأكبر مقاطعة في فلسطين أيام العهد الروماني ، وبعد أن فتحها المسلمون صارت تابعة « أجند فلسطين » ثم نزلها قوم من جذام وأقاموا فيها ، وقد اقتضب أصحابي والله بن الأشقر مسكناً له ، وتضم بيت جبرين قبر الصحابي تميم الداري .

خليلي يا عنب !

اشتهر عرب الخليليون بأنهم من أشد الناس استمساكاً بدينهم وأرضهم وقوميتهم ، كأهل الشام والوفاء والبذل ، لا يسبقهم في إكرام الضيف أحد ، كما يقول أساتذة العقل ، لمصطفى مراد الدباغ في موسوعة « بلادنا فلسطين » .

ويبدو أن جرثوم لهذه الكوكبة الكريمة من أصفياء الله رضوان الله عليهم قد صبغت حياتهم بالفضائل البديعة التي اكتسبوها عبر تعاقب الأيام ، ولعل هذا يفسر لنا المعنى المستتر وراء عدم وجود دار للسينما في الخليل حتى اليوم ، أما من يرغب من أبنائها الشباب في مشاهدة بعض العروض السينمائية فعليه الذهاب إلى القدس التي تبعد ٣٦ كيلو متراً عن الخليل ، وعليه ألا يشعر أهله بنيته تلك ، وإلا أصبح موضع تجريح من كبار السن !!

إن موارد الخليل الاقتصادية محدودة ، برغم وجود بعض الصناعات فيها ، ومن أشهر هذه الصناعات التقليدية صناعة الزجاج والخزف ، والمعاطف والدباغة والفخار والنسيج ـ والمنجات ، كما يوجد بها حالياً مصنع ضخم لتعليب اللحم البقري ، وهناك بعض المنتوجات الزراعية ومن أشهرها العنب ، وعنب الخليل يتمتع بشهرة واسعة للتعامل والفرد بكبر حجمه ، وشدة حلاوته وقلة بذوره .



● صناعة الزجاج .. الفخر من الصناعات الخليلية [illegible]



حيهم لمصر

لقد وصل التجار الخليليون ـ منذ القرن الثامن عشر ـ إلى مناطق نائية فكثيراً منا عرف عنهم من حب للمغامرة وطلب الرزق بالكد والجهاد وقد استقر جزء كبير منهم في عمان بعد الحرب العربية الصهيونية الأولى ، أما في مصر فقد انطلقت إليها ثلاث موجات : الأولى حينما استولى إبراهيم باشا على الخليل وأجزاء أخرى من فلسطين ، وتلقى الملك مجموعة من شباب الخليل وضمهم إلى الجيش المصري ، الثانية : في أواخر الحكم العثماني وفي حومة الحرب العالمية الأولى ، والثالثة بعد الهزيمة العربية الأولى عام ١٩٤٨ .

وقد أوى الخليليون في مصر جالية ثرية يزيد عددها عن عشرين ألف نسمة تقيم أغلبها في القاهرة ، وأصلها يتمتعون بكافة الحقوق والمزايا التي يتمتع بها أقرانهم المصريون ، وهذا ما كرس حبهم لشعب مصر العريق .

ومن هذه العائلات المعروفة بشاق الزوايا ، واسقفا مشتحها ، ووفاء عهدها !

الجعبري ـ جمجوم ـ القواسمة ـ زيتون ـ القاضي ـ الشريف ـ قفيشة ـ الزرو وغيرها، وما زالت جذورها الاولى راسخة في الخليل، واضافة لما ذكرنا فهناك من عائلات الخليل العريقة والشهيرة: الشنك ـ الدويك ـ التميمي ـ العجوري ـ سلهب ـ بدر ـ المحتسب ـ الهرباوي ـ المرقة ـ الفاخوري ـ طهبوب ـ حجازي ـ أمسرو ـ دودين ـ الناصرة ـ غيث ـ ابو خلف ـ الشعراوي، وهناك عائلات أخرى عريقة تحفظها الذاكرة في السجلات المعتمدة.

ولقد سرني ما عرفته عن «رابطة الجامعيين بمحافظة الخليل» التي تأسست عام ١٩٥٣ وعملت بموجب نظامها الاساسي على رفع مستوى المنطقة علميا وثقافيا واجتماعيا.

وأشرفت على تبني وانجاح عملية مشاريع هامة تهم أبناء المحافظة، ولعل من ابرزها مساعدتها المالية لحوالي ٨٠٠ طالب أتموا دراستهم الجامعية، وهذا يعكس جانبا واضحا لحقيقة التكافل والتعاضد بين أبناء المنطقة والعمومة في خليل الرحمن أبدا فلا تعجب حين يتكرر عليك بمشاهد استقبال أحدهم لك بلقاء يا خالي.. وهو يناديك او يخاطبك حتى ولو لم يكن يعرفك!

الخليل تقارع الغزاة

لقد كانت الخليل من ضمن عشرة مدن فلسطينية نجت من السرطان اليهودي عام ١٩٤٨.. وقد بقيت منذ ذلك العهد تنعم بالدعة والسكينة والنماء في احضان المملكة الاردنية الهاشمية، وقد شهدت المدينة خلال تلك الفترة نهضة شاملة في كافة قنوات النهضة والتقدم.

وفي حزيران الاسود عام ١٩٦٧ تمكن اليهود من احتلال المدينة بعد ان بقوا يحلمون بها عدة قرون!!

لقد ظلوا يرفعون شعار «العودة الى حبرون مدينة الآباء».. وتحت هذا الشعار داسوا كل القيم، وافتعلوا كل المشاكل، فاقتحموا الحرم الابراهيمي الشريف واعتبروه كنيسا يهوديا سموه «كنيس مكفيلة»..

وقد قاموا خلال تلك الاعوام بتقسيم الحرم بين المسلمين واليهود بصورة صريحة، حيث ان أبراهيم الخليل يقيم التوراة شبه بدلا من القرآن الكريم، وعقد مراسيم زفاف ثمانية جنود صهاينة على ثماني مجندات من بينهن ابنة مجرم الحرب موشي ديان.

ولقد منع المسلمون مؤخرا من تحول معظم ساحات الحرم والتي خصصت لصلوات اليهود وتجدر الإشارة الى ان حكومة الانتداب البريطاني لم تكن تأذن لليهود بتجاوز سلم الخليل طيلة حكمها لفلسطين التي أسمتها للإبرطانيا، بل انها لم تسمح لهم بتعدي الدرجة السابعة من درجاته السبعة.

وتحت شعار «العودة الى حبرون» استولت سلطات العدو على آلاف الدونمات التابعة لأراضي الخليل، وفي عام ١٩٧٠ بنى العدو بسلام البر والخطر اول مستعمرة يهودية في تلك المنطقة وأسماها «كريات أربع» في محاولة الدنة لإعادة تحواهم يهوديا «الخليل» فقد قال سفاح دير ياسين مناحيم بيغن: ان استيطان الخليل هو استيطان مرائي لليهود.

وكريات اربع قائمة على ثلاثة آلاف دونم، وهي اول مستوطنة صهيونية جرى انشاؤها فوق الاراضي العربية المحتلة بعد الاحتلال وتشرف على جميع انحاء مدينة الخليل، بل ان الخليل مهددة بالذوبان في هذه المستعمرة العسكرية الزراعية التي

تأوي حوالي عشرة آلاف يهودي، علما بأن نسبة عدد اليهود في الخليل قبل عام ١٩٤٨ كان اقل من واحد بالالف بالنسبة لعدد سكانها، وكانوا يمتلكون ثلاثة بالالف من مجموع مساحتها فقط!

اهانة القيم

لقد حقق الصهاينة اليوم خطوات واسعة للاستيلاء على مدينة الخليل العربية بعد العبث بمقدساتها وتغيير وجه المدينة الحضاري ضمن سياسة توسعية مرسومة، تماما كما يحدث مع القدس الشريف.

ان كل القيم والفضائل تغيب في هذا الكيان العدواني، وتبرز انيابه الوحشية القاتلة من بين كل الالوان الزائفة التي يدعيها ويلصقها بالحضارة والديمقراطية والدين!

لقد انتهك هذه الكيان المقدسة للبشرية عمدا حضاريا، وعمقا انسانيا، حتى غدت وجهة لكل عباد الله من مسلمين ومسيحيين ويهود، الا ان الفكر الصهيوني قد اهان كل المواثيق وداس كل القيم لانه لا يرى في الاديان والرسالات الا وسيلة تبرز غاياته الاستيطانية المعروفة.

واخيرا.. فاننا نجد انفسنا مدعوين لطرح السؤال التالي: هل هناك من يعتقد برغبة العقلاء الصهاينة في بناء صرح السلام الحقيقي المنصف والعادل؟

سؤال طرحته على نفسي وانا اغادر مدينة الخليل بعد ان استجبت لدعوة مأدبة الافطار من احد ابناء الخليل التي تعرفت على خليل ان يرفع مؤذن الحرم الابراهيمي اذان المغرب ببعض ساعة!!

قيل خالد الاها

الكتاب والناس
في مدينة الدوحة

- كيف يصبح الكتاب سلعة بعيدة عن الربح والخسارة؟
- هل تغطي معارض الكتاب احتياجات القارئ القطري؟

تحقيق : نادية رزق



هل نحن نعد فعلا المناخ المناسب للقراءة ؟ ومن توفر المناخ للكتاب والمجلة والصحيفة لتكون في متناول الجميع بسهولة .. أم هل القراءة أصابها ما أصاب بقية جوانب الحياة فصارت مؤسسات تطرح في حسبانها الربح والخسارة بفعل النظرة التجارية ؟

في السنوات الأخيرة تصاعدت نغمة مقدرة من زحف أجهزة الاعلام المرئية والمسموعة على مساحة زمن الكتاب في حياة الناس ، وعلت أصوات الخائفين على غياب المطالعة والقراءة الجادة .

ولكن ما وقع هذه النغمة في مدينة عربية مثل الدوحة .. هذا ما حاولت البحث عنه من أجل التعرف على إجابات شافية وتلمس بعض ما هي الحقيقة من تفاصيل ..

المهرجانات العملية

وبداية فلا شك أننا ندرك ما في المعارض من فرصة للتنافس بين دور النشر في العالم العربي ، فبعضها

المعارض الثلاث في مدينة الدوحة

- الفتيات أكثر إقبالا من الشبان على شراء الكتب
- طلبة الجامعة يطالبون بإقامة معرض سنوي للكتاب

جميع الأعمار تقبل على القراءة بدار الكتب

في مكتبة جامعة دولة قطر



يلتقي الناشرون والموزعون وجها لوجه امام القارىء ، ليتعرفوا على اتجاهاته في القراءة .. كما ان تلك المعارض يجد فيها القارىء دائما فرصة التمتع بمهرجان عقلي وعلمي ينتقي منه ما يشاء ..

وهذه الاهداف النبيلة جعلت معارض الكتاب في دولة قطر تجد قبولا عظيما من جمهور القراء ، بل ينتظرونها بفارغ صبر ، حتى ان اخر معرض للكتاب اقيم بالدوحة في نهاية عام ١٩٧٧ ، بيعت فيه كل الكتب المعروضة ، وكانت تبلغ ١١٩٫٨٣٣ كتاب ، اشترى الرجال منها ٧٠٫٨٩١ كتابا ، واشترت النساء ٤٨٫٩٤٢ كتابا . واشتركت به واحد وعشرون دار نشر تمثل كل الدول العربية .

وان دلت هذه الارقام على شيء فانما تدل على مدى تعطش القارىء القطري لكل فنون المعرفة الانسانية ..

اما اول المعارض التي اقيمت بمدينة الدوحة فكان في ديسمبر عام ١٩٧٢ واشتركت به عشر دول عربية هي الاردن ، البحرين ، سوريا ، الكويت ، لبنان ، مصر ، العراق ، فلسطين ، تونس ، بالاضافة لدولة قطر ، وبلغ عدد العناوين المعروضة حوالي ستة الاف عنوان .

أما المعرض الثالث فكان لكتاب الطفل بديسمبر عام ١٩٧٩ ، وكان مساهمة لعام الطفل الدولي ، ولقي اقبالا شديدا من الاطفال والشباب .

وكان اخر المعارض هو الخاص بالمؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية الذي اقيم بالدوحة اثناء انعقاد المؤتمر في مدينة الدوحة ، وبيعت كل كتبه وكان به قسم خاص لعرض نوادر المخطوطات الاسلامية ..

ولا شك ان اقامة مثل هذه المعارض بدولة قطر يمثل مهرجانا عقليا وعلميا لأحدث ما نشر في العالم العربي والغربي على السواء ، وذلك بالاضافة الى انه فرصة للمكتبات المحلية حتى تسوق ما لديها من كتب كما انه يساعد على تحديث المكتبات المدرسية على حد قول كامل كامل بكري امين دار الكتب بالدوحة ، ويشجع على تكوين وبناء المكتبات في الدوائر الحكومية ، ويتيح الفرصة لكثير من الافراد بتكوين المكتبات المنزلية ، حيث تكون الفرصة امام القارىء هي انتقاء ما يشاء من المعروض امامه ..

ولهذا فان الكثير من طلبة الجامعة ومن بينهم علي سالم الكواري بالسنة الثالثة قسم التاريخ والمكتبات بجامعة قطر ، يطالبون بضرورة اقامة معرض سنوي للكتاب بالدوحة ، لانه يتيح الفرصة للمتخصصين في ايجاد ما يطلبونه من الكتب والمراجع التي يصعب وجودها بالمكتبات التجارية لقلة الطلب عليها .

تجارة الكتب

والمكتبات التجارية في وقتنا الحاضر لها دور كبير في نشر الثقافة والمعرفة ، ويقول سمير محمد رسمي نائب مدير مكتبة الثقافة بالدوحة ان هناك فئات من جميع الاعمار تقبل على شراء الكتب وخاصة الفتيات اللاتي يقبلن على شراء الكتب الدينية، والكتب التي تبحث في شئون تربية الطفل والتدبير المنزلي .

اما الشباب فبالاضافة الى اهتمامهم بالقراءات الدينية فانهم يقبلون على الكتب الادبية وفي مقدمتها القصص التي تحمل اسماء الكتاب مشهورين ثم كتب الشعر ، وخاصة الشعر الخليجي الحديث ..

اما الكتب الجامعية والمدرسية فتقريبا لا تطلب لالتزام الجامعة والمدارس بتسليمها للطلاب .. الا ان اساتذة الجامعة والمتخصصين يقبلون على شراء الكتب العلمية والمراجع ، واحيانا تطلب خصيصا لهم !

لماذا لا تهتم المكتبات بتدريس الصحف الصحيحة والكتب المتخصصة؟
تشجيع إنتاج الشباب في أول دار للنشر في مدينة الدوحة





قراءة المجلات موازية لكل من الشباب

واكثر الكتب مبيعا حتى الآن في مكتبات الدوحة هي كتب التفاسير مثل تفسير « الجلالين » و « ابن كثير » و « ظلال القرآن » ، وكتاب « رياض الصالحين » ، برغم ارتفاع اسعارها قياسا للكتب الاخرى !

نقص المراجع

وبنظرة سريعة على المعروض بالمكتبة ، لاحظت ان اغلب الكتب اما دينية او اقتصادية او علمية وادبية او كتب خاصة بالاسرة والاطفال . واثناء تواجدي بالمكتبة التقيت بعبد الرحيم كافود المدرس المساعد بقسم اللغة العربية بجامعة قطر ، وهو حاصل على ماجستير في الادب القطري الحديث ، وكان يبحث عن احد مصادر بحثه حيث يستعد حاليا للحصول على الدكتوراه في موضوع « النقد الادبي الحديث في الخليج العربي » ..

وقال لي انه يعاني من نقص المراجع الخاصة بهذا الموضوع ، ويلجأ احيانا لدار الكتب ، او يطلبها بمعرفته من الناشرين او من مؤلفيها مباشرة . ورغم انه استطاع تكوين مكتبة منزلية خاصة يبلغ عدد كتبها حوالي ٢٧٠٠ كتاب ، اغلبها في النقد والادب الحديث الى جانب بعض الكتب الاجتماعية والتاريخية ، فانه يتمنى ان تنشط حركة النشر والترجمة بدولة قطر حتى يجد الباحث كل ما يحتاجه للدراسة او القراءة الخاصة ، كما يطلب من دار الكتب الاهتمام بالدراسات الخليجية، وهو يرى أن وسائل الاعلام تساعد الشباب على الاتجاه للقراءة بما تطرحه من رؤوس موضوعات ، ولذلك يجب الاهتمام بما يذاع وينشر لما له من تأثير واضح على سلوك الشباب اليومي ..

انتاج الشباب

وصناعة النشر صناعة رابحة بدليل ان ترتيبها يأتي في فرنسا مثلا قبل صناعة الطائرات النفاثة ومنها الكونكورد !

ولكن صناعة النشر شأنها شأن اية صناعة اخرى مثل الملابس وغيرها في حاجة الى ادارة وتمويل وحسن اختيار كما يقول خليل الفزيع رئيس تحرير دار المهد للصحافة والنشر .

وهذه الدار هي اول دار تقوم بنشر وتوزيع انتاج الشباب القطري من قصص وشعر ودراسات وغيرها ، وذلك بهدف تشجيع الشباب على القراءة والكتابة .

والعجيب أن انتاج الفتيات اللاتي ينهال على الدار بحثا عن النشر يفوق انتاج الشباب حجما .

وقد نشرت الدار حتى الآن اربعة

الكتاب والناس في مدينة الدوحة






• مخطوطات اسلامية نادرة موجودة بدار الكتب بالدوحة ـ قطر

• طالبات الطلبة بزيارة معارض الكتب بقطر

كتب اولها « الشعر واللغة » لخليل الفزيع ، « وانت وغاية الصمت والتردد » لكلثم جبر ، و « نافذة » لحمد الصويغ ، و « النساء والحب » لخليل الفزيع ، وهناك قائمة طويلة يتصدرها انتاج الفتيات تنتظر دورها في العرض على لجنة مختصة للقراءة .

وهذا المشروع لا يتيح ربحا تجاريا حتى الآن ، لأن هدفه الاول والأخير هو تشجيع الانتاج المحلي على امل أن يحقق ربحا بعد ذلك .

ويدخل تحت صناعة النشر وتجارته ايضا « المطابع » ، والمطابع بقطر اغلبها يعتمد على طباعة الكتب المدرسية والجامعية ، وبعض الصحف والمجلات التي تصدر بالدوحة .

والحقيقة ان الشكوى من ارتفاع اثمان الكتب يرجع الى تذبذب سعر الورق ، وارتفاع تكلفة الطباعة ، مما يرفع اسعار الكتب والمجلات بين وقت وآخر فضلا عن ارتفاع اجرة الايدي العاملة بهذا المجال .

اما اذا اراد احد المؤلفين طباعة كتاب على نفقته الخاصة فيصبح الامر صعبا بالنسبة له حيث يرتفع ثمن الطباعة ارتفاعا كبيرا ، وقد يكون هذا احد اسباب عدم انتشار طباعة الكتب ونشرها . وان كانت الدولة تتيح الفرصة لمن يستحقها بمساعدته ، واحيانا بالنشر والطباعة على نفقتها .

مخطوطات نادرة

وفي دار الكتب بمدينة الدوحة ، وهي الدار التي تحل مشكلة غير القادرين على اقتناء الكتب وطلاب الجامعات والمعاهد ودارسي الدراسات العليا ، كان اللقاء مع مدير الدار محمد حمد النصر الذي قال ان اغلب المترددين من بين طلبة وطالبات جامعة قطر حيث يقومون بتكملة ابحاثهم المطلوبة .. ويلي الطلبة في التردد على الدار موظفو الدوائر والشركات وطلبة المدارس وايضا ربات البيوت !

وقد لا يعرف الزائر لدار الكتب انها تحوي ١٢٣٠ مخطوطا نادرا عربيا واسلاميا ، وانها تضم مجموعة من كتب المراجع والمصادر التي يهتم بها اساتذة الجامعة وطلابها والباحثون عامة ، وانها تضم مجموعة نادرة من الكتب الاجنبية ، وهذا بخلاف ما بها من قاعات متخصصة تضم اعداد ١٢٠ دورية ومجلة متخصصة ..

الانتاج الفكري

وكلنا نعرف ان غزارة الانتاج الفكري في عصرنا الحديث ، جعلت من المستحيل على اية مؤسسة مهما كان حجمها أن تستوعب هذا الانتاج. ففي كل عام يصدر في العالم اكثر من نصف مليون عنوان واكثر من مائة الف دورية علمية ، وهو عدد ضخم يستحيل تجميعه جملة واحدة ، لا من حيث حجم المصاريف المادية ، ولا من حيث المساحة ، ولهذا فان شراء الكتب لتزويد دار الكتب القطرية بها يتم وفقا لأسس واعتبارات اهمها الحصول على المطبوعات التي تناسب كافة الاعمار وجميع مستويات القراءة ، وتمكين الباحثين من التعرف على الانتاج العالمي عن طريق تجميع كل المراجع والفهارس والمعاجم من مختلف مكتبات العالم تمكينا لرواد الدار من متابعة ما ينشر في العالم ، وهي ايضا تمكنهم من اقتناء ما يختارونه سواء عن طريق الشراء أو التبادل ، وهذا التبادل بالذات يمثل عنصرا هاما في اقتناء الكتب ، ولا يجب اغفال الاهتمام بتكوين مكتبة خليجية لاقتناء كل ما يصدر في هذا المجال ، والحصول على احدث الطبعات من الكتب والمراجع ، ولسد الفجوات في مجموعات الكتب القديمة بالدار ، ومحاولة بناء مكتبة كاملة للمراجع العامة والمتخصصة .. كما تهتم دار الكتب حسب قول امين الدار بطلبات الهيئات .

ظاهرة خاصة

وتنفرد دار الكتب القطرية بظاهرة خاصة لتشجيع القراءة وهي تجهيز مجموعات من الكتب واهدائها للهيئات والافراد على السواء واغلبها من الكتب الدينية المطبوعة على نفقة حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير البلاد المفدى ، والتي

● أكثر الكتب السائدة في قطر هي كتب التراث والمؤلفات الدينية

● الدراسة الجامعية تستند على المكتبة بنسبة تصل إلى ٢٥ في المائة

تتيح للمواطن طريقه الى الهـداية ، وذلك الى جانب بعض الكتب الادبية والاشعار النبطية .

وقبل ان اترك دار الكتب بالدوحة، القيت نظرة سريعة على سجل الاعارة الخارجية فوجدت ان عدد المقيدين للاعارة ٢٥٨٠ قارىء بينهم ١٥٧٣ من الرجال و ١٠٠٧ من السيدات .

وتشجيعا للقـراءة والاستعارة ، فقد افتتحت دار الكتب فروعا لها بمدينة الخور ، ومدينة الشمال .

واقـدم الكتب بالدار نسخة من مصحف سيدنا عثمان مصـورة عن مكتبة لينتجراد .

اما اقـدم المخطوطات فهي ديوان المتنبي ، ويرجـع للقرن السـابع الهجري .

قاعة للنساء

وهناك ظاهرة جديرة بالملاحظـة وهي ازدياد عدد المترددات على دار الكتب ويرجع ذلك كما يقول كامل بكري امين الدار الى افتتاح الجامعة بدولة قطر ، وتكليف الاساتذة الطلبة والطالبات باعداد الدراسات والبحوث اللازمة .

الا ان الدار بصدد تخصيص قاعة مطالعة خاصة بالنساء اللائي يتعاملن حاليا مـع الدار من خلال الاستعارة الخارجية فقط .

ومن سجلات الاستعارة اتضح لنـا ان اكثر الكتب اقبالا عليهـا هي العلوم الاجتماعية ثم الآداب ويدخل تحتها القصص والروايات والتاريخ والعلوم واخيرا المعارف العامة .

ومن شروط مزاولة مهنة استيراد وتوزيع الكتب بدولة قطر ، الحصول على موافقة مسبقة قبل البدء بذلك العمل من ادارة المطبوعات والنشر ، وعلى كل مكتبة ان تزود هذه الادارة بقائمة لما سيطلب تتضمن اسماء المطبـوعات واثمانهـا ، للتأكد من موضوعاتها وهل هي صالحة لتغذية عقول النشء وتنمية مداركهم ومعارفهم الانسانية .

ماذا يقولون

وعندما ذهبت الى مكتبة جامعـة قطر التقيت بالدكتور محمود عباس حموده الاستاذ المساعد بقسم التاريخ والمكتبات والمشرف على مكتبة الجامعة، وقال لي ان نظام التدريس بالجامعة يتيح للطلبة والطالبات فرصة القراءة المتعددة والمتنوعة ، فالطالب مطلوب منه ان يقرا ما بين ٤٠ و ٦٠ كتابا لاعداد البحوث ، أي ان المكتبة تشارك بنسبة ٢٥ في المائة من التـدريس الجامعي .

وفي رأي د . حمـودة ان اقبال الطلبة والطالبات على القراءة واضح، بدليل كشوف الطلبات التي يملؤونها لكتب يطالبـون الجامعـة بشرائها ولا تختص بالمواد التي يدرسونها فقط بل بكل انواع المعرفة ..

وداخل مكتبة الجامعة ايضا تحدثت مع يوسف جاسم غريب ، بالسنة الثالثة قسم التاريخ الـذي قال لي ان قراءاته دينية وتاريخية وادبية . وانه كون مكتبـة تحتوي على مائة وستين كتابا اغلبهـا تاريخي وادبي ، ويطلب من المكتبـات جلب الجديد مما يصدر عن دور النشر ، لافتقار السوق لاحدث الكتب !

وايضا كان حديثي مع محمد سعد، بقسم المكتبات الذي طالب الشباب بالقراءة حتى يمكن تكوين مواطن قيادي صالح مدعم بالعلم والمعرفة ، وشكا من قلة عدد النسخ المعروضة بمكتبات الجامعـة ودار الكتب فهي لا تحقق كافة الرغبات !

ومع شرائح اخرى في مدينـة الدوحة التقيت بالمهندس عبد العليم سليمان الذي قال بانه عندما يود قراءة كتاب متخصص في مهنتـه ، بحسب وجوده ، فيضطر الى طلبـه بنفسه من الناشر مما يكلفه الكثير، أما باقي الكتب التي يقرأها واغلبها ادبي فانه يعثر عليها بسهولة سواء من دار الكتب او مـن المكتبـات التجارية .

وقالت حليمـة سعد المسيري المدرسة بالثانوية ، انها لا تجد صعوبة في الحصول على ما تريد من الكتب ، فدار الكتب بها اغلب ما تحتاجه .

وهي تخصص مبلغـا شهريا لشراء الكتب ، الا انها تطالب باصـدار طبعات شعبية مما تصدره دور النشر ليصبح سعرها في متناول الجميع !

الكتاب للجميع

وهكذا نرى ان هناك جهودا تساعد وتشجع على الاهتمام بالنشر والقراءة في دولة قطر ، وان كنا نامـل ان تتخطى تلك الجهود كل المصـاعب التي تقف امام نشر العلوم والمعرفة وتوسيع النطاق العـددي للقراءة ، وذلك بايجاد المطبعة المناسبة والناشر المناسب ، ثم التوزيع المعقول الـذي يقدم الكتاب باسعار مقبولة للجميع ، ليس فيها اي نوع من الجشع او الرغبة في تحقيق الربح السريع .

نادية رزق



جرش

مدينة الينابيع والبساتين الخضراء

أسامة شهاب

المسارح الثلاثة الأثرية بمدينة جرش ذات الأعمدة

مدينة جرش ، تلك المدينة الهادئة العفة الورعة الحالمة ، لا يملك الزائر اليها الا ان يشعر بالطمأنينة والاسترخاء الذي ينشده الانسان في يوم عطلته ، حتى ان كاميرتك ستعجز عن اخذ اي صورة ! لان كل مشهد يستحق التصوير ويخلب اللب .. إنها ليست مدينة فاضلة او جمهورية مثالية ولكنها مدينة حقيقية ... والحضارات الماثلة امامنا تشهد على هذا !

في مصر والعراق ثمة نشاطات قام بها غربيون حافزهم الأول تزويد متاحف العواصم الاوروبية بكنوز لا تزال صفوة مقتنياتها . ولم تحظ الأردن وفلسطين حينئذ باهتمام مشابه لأن هؤلاء الباحثين عن الكنوز لم يتوقعوا ان تكشف الحفريات فيها عن تماثيل ضخمة ومسلات ورسومات بارزة وغير بارزة كتلك التي يعثرون عليها في مصر وفي العراق ، وذلك لمعرفتهم ان العهد القديم من الكتاب المقدس يحرم مثل تلك التماثيل والرسومات ، ولذا انحصرت نشاطات الغربيين في بلدنا خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر على عدد من الرحالة والحجاج الى الديار المقدسة كان من ابرزهم « سيتزن » الذي زار جرش سنة ١٨٠٦ ولفت انتباه الغربيين إليها ، فهل من كاتب يلفت انتباه الشرقيين اليها .. نحن ابناء الوطن العربي الواحد ؟!

- الفتح الروماني نقطة تحول في تاريخ جرش
- الرومان واليونان فشلوا في نشر ثقافتهم
- جرش تبادلت الأعمال التجارية مع الأنباط
- عين البركتين وعين القيروان وعين السوق تسقي بساتين جرش
- عملية الجرش هي التقشير وأكل الشيء الخشن.


مسرح روماني قديم

مستعمرة رومانية

في عام ٦٣ قبل الميلاد سقط الشرق الأدنى بيد الرومان . ويعتبر الفتح الروماني نقطة تحول هامة في تاريخ مدينة جرش . فقد اهتم الرومان بإسكان الجاليات الرومانية فيها كما فعل اليونان من قبلهم !

ولكن الرومان واليونان قد فشلوا في نشر ثقافتهم التي لم تتجاوز الطبقة المترفة من ملاك الاقطاعات الواسعة ، وظلت جرش تتمتع ببعض مزايا الحكم الذاتي خلال الحكم الروماني شأنها في ذلك شأن الفترة اليونانية السابقة ، فدخلت في أوائل العهد الروماني حلف المدن العشر الحرة التي كونت معا حلقة دفاعية لصد عدوان القبائل الغازية وحماية قوافل التجارة . فاتاح لجرش جوا من الازدهار الزراعي والتجاري فترتب على ذلك أن أخذت جرش تتبادل الأعمال التجارية الناجحة مع الأنباط خلال القرن الأول ق.م والقرن الأول بعد الميلاد . واستقلت جرش في تطورها من النقد النبطي ومن الهندسة المعمارية ومن معتقدات الأنباط أيضا .. كيف لا وهم أهل البتراء !

مدينة جرش تقع على بعد ٤٨ كيلومترا إلى الشمال من عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية ، وعلى بعد ٤٠ كيلو مترا إلى الجنوب من مدينة اربد ، وعدد سكانها الآن يزيد على خمسة عشر ألفا ، وتقع على هضبة منخفضة ترتفع ٥٥٨ م عن سطح البحر وتحيط بها من كل جهاتها جبال عجلون المغطاة بالغابات الكثيفة . والوادي يشق جرش من الشمال إلى الجنوب ويزداد عمقا وضيقا كلما اتجه نحو الجنوب حتى يلتقي بوادي نهر الزرقاء . ويعترض مجرى الوادي شلالان احدهما في طرف البلدة الجنوبي (حيث كان يمتد السور القديم) ويبلغ ارتفاعه ١٨ مترا ، والثاني إلى الجنوب وعلى بعد كيلو متر تقريبا من الأول ويبلغ ارتفاعه ٢٥ مترا .

تشتهر جرش بمياهها الغزيرة التي تتدفق من ينابيعها العديدة . وأكبر هذه الينابيع عين البركتين ، وتبعد نحو ٣ كيلو مترات إلى الشمال من المدينة وتمتد مياهها سهول جرش ... المنصي وادي الدير ، وهناك أيضا عين القيروان داخل البلدة وتسقي ... الجنوبية ، وعين السوق إلى جوار طريق عمان ، وهناك عيون أخرى مبثوثة على جانبي الوادي تمده بالمياه الغزيرة التي بفضلها اشتهرت جرش ببساتينها وأراضيها الزراعية التي تنتج مختلف أنواع الخضار والفواكه .

والهضاب المحيطة بجرش مراع صالحة لتربية الأغنام والماعز والأبقار ، فهذه المراعي ـ بالإضافة إلى أعشاب العلف التي تزرع في الأراضي المروية ـ جعلت لجرش شهرة طيبة أيضا بالألبان ومنتجاتها .

ولعل أحد التفاسير في سبب تسميتها بهذا الاسم هو انتاج أراضيها البعلية مختلف أنواع الحبوب وعملية الجرش هي التقشير وأكل الشيء الخشن .

أيام الشمال

تتصل جرش بكل من مدينتي عمان واربد بطريق معبدة ، والطريق اليها من عمان تمر بمناظر مختلفة لا يملها المتنقل من سهول وجبال ووديان ، إلى غابات كثيفة جميلة ، بحيث يعتقد الناظر انه يجتاز جبال لبنان المكسوة بالأرز ، ولكن هذه الجبال مكسوة بأشجار الحور والجوز والسرو والسنديان .

تقع البلدة الحديثة في الجانب الشرقي من الوادي ، أما البلدة الأثرية ففي الجانب الغربي ، وقد انشئت البلدة الحديثة عام ١٨٧٨ حين اقتطعتها الدولة العثمانية لجماعة من مهاجري الشراكسة الذين هاجروا من بلادهم في قفقاسيا ، ثم ما لبثت أن سكنها بعض العائلات الشامية من التجار اتخذوا منها مركزا لتجارتهم مع القرى والعشائر المجاورة ، ثم ما لبث أن انتقل اليها أيضا عدد من سكان تلك القرى المجاورة خاصة بلدة سوف ، والتي تبعد عنها سبعة كيلو مترات ، وكذلك نزح اليها عدد من نازحي الضفة الغربية وبذلك أصبح السكان فيها مزيجا من هؤلاء جميعا !

وتعتبر هذه المدينة من أبرز الأماكن السياحية في الأردن اذ تجتذب أعدادا كبيرة من السياح في كل عام وقد أولتها الحكومة بعض العناية ، وفهمت من بعض مسؤولي وزارة السياحة والآثار أن .. عين البركتين ، ستصبح بركة سباحة حديثة يحيط بها متنزه وبلاجات ـ إن صح التعبير ـ وذلك لاجتذاب السياح .

نهر الذهب

ولما انحسر ظل الدولة العثمانية عن هذه البلاد وتأسست الامارة الأردنية عام ١٩٢١ تولت دائرة الآثار أعمال الحفر والتنقيب والترميم في جرش ، فقامت بمجهودات لا بأس بها حتى صار بالإمكان معرفة تاريخ هذه البلدة التي وجدوا بها كمية كبيرة من الأدوات الصوانية من جملتها بعض المعاول اليدوية الصغيرة التي تدل على

عدد هائل من الأعمدة الكلاسيكية في المدينة



نور الشاة في مدينة جرش

أن جرش كانت مأهولة بالسكان في العصر النيولوثي (حوالي ٦٠٠٠ ق.م) ويبدو أن الكهوف المطلة على الوادي كانت مأهولة بالسكان في تلك الفترة ، أما في العصور البرونزية والحديدية فلم يعثر حتى الآن على أماكن سكن تعود إلى تلك المرحلة ، إلا أن من الطبيعي أن تندثر وتدفن أية بقايا لأماكن السكن إن وجدت ، بعد أن أنشأ الرومان مدنهم على تلك الأماكن !

إلا أنه من الصعوبة تحديد التاريخ الذي انتقل فيه هؤلاء الناس من مواقعهم المشار إليها إلى موقع البلدة الأثرية الحالية ، فالنقوش التي عثر عليها تدل على مزاعم متضاربة ، فبعضها يعزى إلى الإسكندر الكبير نفسه عندما اقتحم الشرق بجيوشه المظفرة ، وراودته فكرة توحيد العالم ودمج الشرق بالغرب وإنشاء مراكز في الشرق واستقدام جاليات يونانية إليها لتعميم الحضارة اليونانية - والبعض يعزو بناءها للجنرال - باريديكاس - في القرن الرابع ق.م ، كما ورد اسم بطليموس فيلادلفيوس الثاني أيضاً الذي غير وضع عمان إلى بلدة يونانية ، ولا يستبعد أن كل واحد من هؤلاء قد ساهم نوعاً ما في بناء جرش !

وتذكر النقوش المدونة في بركة السبيل - النطليوم ، أن هذه البلدة كانت تدعى باسم - انطاكية نهر الذهب - نسبة إلى انطوكيوس أحد الملوك السلوقيين ، أما نهر الذهب فهو اسم السيل المتدفق الذي ما زال جارياً حتى الآن ، وأما اسم البلدة الحالي - جرش - فمشتق من اسمها السابق جراسا !

أما الزيارة الشخصية التي قام بها الامبراطور - هادريان - لمدينة جرش (١٢٩ - ١٣٠ م) فقد كانت إيذاناً ببدء حركة جديدة من النشاط العمراني المزدهر ، فلقد كان من أبرزها تشييد قوس النصر تخليداً لهذا الحدث الجليل ، كما بدأ العمل في برنامج للتوسيع والبناء ، وما ... الحدث ... الرواميس ... والعطايا وإقامة الملاهي ونصب التماثيل .

وانتقلت مدينة جرش لتصبح من نصيب الدولة البيزنطية بعد انقسام الدولة الرومانية إلى قسمين : الدولة الرومانية الغربية ومركزها - كما هو - روما ، والدولة الرومانية الشرقية وعاصمتها بيزنطة .

ما بعد الفتح الإسلامي

وفي عام ٦١٤ ميلادية غزاها الفرس ، إلا أن الغازي هرقل لم يستمتع بنشوة انتصاره ، فقد داهمته جيوش الفتح الإسلامي مندفعة من الجزيرة العربية ، وفتحها قائد عظيم هو - شرحبيل بن حسنة - ..

ومضت السنوات تتعاقب عليها هزات وزلازل أهمها في عامي ٧٤٦ ، ٧٤٧ ميلادية ، وهي الزلازل التي هدمت معظم ما في المدينة من مبان !

وخفت صوت المدينة عقب هذه الكوارث ، وسبحت في بحر من الصمت ، حتى أن الشاعر العربي - لبيد القيسي - الذي عاش في زمن عمر بن عبد العزيز قال :

ألا ليت شعري هل أقودن عصبة
قبل ترب العالين مجودها
وهل أعرفن الدهر ما عشت محجة
معرضة الأقلاء يحجا خدودها
فضاحية صعر الذرى فتربعت
حمى جرش قد عاد عنها نبودها

تطل المنتصر

إن الليل علينا فأصف رحلتي من الزرقاء إلى عمان إلى جرش ولكني أشعلة هناك .. في مدينة الألف عمود .. في مدينة مصنفة ترحب بكل الناس دون أن تنظر إلى الهوية أو العنوان !!

نحن الآن أمام قوس النصر المعروف باسم : باب عمان : تتألف هذه البناية من قوس كبيرة مرتفعة في الوسط يبلغ ارتفاعها عن الأرض ٣٩ قدماً وعرضها ٢١ قدماً وعمقها إلى الداخل ٢٢ قدماً ، وتبدو على واجهتي البناء أعمدة بارزة في الجدار ، كانت تعلوها تيجان تشبه زخارفها أوراق شوك الجمل !

إلى يسار قوس النصر وجدنا فضاء واسعاً محاطاً بقايا جدار يتصل ضلعه الجنوبي بالواجهة الشمالية لقوس النصر .. إنه - الهيبودروم - وقد كان يحيط بهذه الساحة مقاعد يظهر منها حتى الآن بقايا صفين أو أربعة في الجانب الغربي ، وقد عثر عند طرفي القسم الشمالي على حجارة ذات ثغرات خاصة بلعبة البولو - الصولجان - يرجع تاريخها إلى الغزو الفارسي .

وقد كانت البلدة محاطة بسور يبلغ محيطه حوالي أربعة كيلو مترات ونصف

المسرح الجنوبي الكبير بعمارة رائعة

من الـزرقــاء إلى عمــان إلى جــرش إلى مدينــة الألف عمـود

الزخـارف الحجـريـة ونقـوش النـافـورة فـريـدة في نـوعهـا

الكيلو متر . ولهذا السور أهمية عظيمة لأنه يعطي فكرة عن جو المدينة وتقدمها . وقد صمم السور بحيث يشتمل على أبراج شبه مربعة الشكل يبعد كل برج عن الآخر مسافة خمسين مترا وكانت الغاية من بناء هذا السور حماية المدينة من الهجمات والغارات الفجائية لا لصد الحملات القوية المسلحة اذ لا يحيط بالسور خندق على غرار الخندق الذي ضربه الرسول (ص) حول المدينة .

وفي الندوة الرومانية أو « الفوروم » هذه الساحة المبلطة المتسعة لعلها أقرب إلى شكل حدوة الحصان ... ولهم فيها يرون مذاهب .. حاولت وصحبي تفسير الأمر ولم نجد له حلا .

يحيط بهذه الساحة أعمدة يبلغ عدد القائم منها خمسة وخمسين عمودا يعلو كل منها تاج على الطراز الأيوني . يرجع تاريخ بناء هذه الندوة إلى القرن الأول الميلادي .. كانت هذه الندوة تستعمل كمجمع عام (منتدى) يتداول فيه أهل هذه البلدة أمور بلدتهم بموجب امتيازات الحكم الذاتي الذي كانوا يتمتعون به . كما كانت بمثابة سوق عامة لهم تعرض فيها منتجات المنطقة والسلع المجلوبة والتي كانت تجر بهم من تدمر والحجاز .

وعندما وصلنا إلى المسرح الجنوبي والذي بني في القرن الأول للميلاد ، وعلى الجدار الكائن تحت مقاعد الصف السفلي لاحظنا عدة أسطر محفورة على الحجر باللغة اليونانية تعني أن ضابطا احتياطيا من جيش تيطس الذي حارب اليهود سنة ٧٠ م أقام تمثالا يرمز للنصر وأن هذا التمثال كلفه ٣٠٠٠ دراخمة وهذا مبلغ ضخم في ذلك الزمان . أما المدرج نفسه فيتألف من ٣٢ صفا من المقاعد الحجرية تستوعب أكثر من خمسة آلاف متفرج . ولا تزال المقاعد السفلى تحمل الأرقام التي كانت عليها ولعلها كانت تحجز سلفا من قبل النظارة كما هي العادة في المسارح الحديثة .

شارع الأعمدة

تابعنا سيرنا إلى شارع الأعمدة [illegible] والمستطيل [illegible] هذا عن وصف هذا الشارع وبهجة الشبه ، ولن شبهته بشيء فلن أشبهه إلا بشارع الشانزليزيه ولن أكون مبالغا .. مع الفارق الزمني طبعا !

يمتد هذا الشارع من الندوة العامة باستقامة نحو الشمال حتى البوابة الشمالية ويبلغ طوله ٦٠٠ مترا ، ويلاحظ اختلاف طراز الأعمدة القائمة على جانبيه فهي على الطراز الأيوني من البوابة الشمالية حتى مفترق الطرق الشمالي وعلى الطراز الكورنثي إلى الجنوب .. وعلى طول الشارع تمتد الأرصفة على الجانبين . وثمة أحواض للمياه أكبرها « السبيل » كما أحدثت فتحات على جانبي الشارع وتحت الرصيف تنساب منها مياه الأمطار إلى المجاري الواسعة تحت الشارع الرئيسي .

وتوجهنا من شارع الأعمدة إلى السبيل « النمفيوم » بعد سؤال أحد زملائي عن هذا الحوض ... ولعله أشبه ما يكون بالنافورة في وسط المدينة ، على هذا الحوض أسود تدفق من أفواهها المياه إلى مصارف تحتها ما زالت بادية ويظهر أحدها وقد صنع على هيئة أربع سمكات . أن الزخارف الحجرية والنقوش الظاهرة في هذه النافورة فريدة في نوعها لا يضاهيها بين آثار جرش دقة وجمالا وإتقانا وروعة أي منظر آخر .

ثم عطفنا في حديث عن هيكل « ارتميس » حامي المدينة الذي بناه في منتصف القرن الثاني الميلادي ، ووصلنا إلى قمة قيل لنا أنها الوحيدة الباقية من مجموعة قباب معلقة أخرى تبين لنا أنها كانت تستعمل كحمامات .

أما المسرح الشمالي فلم تمتد إليه أيدي التنقيب والحفر إلا على سبيل التسلية ويبدو أنه أصغر من المسرح الجنوبي ... بعد هذا كله خرجنا من الباب الآخر لهذه الحضارة العظيمة أنها البوابة الشمالية بشكلها الظاهر الآن والتي بنيت عام ١١٥ في عهد « كلوديوس سفيروس » نائب الامبراطور تراجان الذي جدد تعبيد الطريق من عمان إلى جرش . وهو قبو واسع كان جزءا من أساس فناء هيكل ارتميس .. شاهدت بعض القطع الأثرية التي عثر عليها بين آثار جرش كالنقوش الحجرية وقطع البلاط من الفسيفساء وبعض بقايا التماثيل .

وقيل لنا إن بعض موجودات هذا القبو قد وضعت في متحف الآثار الموجود في المدرج الروماني في عمان وبالفعل تحققت من هذا وشاهدتها في المتحف المذكور .

وقبل أن اختم حديثي عن هذه المدينة الأثرية العظيمة أرجو أن أنوه بأن هذه المدينة تمتاز بجمعها بين حياة المدينة والريف ، وأن أهلها يتمتعون بالعادات والتقاليد والقيم العربية الأصيلة ويرتدون الألبسة القومية التقليدية التي تعبر عن الأصالة والاحتشام وصدق الانتماء ، والركلم الآن لأتوجه وصحبي إلى أحد دواوين الضيافة لتناول المنسف العربي واحتساء القهوة العربية !

أسامة شهاب



وقائع عربية

محمد المنسي قنديل

الرحيل إلى أرض تميم

ماذا يتبقى في الرمل بعد عشرات السنين بعد أن خرجت منه عيون الماء إلى مصافاة ؟

صاح أحدهم والسيوف مازالت تصطك : ويلكم ، أما تملون القتال ؟ كانوا أيضا تملون غير تملون من القتال .. وخذلتهم امرأة عند أول منعطف !

تذكرت عملك يا أبي في الآثار القديمة .. لا صدى ، الربع خال ، والأحياء دارسة ، والصحراء صامتة ، وكرامتي لكم تصلا قلبي ، أتى ثالثة يا بني يربوع ، فمالي يا بني دارم ، تركتم يا حنظلة ، قلبت عوضي عند أول إثر ، ولم يزدني السفر إلا عطشا ، خرجت معكم في الغارات ، قتلت ولم آسر .. اقتسمت الأسهم وقت القتال وضاع نصيبي ، ذهبت إلى « الوقبة » فوجدت فرسان بكر يسلبون جثث قتلاكم ، وفي « جدود » لم أجد إلا الطيور السوداء وقد أتخمها اللحم الميت ، وفي « إياد » كانت كل الينابيع ملوثة بالدم .. وفي « الشاوة » .. و« الوقبى » .. و« الشيطين » ..

إلى أكرهكم ، صحوتم كل الربوع إلى مواقع ، وعيون الماء إلى مطايا ، وحصان العشق إلى صيحات الثأر ، فماذا يبقى في الرمل بعد عشرات السنين ، وهل هذا ذلك النفط الأسود اللزج إلا من عظام موتاكم ونخاع أحقادكم .. فلماذا لا تظهرون وتعدون تعوي كالسيل ، تغطون بشجرة البركم وتأتمرون بأمر أميركم ، تحاصرونني وتجلدونني ، وتطلبون فديتي من حشائش الأرض ..

تميم بن مر ، وعمر من نزار .. ولزاد من عدنان ، تتناسل الإبل ، وتتصارع الإبناء ، وتفرقت القبائل مع التضاريس ، كانت تميم ملك العرب ، وجهها لنجد الصحراء ، وظهرها للخليج ، أمامها قبائل ربيعة .. بكر وتغلب وشيبان .. وخلفها تضم من الأفواه الصادقين ..

كل مسالك العزيز الإيلولي ، ومطاوي في دهشة .. وقالوا ابني وأنت تكرهين ! أنت .. الصنم ويمركز خارج حاليته ، التاريخ ، تعدون أطلال الإمارة ، وتحاولون تتهمون المسافات مثلك ، وتخرجون فيها بحجم .. وتأتي إلى التسجيع الحجاز ، ألا أردت أيضا التوجه إلى مغارات الملح ، قلت في دهشة .. مغارات الملح ؟ .. في وسط الصحراء .. ؟؟ قالوا وهم يضحكون في تفاخر .. مع تميم عليك أن تتوقع أي شيء ..

كنت أعرف ذلك ، مع تميم عليك أن تتوقع أي شيء ، عندما شعروا بالضعف وقرروا أن يدخلوا الإسلام ، وتوجهوا إلى يثرب قال كبيرهم .. إن النبي يحرم الغزو - فماذا لو غزونا غزوتنا الأخيرة في الطريق لم تعلن توبتنا .. وفي الطريق إلى يثرب غزوا أحد القبائل ، واستموا القتال وجلسوا بين يدي الرسول .. سعداء .. شبعى .. وأعلنوا إسلامهم وهم يتنهدون في راحة ..

مع تميم عليك أن تتوقع كل شيء ، حيث انقسم المسلمون وجاؤوا عصر الفتنات مبكرا ، أقابل جمع من الخوارج مع جنود الخليفة الأموي ، وظلوا يتقاتلون النهار بأكمله ، وأطبق عليهم ظلام الموت والسيوف مازالت تصطك ، وقالت فئة منهم : ويلكم ، أما تملون القتال ، قالوا : لا حتى تملوا أنتم ، سألوهم : من أين أنتم ، قالوا : من تميم ، وتواصل القتال ..

مع تميم عليك أن تتوقع كل شيء .. يتقاتلون في غير زمن القتال ، ويهجمون لمجرد نزوة سانحة ، ويهزمون القبائل مجتمعة .. ولكنهم ينهزمون شر هزيمة أمام بطن واحد من البطون وهم الوحيدون منذ أن توالى الرجل والأنبياء الذين أخرجوا نبيا أنثى ، عندما جاءت سجاح بنت الحارث تهتف بهم ، أنا امرأة من بني يربوع .. وإن كان ملك فالملك ملككم ، وكان كل واحد من تميم يعتقد أنه حلقه في التكلم ، وتبعوا سجاح دون وعي ، كان النبي الحقيقي قد مات ، وأخرجت كل قبيلة نبيها الخاص ، ولكن النبي .. المرأة خذلتهم عند أول منعطف ، التقت مع مسيلمة الكذاب وقال لها .. « أتزوجك فآكل بقومي وقومك العرب » .. لتزوجته لأسباب بعيدة عن النبوة ، وكان صداقها أن رفع صلاة العشاء ، وصلاة الفجر عن كاهل قومها .. وجاءت جيوش ابن الوليد واجتاحت كل شيء ومع تميم تتوقع كل شيء ..

الرحيل إلى مغارات الملح ..

بدأت رحلتي إلى مغارات الملح ، لعل أحدا يدلني اليوم ، اشتعل الدم في عروقي وأنا أواصل الليل بالنهار ، كنت لا ألتفت خلفي حتى تتم سفرتي ، في الصحراء لا يلتفت إلا العاشق حتى يعود ، كنت أظل كل ما يفعله التائه ، أقلب ثيابي وأصيح في كل ناحية ، وأصفق ، وأهتف ، النجدة النجدة .. النجا النجا ، الساعة الساعة ،

الذي انفجر من مغارات الصحراء ، اعود الى اصحاب الوديان ، وكل سائبي الهضاب ، والنمل ثأرا لأثرى أخرى ..

وفي النهاية وصلت الى مغارات الثلج ، تركت خالتي والناس ومنبع الصدى في الخارج ، ودخلت لم القى سلاما ، ولم الق لعونا ، وحاصرتني العسة الثلج ، كنت محملا بعهد الصحراء ، وينضح من شمسها والمغارات مليئة برطوبة الزمن المتحجر ، هتفت بي تميم ثلاث مرات ، في الاولى جاوبني الصدى الباكي ، وفي الثانية عوت كل حيوانات البرية ، وفي الثالثة ظهر الفرزدق ، ابيض الوجه كما هو ، شاحبا كما لم يكن من قبل ، عباءته الدمشقية مغطاة بالثلج والتراب .. قال في عنوة كأنما كان يتوقع مجيئي :

ـ انا وتلك الى تميم .. فيالتي ومنافي ، سرت وراءه صامتا ، احتذاني فجأة الى عالمه الملحمي ، كأن مغارة الثلج كانت موجودة في داخلي ، كل شيء يتكسر هنا ضحيح للصمت ، أشار الفرزدق بيده ، جسد امرأة ممدد امامنا ، ذراعاها متقاطعان فوق صدرها والثلج يحيط بهما من كل جانب كأنه كفن رمادي رقيق وقال في صوت متهدج :

ـ هذه هي ، النوار ، زوجتي وابنة عمي المسكينة ، تزوجتها رغما عنها وليلة عرسنا

فرت أخلاق القبيلة من البقاء الرمليه .. لم يقتنع علماء ولا أبرواتها بعروقه الثلج الهجاء ، حاربت الحرب كنهم بلساني لكم انهم ظلوا ان يبقى ولكن الموت الجارحة في برغبة عضالي .. ولم يسهدو نعيمي ..

سرت خلفه صامتا ، لم يكن يبدو قانعا ، كان غيبيا الخا .. وقفنا حتى الانقاع ، اشار الى رجل آخر نائم في غلالة الثلج الرمادية وقال في همس خالف ..

ـ وهذا غليري ابن الفجاءة ، من الافضل الا تتكلم عليه والا هدم الخليقة الغارات فوق رؤوسنا ..

بدأت انظر في انوايه ، فلاذا كان هو الشخص الوحيد الذي يلي حيا ، وكيف قاوم الثلج والرطوبة ، اشار الى رجل آخر مفتوح العينين ينظر الينا في حنق .. قال متوجعا ...

ـ وهذا جرير ، عدوي وتوأم روحي .

كنا نلتقي خلسة بعيدة عن الجمع ، لنشرب سويا ونتناشد الاشعار ، فاذا افترقنا تهاجينا وتناقضنا كما يهوى العامة والسلطان ..

لم يفعلني صوته المتهدج ، كنت احس بتميم وهي تنتقص ، تضج من هذا التقادم الرسمي الباهت ، تسلا الغارات بضجيجها وصلها واحقادها البشرية ، وتصلح من كل هذا شيئا مثيرة باهتة ، جاء عمرو بن يربوع ، حكى لي قصة زوجه جانتي الغول ، كان سعيدا معها ، وكانت هي لا تخشى شيئا الا برق السماء ، ولكنها ذات ليلة فاجأها البرق فصرخت ، وارتدت عائدة الى عرش الصحراء ولو يرها بعد ذلك ، كان يتحدث عن جمالها الوحشي ، وعشقها الملئ بالشراسة ، وجاء بشارة العنتري الاعور حين حذر قومه من هجوم القبائل وبعث فلم يصدقوه وغرقوا فيه الاخرى ، ولهو متمم بن نويرة يبكي اخاه مالكا ، ان الشجا يبعث الشجا ، والعالم كله مقابر مقبرة ، كان مالك سيدا سمحا كريما ، وفي زمن الردة وقع اسيرا في يد خالد بن الوليد ، وحدث الخطأ المأساوي وقتل مالك ، وزادت فداحة الخطأ عندما تزوج ابن الوليد من زوجة قتيله حتى قبل ان تكمل عدتها .

كانت تميم تنهض ، وخيولهم تصهل ، يستعدون لبعث جديد ولغزوة جديدة ، وصدى الطبول يتردد عبر المغارات الوحشة تختلط بأصوات الثلج وهو يتقشره من كل اتجاه .. وجاء الى شبيري بن عبادة ، فتشق حسامه وهتف بي في حدة ..

ـ هل تذهب معنا الى « المشقر » ..

ولم اجب ، ولكن اصواتهم ارتفعت تهدر ، انتقلوا من الصمت الى الصخب في سرعة لتمييمة هائلة .. استفزتهم صرخة الحرب ونهضوا جميعا .. هيا الى « المشقر » سوف نبدأ من هناك ..

الرحيل الى زمن « المشقر »

على شاطئ الخليج ينتصب حصن المشقر ، بلا شموخ ، ولا وقار حصن عالي من ترسبات البحر ، والمحار الفارغ ، والطحالب الصلبة والصخور الجيرية ، بابه الخشبي عليه سلسلة حديدية صدئة ، والحصن كله مترب ، فيه عفونة دائمة تنبعث من سراديبه المعتمة التي لا يخلو من القتلى ابدا ، وكان « المكعبر » عامل كسرى على البحرين والشاطئ الشرقي للخليج كله الى عز عليه الا جمع من تميم عينا تطرف ، وظلت ينتظر مقدمهم من عرض الصحراء .

وكان عودة عامل كسرى على اليمامة ينتظر قدوم القافلة السنوية التي يرسلها كسرى انوشروان الى اليمن تحمل الاسلحة والادوات الجديدة وحكام الطعونات وكل ما يهم العملية الفارسية التي تحمل جبال اليمن الوعرة ،

وظل سير القافلة السنوية لا يتغير .. تخرج من المدائن في حراسة الاساورة حتى الحيرة، ويرسلها الملك النعمان بن المنذر في حراسة جنوده حتى تصل الى اليمامة .. فيحرسها هوذة وجنوده حتى تخرج الى أرض تميم لتتولى حراستها حتى حدود اليمن .. ولأن تميما لا تدين بالولاء الا لتميم فهي ولابد أن تقتص ثمن هذه الحراسة ..

ولكن هوذة لم ينس أبدا أن تميما قتلت أباه .. وانه سيجيء من أن يدرك ثأره .. وعندما وصلت القافلة تحمل الطعام والمال لفتا الفتارة تميم قال للاكاسرة ..

- انظروا الثمن الذي تدفعونه لتميم فاعطونيه وانا اكفيكم امرهم واسير بها معكم حتى تبلغوا مأمنكم ..

ووافقه الاكاسرة .. وجمع هوذة فرسانه ورفع الاعلام الفارسية .. وسار حتى أخفى اودية اليمامة .. ثم اوغلوا في ارض تميم .. ولكن الانباء سبقتهم .. حملتها ريح الصحراء الى تميم المترقبة .. ان يمنعوا من خطارة القافلة حتى اليمن اهدم امانة .. وان تمنع عنهم الاموال التي ارسلها كسرى فذلك ثأر لا يرده الا الدم ..

وهجمت تميم في غضبتها الضارية .. هزمت الاكاسرة .. وقتلت الحرس .. وسلبت العير واخذت هوذة اسيرا .. وكان قائد تميم اكثم بن صيفي الاسدي بسنواته التسعين .. ووجهه المتغضن الذي بالجروح جالسا في وسط الفارس يتطلع الى هوذة ..

- اخذت اجر غفارتنا .. وسلبت تميما حقها .. وسوف تكون عبالك هي الثمن ..

ارتعد هوذة وتبع آية المهدر الثأر امام عينيه .. قال :

- انا ثمنت الشهادة نفسي وعرفت غدارتكم ..

قال اكثم .. ليس اقل من للشهادة نفسي ..

سار هوذة وسط الرسان تميم الى هجر .. ذليلا .. حوله جمع من الاكاسرة المهزومين العراقي الشباب .. واخذت تميم كل ما في مراعيه من ابل .. كانوا للشهادة يتلقون غلاته .. ثم انطلق هوذة الى المدائن .. وكان كسرى يتميز غضبا وهو يتكمل وجوههم المهزومة .. قال لهوذة .. كم ولد لك ؟ قال : عشرة .. قال كسرى : فايهم احب اليك ؟.. قال : غائبهم حتى يقدم .. وصغيرهم حتى يكبر .. ومريضهم حتى يبرأ .. قال كسرى في سخرية ..

- الذي اخرج منك هذا العقل المجبرك حتى طلبت مني الوسيلة .. هؤلاء الذين قتلوا اساورتي واخذوا مالي هل بينك وبينهم صلح ؟..

قال هوذة ..

- بيني وبينهم حساء الموت .. هم قتلوا ابي .. والتقوني ذليلا الى بلدي ..

- كيف لي بهم ..

- ان ارضهم لا تطيقها اساورتك وهم يمتنعون بها .. ولكن احجب عنهم الميرة فاذا فعلت ذلك بهم سنة ارسلت معي جندا من اساورتك فاطعم لهم السوق .. فاذا اتوها اصابتهم خيلك ..

[illegible] ..

- من كسرى قد بلغه الذي اصابكم في هذه السنة وقد امر لكم بميرة فتعالوا وامتاروا ..

وصدقت تميم لانهـا كانت تريد أن تصدق .. وانساها الجدب العلم .. هرعوا جوعى الى « المشقر » ووقفوا امام بابه الضيق، وجاءت اوامر الحرس الا يدخلوا الا افرادا واحدا خلف الاخر .. وفتح الباب الضخ صيقة فدخل اولهم .. ثم فتح من جديد ودخل الثاني .. وفي الجو رائحة غريبة .. خليط من سطوة القلق ورائحة الصحراء .. ودخل ثالث .. لم يبق الا الاحساس بالجوع والشوق من فضل مجدب آخر .. ودخل رابع .. وخامس .. وسادس .. ولم يعد هناك من يحصي .. والاسل تتلو في عنف .. ما اغرب ذلك الشبح الذي يجعلهم يدخلون ولا يخرجون .. واخر .. واخر .. كان

حملت ريح الصحراء الأنباء .. فهجمت تميم في غضبة عارمة !

خيري بن عبادة يتأمل ما بقي حوله من جوعى تميم .. يدخلون ولا يخرجون .. تأمل الشيوخ والاطفال .. يدخلون ولا يخرجون صرخ ..

- ويلكم .. اين عقولكم .. فوالله ما بعد النهب الا القتل ..

جرى ناحية الباب .. وامتدت يد احد الحراس يحاول أن يمنعه .. ولكنه هوى بالسيف فقطع يد الفارس وقطع السلسلة التي على الباب .. فاذا امام رؤوسا مبتورة .. ودم على الارض .. وذبيحة مقذوفة .. واذا هوذة قد ادرك ثأره كاملا .. وصرخ خيبري بالتميم .. الفرار .. الفرار ..

الى اين ..؟

من الجحيم الى الجحيم .. من المشقر الذي بالجثث الى المضارب المليئة بالارامل والثكالى .. الى الصحراء وقبائلها المعادية .. الى اين ..؟

الرحيل الى زمن « الكلاب »

في اول ليلة من ليالي الحزن جلسوا وسط المضارب الخالية .. بلا فرسان بلا دروع ولا فتوة .. وجلس حكماء تميم دليلة واكثم بن صيفي وسطهم معطفا .. محنى الظهر .. قال :

- اوقع بنا كسرى واوهن قوانا .. وان الناس قد يبلغهم ما لقينا واخاف ان يطمعوا فينا .. واني قد قاربت المائة .. وقلبي بضعة من جسدي تنحل كما تحل جسدي .. وبعد اليوم لن نقدر على الغزو .. ولن يخرج للرعي الا الفتيان .. فليمرض كل واحد رايه فاني متى اسمع الحـزم اعرفه .. كانوا بقايا حطام .. يهذون بلا جدوى .. واكثم صامت .. حتى قال النعمان بن جساس ..

- لننظر الى اي ماء نجمع حسوكم .. لا يعلم الناس اين هو حتى تقوى وتشتد وتشفى كل جروحنا ..

ووافق اكثم .. رحيل شامل لكل ما بقي .. لا يبقى الا الطلل الخالي .. الى ماء يقال له « الكلاب » يحميه جبل عال .. ويفصلهم عن بقية القبائل المعادية مفازة موحشة .. حطوا رحالهم والتفوا حول بعضهم وتناسوا كل الخلافات القديمة .. والتفاخر الاحمق بالانساب وكان في « الكلاب » نوع من الفراء لكل الارامل والثكالى .. وحدة الزمان قليلة وعدان حدة القبلة ..

وعن بهم مسافر من مذحج .. اثاره رؤية الفتيات اللاتي يلعبن بالرعي والاسل

التي بدأت تستزد قواها - وانطلق من فوره الى قبيلة وحلف بهم ..

- هل أكثر من جارية عذراء ومهرة شوهاء وبكرة حمراء - تلكم تميم أقبلت مطروحين عن ماء « كلاب » ..

كانت القبائل قد انهكها البحث عن تميم لقد وجدوهم اخيرا - ضعفاء كما لم يكونوا من قبل - وسارت الرسل من مذحج الى قضاعة الى بقية القبائل المتحالفة - صاح كاهنهم - لا تغزوا .. فلم يسمع اليه احد - لا احد يبالي بالنبوآت عندما تتعارض مع المصالح .. وغدت تميم .. مهيضة [illegible] مكتوفة ..

خرج اربعة من قادة القبائل اليمنية - كل قائد معه الفان من الفرسان - ثمانية آلاف مجتمعة - ومعهم عبد يغوث - شاعر بني الحارث وفارسهم - كأنه جيش وحده - وساروا جميعا يبغون القضاء النهائي على تميم ..

وبدت طلائع الجيش - فزعت تميم - [illegible] من قبل تجمعا بهذه الضخامة - كان [illegible] ابن صيفي يحتضر - وتلفتت تميم [illegible] غيره .. فرجعوا اليه ..

- حقق لنا هذا الامر فانا قد رضيناك رئيسا ..

قال أكثم وهو يلتقط انفاسه في صعوبة

- لا حاجة لي في الرئاسة فان الموت في انتظاري - ولكن اشير عليكم - لتنزل حنظلة بالدهناء - وسعد ورباب بالكلاب - فان الطرفين اعتد اليوم كل احدهما صاحبه ..

كانت هذه هي وصاياه الاخيرة ..

- اقلوا الخلاف على امرائكم - واعلموا ان كثرة الصياح من الفشل - يا قوم تثبتوا فان احزم الفريقين الركين - واتزروا للحرب، وادرعوا الليل فانه اخفى للويل - ولا غز اخواء لهن - البسوا جلود النمور والثبات اصل من القوة - واهنأ الظفر كثرة الاسرى، وخير الغنيمة المال - ولا ترهبوا الموت عند الحرب - فان الموت من ورائكم - وحب الحياة لدى الحرب ذل .. ومن خير امرائكم النعمان ابن جساس .

وتقدم النعمان ليمثل بيد اكثم ولكنها [illegible] [illegible] ولم يكن هناك [illegible] ومذحج [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] واديروا [illegible] [illegible] [illegible] حنظلة الى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من المجوع .

[illegible] والتم [illegible] فقد اتت الخيل عصبا عصبا وثبتت الاولى للاخرى حتى تلحق بها فان امر القوم هين - وان



لحق بكم القوم فلم ينتظروا الحكم حتى يردوا الابل ولا ينتظر بعضهم بعضا لان الحر الشديد ..

واعتصرت تميم - واشتبت من اطرافها سرعة النهي وحدها اخترقوا مذحجا وسلوانها حتى وصلوا الى الابل وكل واحد يحارب كأنها معركته وحده في مواجهة كل القبائل. وصرخ النعمان بن جساس :

- يا آل تميم لا تقاتلوا الا الفرسان فان الرجالة لكم ..

ولكنه قتل في نهاية اليوم - واستعدت تميم وباتوا طوال الليل يحرسون بعضهم بعضا وظلت مذحج ان الصباح الجديد سوف يحمل الهزيمة لتميم وفوجئت تميم بنفسها وهي تنتصر .. حتى عبد يغوث سقط اسيرا في يد فتى من بني عمرو - ما لبث ان اقتاده مسرورا الى امه - فرأت الاسير عظيما جميلا - فسألته - من انت ؟ قال عبد يغوث في خجل - انا سيد القوم - وضحكت الام وهي تقول .. قبحك الله من سيد قوم حتى اسرك هذا الاهوج .

وتواصل القتال - كان تميما يتقاطف [illegible] - كان كل عواملها [illegible] ويدفعن [illegible] الى المعركة .. فيكبرون ويتفقدون ويتمسحون بدم القتل - وصرخ عبد يغوث - يا بني تميم - اقتلوني قتلة كريمة .. فسقوني خمرا ودعوني انح على نفسي - ووضعوا امامه دنان الخمر .. وقطعوا عرق الاكحل .. وتركوه ينزف ويعود ويرثي نفسه ..

الا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا

فما لكما في اللوم خير ولا ليا ..

كانت تميم تنتصر - انتصارا رائعا وغريبا - والثلج يذوب في مغارات الثلج وعبد يغوث يموت - والليل مذحج ينسحب. وانا اعشق تميما - فمن يحمني بالعشق بعد الكراهية - لا ابالي ان هزمتهم بطون مضر - او شربت عليهم حرب الردة .. لا ابالي الطعام وشتمهم الاسنان وكراهية المؤرخين لهم - الطبري والاصفهاني وابن الاثير والمسعودي .. فانا اعشقهم - اعشق اخطاءهم الزائدة - وكثرة الشواذ والمتمردين منهم وابتعادهم عن الخلاف المنح وكراسي الحكم واستغلال الرواة ومنتحلي الاشعار - اعشقهم رغم حصار التاريخ الرسمي - ولا اتوقف عن السفر الى ارض تميم .

محمد المنسي قنديل

حكاية صغيرة

الحطاب الذي يحلم



كان الحطاب نائما عندما جاء الوزير الاول وركله في ظهره ركلة قاسية .. استيقظ الحطاب مذعورا .. وزاد ذعره عندما شاهد الوزير امامه وهو يقول :

ـ مولانا الملك يشعر بالبرد الشديد .. وهو في حاجة الى بعض الاخشاب .. ولم يصدق الحطاب اذنيه .. طار النوم منه كعصفور .. الملك يطلب منه هو دون باقي الحطابين في المملكة .. حمل فأسه وذهب الى الغابة .. كانت الغابة تحتضن حلما اخضر .. وقال الحطاب دون اسف حقيقي للاشجار .. اني حزين .. ولكن الملك يريدكم .. ارتجفت الغصون وتجمدت العصارة رعبا .. وفكر الصياد .. سوف يكافئني الملك .. ستدهشه مهارتي فيجعلني وزيرا .. وفي كل مملكة اوطر له الدفء .. كانت الاشجار تترنح .. والعصافير تهوى .. والفراشات تتمزق اجنحتها .. والحيوانات تفر في ذعر .. لا يعني الا الصيد .. بما انني وزيرا .. ساغدو وزيرا .. وكان الحطاب يزيد من قوة ضرباته ..

وفي المساء .. كانت الغابة كلها كومة كبيرة من الخشب في فناء الملك .. كان الجو شديد البرودة .. وكان كومة الخشب كافية لتدفئة دولة بأسرها .. وعاد الحطاب الى كوخه سعيدا .. والتصق هو وزوجته واطفاله الثلاثة جميعا لانه لم يكن في الكوخ قطعة خشب واحدة .. ونام الحطاب حتى الصباح وهو يحلم احلاما جميلة ..

وبعد عدة ايام كان الحطاب لايزال حطابا وجاء الوزير الاول وركله بقسوة وقال له بزلة .

ـ مولانا الملك مازال بردانا وهو في حاجة [illegible] الاخشاب [illegible] في [illegible] ووقف [illegible] الخشب .. وملكات [illegible] الاعمال واضحة .

سار الحطاب بفأسه الى آخر الاعمدة الخشبية في المملكة .. اقتلع اعمدة الكهرباء والتليفونات واشارات الطريق وحوامل الاعلانات وحواجز الطرق وكل ما يربط المملكة بممالك الاخرى .. وفكر الحطاب .. سيكتشف الملك مهارتي وحسن تصرفي وسيجعلني وزيرا بالتأكيد .. كانت المملكة تغرق في الظلام الدامس .. والمرة بتكاتف على جلدها العاري .. وتكونت كومة من الاخشاب في فناء القصر .. لم تكن كبيرة كالاولى .. ولكنها كانت كافية لتدفئة الملك والحاشية والامراء والقادة .. وذهب الحطاب الى زوجته واولاده الثلاثة وناموا جميعا في الظلام وحلم الحطاب انه قد اصبح بالفعل وزيرا ..

وبعد عدة ايام كان الحطاب مازال حطابا وجاء الوزير وركله بقسوة وقال له بزلة

ـ مولانا الملك بردان .. من غيرك يقدر على ان يأتيه ببعض من الخشب ؟

ونهض الحطاب متعبا .. الغابة خالية والشوارع مقفرة .. والبيوت مظلمة .. والبرد يعض كل شيء .. وعيون الناس تحدق فيه بكراهية .. لانهم ندام الملك راضيا عنه .. وعندما يصبح وزيرا سيمحو كل هذه النظرات بالحب .. ولكن عليه اولا .. ان يجد الملك ما يطلبه .. في .. لا يدري ..

سار طويلا في الشوارع .. حتى الجميع الله يدريه احد .. واختفى الاطفال من طريقه .. هذه هي المرة الثالثة .. الاختبار الشاق .. لو فشل سيضيع كل ما فعله من قبل .. عاد الى كوخه .. الى زوجته واولاده الثلاثة .. نظروا اليه .. لم يكن يعني شيء .. لا وعدا .. ولا اعتذارا .. ولا اسفا .. فاس .. مجرد فاس حاد .. رفعه وهوى به على الكوخ .. صرخ الاطفال ولكن الهم شملهم الى جدرانا وابتعدت .. وقال هو يهدم .. ويهذي .. ويهذي .. هذه المرة .. سوف يقدر الملك تضحيتي ..

وبعد فترة تحول الكوخ .. والاسرة .. والمقاعد الى كومة صغيرة من الخشب في فناء القصر .. كومة صغيرة ولكنها كافية لتدفئة الملك على الاقل .. وقال الحطاب وهو ينصرف .. يكفي الشيء عونت عليه هذه الشتاء القاسي ..

عاد الى كوخه .. الى حيث كان يوجد كوخه .. زوجته واولاده الثلاثة واقفين في العراء ينتظرون عودته .. لم يكن هناك وقت للوم .. او للعتاب .. او حتى للاستفهام .. التفت الخمسة حول بعضهم وناموا جميعا على الارض وفوقهم غطاء ممزق .. وريح باردة وسماء بعيدة وملك دافيء ووزير قاسي الركلات .. والناس عيونهم كلها كراهية .. وحاول الحطاب ان ينام لكن الصغير نظر اليه وعيونه مليئة بالرعب .. فقال الحطاب

ـ لو مرت هذه الليلة دون ان نتجمد من البرد فسوف نصبح وزيرا غدا ..

(م . ح)

البروتين من النفط .. هل هو أمل أم حقيقة ؟

د. فاروق محيسر

ان معدلات الزيادة في عدد سكان العالم تفوق معدلات انتاج الغذاء ، ولذلك فان حوالي ٧٠ بالمائة من السكان يعانون من نقص الغذاء او من سوء التغذية او من كليهما . والبروتين هو اهم عناصر الغذاء فهو ضروري لبناء خلايا الجسم ووقايتها من الامراض ، ويقدر النقص حاليا في البروتين الطبيعي في العالم بحوالي عشرة ملايين طن سنويا .

البروتين الطبيعي

البروتين الطبيعي نوعان ، بروتين حيواني يوجد في اللحوم والسمك والبيض والالبان ، ويحتوي على اهم الاحماض الامينية اللازمة للانسان ، وبروتين نباتي يوجد في البقول والبذور والحبوب ، ويفتقر الى بعض الاحماض الامينية الموجودة في البروتين الحيواني ولذلك فان قيمته الغذائية منخفضة ، وسكان البلدان الغنية يحصلون على قدر كاف من البروتين الحيواني ، اما الدول النامية فان شعوبها تعتمد في معظمها على البروتين النباتي .

ولا يقتصر استهلاك البروتين الطبيعي على الانسان فقط ، ولكن الحيوانات المجترة والدواجن تستهلك كمية كبيرة اخرى على هيئة اعلاف تعتمد على البذور الزيتية مثل فول الصويا ، ومثل مسحوق السمك ، والحيوان المجتر يلتهم اربعة اطنان من البروتينات النباتية لكي يعطي طنا واحدا من البروتينات الحيوانية .

ونقص الوارد من البروتين الطبيعي يمكن ان تساهم في سد جزء من العجز البروتيني لسكان العالم في حالة ايجاد مصدر بروتيني آخر مناسب ، ولذلك بدأ التفكير في انتاج البروتين الصناعي .

البروتين الصناعي

في الخمسينات من هذا القرن اكتشف ان بعض الكائنات الدقيقة وحيدة الخلية يمكن ان تنمو بسرعة فائقة على مخلفات النفط ، ووجد ان هذه الكائنات تحتوي على نسبة كبيرة من البروتين عالي الجودة ، وقد كان ذلك بداية الاهتمام بانتاج البروتين الصناعي



النفط ، البروتين وحيد الخلية ، .

واهم الكائنات الدقيقة التي استخدمت هي البكتريا وفطريات الخميرة وهي يمكن ان تنمو على المخلفات النباتية العضوية مثل الولاس، وكذلك على الهيدروكربونات من النفط والغاز الطبيعي اما بصورة مباشرة باستخدام البرافين والميثان ، او بصورة غير مباشرة باستخدام الميثانول والايثانول .

وتوجد مصاعب عديدة في استخدام المخلفات النباتية حيث ان كمياتها محدودة وتركيبها غير ثابت مما ينتج عنه اختلاف في تركيب الناتج ، اما استخدام هيدروكربونات النفط والغاز الطبيعي فقد اصبح اهم اتجاه في العالم لتوفير المادة الخام ونبات مكوناتها . واهم المواد الخام التي اعطت نتائج مشجعة هي البرافينات حيث امكن استخدامها على المستوى التجاري .

وتتلخص هذه الطريقة الانتاجية في تغذية فطريات الخميرة على البرافين العادي وبعض المعادن والامونيا حيث يتم تكاثر هذه الكائنات بسرعة فائقة ، ثم تفصل هذه الكائنات وتجفف ، ونسبة البروتين بها تتراوح بين ٦٠ - ٧٥ بالمائة .

وتتكلف انتاج الطن الواحد من البروتين وحيد الخلية حوالي ٦٠٠ دولار وهو يعتبر غاليا بالمقارنة بسعر الطن من فول الصويا وهو حوالي ٤٥٠ دولار ، ولكن نسبة البروتين فيه اعلى من فول الصويا التي تحتوي على ٤٧ بالمائة فقط من البروتين ، زيادة على ان مصنع انتاج البروتين وحيد الخلية يمكن اقامته خلال ثلاث سنوات ، في حين ان التنمية الزراعية تتطلب المعاناة عدد الى .

للحيوانات فقط

البروتين وحيد الخلية يحتوي على بروتين يصلح لتغذية الانسان والحيوان ، ولكنه غير مقبول كغذاء آدمي وجميع التجارب التي اجريت عليه حتى اليوم كانت في استخدامه كمصدر بروتيني لتغذية حيوانات المزرعة ، ويضاف بنسبة ٥ - ١٠ بالمائة في علف الابقار والدجاج ، كما يضاف بنسبة ٤٠ بالمائة في غذاء الاسماك ، وتغذية الحيوانات المجترة عليه غير اقتصادي لارتفاع ثمنه ، ويجب ان يكون الاستخدام الرئيسي في تغذية الدواجن ، وفي هذا المجال يطلوه يحتاج العالم العربي الى حوالي ٣٠٠ الف طن سنويا من البروتين وحيد الخلية ، وقد اثبتت التجارب ان هذا النوع من الغذاء لا يقل في اهميته عن مصادر البروتين الاخرى وهي فول الصويا ومسحوق الاسماك .

موقف الهيئات الصحية

اجريت العديد من الاختبارات على البروتين وحيد الخلية اثناء انتاجه واثناء استخدامه

البروتين وحيد الخلية يحتوي على بروتينات لا تصلح لتغذية الإنسان والحيوان لأنه غير مقبول كغذاء آدمي

وتشير التقارير الى ان الاختبارات التي اجريت عليه لم يسبق تطبيقها على اي غذاء آخر للانسان او للحيوان ، وتوضح النتائج ان نسبة البروتين فيه تتفوق على نسبته في فول الصويا .

ويوجد في بريطانيا مصنع منتج بطاقة اربعة الاف طن سنويا ، يتم تسويق انتاجه منذ عام ١٩٧٣ في دول السوق الاوروبية المشتركة فيما عدا ايطاليا ولوكسمبرج ، ويوجد انتاج في الاتحاد السوفيتي ولكن المعلومات غير متوفرة عنه .

وبالرغم من ذلك فان الهيئات الصحية في العالم ليست مجمعة على صلاحية هذا البروتين كغذاء للحيوان الذي سوف يستخدم لغذاء الانسان . فقد توقف في ايطاليا اكبر مشروعين في العالم لانتاجه وطاقتهما ٢٠٠ الف طن سنويا بسبب عدم موافقة الهيئات الصحية ، ولهذا السبب ايضا اوقفت اليابان وفرنسا ورومانيا مشروعات اخرى ، ويدور الشك ايضا حول امكانية حدوث تحول ما في تركيب هذه الكائنات الدقيقة يجعلها خطرة على الصحة ، وحول احتمالات حدوث مرض السرطان .

وتزعم الشركات المختصة بان توقف الانتاج يرجع لاسباب سياسية وتجارية وليس لاسباب صحية ، وبالرغم من انها لا تنكر وجود بقايا ضئيلة من البرافين في دهن الحيوان الذي يتغذى على هذا المنتج ، فهي توضح ان ذلك غير ضار بصحة الانسان الذي يتغذى بهذه الحيوانات .

وخلاصة القول ، انه يمكن حاليا انتاج البروتين وحيد الخلية على المستوى التجاري بواسطة عدة طرق انتاجية اهمها استخدام نباتات القصيرة والبرافين المستخرج من النفط ، ولكن استخدام هذا النوع من البروتين كمصدر بروتيني لتغذية حيوانات المزرعة مازال يتارجح بين الامل والحقيقة ، حيث يشوبه الشك في بلدان كثيرة في العالم ، ولعل الهيئات الصحية في العالم تستطيع الوصول الى راي حاسم في صلاحية هذا المصدر البروتيني الهام .

اخبار ثقافية من فلسطين المحتلة

● خليل السواحري

● كتب جديدة

عن دار الكاتب في القدس صدر كتاب ــ جنينات ــ لمؤلفه محمد كمال جبر ، ويتضمن ثلاث مسرحيات من ذوات الفصل الواحد ، وقد حاول الكاتب من خلالها تطوير الشكل المسرحي المحلي بمضامين جديدة متخطيا الاطر الكلاسيكية لمسرح الحكاية في رصده لمشاعر الخوف عن تحقق الصدام الداخلي والخارجي .

● الوجه والمجيزة

عن منشورات الصوت في عكا صدر ــ الوجه والمجيزة

والمجيزة ــ للقاص احمد حسين شقيق الشاعر راشد حسين وبعض هذه القصص نشرها احمد حسين في مجلة ــ الجديد ــ تحت اسم مستعار هو احمد نافع وبعضها نشرته مجلة الشراع .

● رحلة الهمج والعشق

صدر عن مطبعة المجمع في الناصرة المجموعة الشعرية الاولى للشاعر الفلسطيني محمد ... تحمل عنوان ... رحلة العشق والهمج

● جعفر ينهض من غفوته

عن منشورات الاسوار في عكا صدرت مجموعة اعمال للشاعر عبد الحكيم سمارة وهي بعنوان (جعفر ينهض من الغيرة) والمجموعة عبارة عن قصيدة مطولة .

● طليعة الفكر التقدمي

صدر عن منشورات الاسوار في عكا كتاب « طليعة الفكر التقدمي والثقافة الوطنية » ومن بين الذين تناولهم الكتاب : فدوى طوقان ، غسان كنفاني ، محمود درويش ، سميح القاسم ، علي الخليلي ، حنا ابراهيم ، محمد نفاع ، ممدوح عدوان ، محجوب شريف ، محمد كمال جبر ، زكي درويش ، فاروق المواسي ، يوسف العيد ، فاضل جمال علي ، ب . خليل احمد خليل ، د . نوال السعداوي والمحامي عمر الفزاوي .

● منشورات صلاح الدين

من منشورات دار صلاح الدين في القدس صدر حديثا كتابان هما الحركات الاجتماعية في الاسلام للدكتور اميل توما ، والغاني الحجل والعمل في فلسطين لعلي الخليلي .

● المجلات

● العدد ٥ و ٦ من مجلة البيادر

صدر في القدس العدد الخامس والسادس من مجلة البيادر ويشتمل العدد على عدة دراسات متنوعة وقصص قصيرة وقصائد واخبار ادبية وثقافية وعلمية . ومن ابرز الدراسات فيه مسح تاريخي لربع قرن (١٩٢٣ ــ ١٩٤٨) من نضال الطبقة العاملة الفلسطينية ، ومقالة للدكتور المسعدي شومان حول البنائية وعلم اللغة الحديث ، ومقالة الفن في الزمن الحقيقي لكمال بلاطة ، اضافة الى عدة مقالات اخرى وقصائد لحمزة غنايم وعبد الناصر صالح ومحسن ابو لبدة وندوة حول ازمة المسرح المحلي في المرحلة الراهنة ، هذا وقد اشارت افتتاحية العدد الى ان صدور عددين في عدد واحد هو بسبب الضائقة المالية والفنية التي تحاول المجلة تجاوزها في المرحلة الحالية .

● العدد الثاني من مجلة الكاتب

صدر العدد الثاني من مجلة الكاتب التي يراس تحريرها الشاعر اسعد الاسعد ، محتوية على عدد من الموضوعات من بينها : ندوة حول سيمفونية غريب عسقلاني .. الخروج عن الصمت ودراسات لمحمود امين العالم وسليمان بشير ومحمد ايوب .

وقصص لكل من زكي العيلة وفضل الريماوي ويعقوب اسماعيل وسميح البرغوثي واكل الخضمان وقصائد لكل من خليل توما ومحمد الاسمر ووليد الهليس . بالاضافة الى المراجعات والزوايا النقدية والفنية .

● ندوات

● محاضرة علمية في جامعة النجاح

القى الدكتور صالح لعدان محاضرة عن علم الاناسيب بدعوة من مجلس طلبة جامعة النجاح ، وقد لقيت المحاضرة اهتماما واسعا واثارت نقاشا علميا .

● لقاء ثقافي في جامعة بيت لحم

اقام النادي الثقافي في جامعة بيت لحم بالتعاون مع مركز ابريق المعلمين ــ رام الله لقاء ثقافيا تضمن عدة فقرات .

● ندوة في جامعة بير زيت

اقيمت في جامعة بير زيت ندوة تحت عنوان ــ الوحدة الوطنية ــ تحدث فيها كل من رياض المصلح وهاشم ابو خالد ويوسف فرحات وصلاح المصري حيث ركزوا في كلماتهم على ضرورة الوحدة الوطنية بما يخدم واقع القضية الفلسطينية في هذه المرحلة .

● محاضرات حول الشعر الفلسطيني

نظمت اللجنة الثقافية لنادي الهلال المقدسي في القدس محاضرة للدكتور عبد الحليم زهد حول الشعر الفلسطيني في ميزان النقد الادبي ، وحول المناهج الادبية في نقد الشعر الفلسطيني ودعا المحاضر الى النقد الموضوعي النابع من تراثنا الاصيل .

ونحن نبدأ عام ١٤٠٠ هجرية (٢)

أمير شعراء العربية بين الشعر والتاريخ



أحمد شوقي

وشوقي في هذه المجموعة « دول العرب وعظماء الاسلام » يجول ويصول فيفتن العقول ولاني أحب أمير شعراء العربية تمنيت ان أقول :

وشوقي في هذه المجموعة « يرود ويجوب فيفتن القلوب » ·· ولكن للحق فان النزعة التعليمية التي غلبت هذه المجموعة والطابع الارشادي الذي ألبسه جعل علاقتها بالعقول أملا وأثبت وصلتها بالقلوب أهنا وأخفت !

من أجل هذا لا يسلم البعض ـ وأنا منهم ـ أن « بريخت » بالمونولوجية المسرحية مفتنين « تشي وثامر » ·· وكلاهما سباح ماهر غير أن الأول يغوص في بحر المجتمع ·· والثاني في بحر النفس الانسانية ··

ومن أجل هذا سيعيش « تشيخوف » في ذاكرة الاجيال أكثر من « جوركي » مع أن الأول يهمس ·· والثاني يصلصل كالجرس ! ولكن يبدو أن الهمس الداخلي والاشادة الخافتة يربحان أذن وعين الانسان مهما اختلفت المجتمعات وتباين اللسان !

ونعود الى « شوقي » ـ معتذرين له ـ عن هذه الانطلاقة ·· وان كان هو موجبها باعتبار الحديث عن الطابع التعليمي الذي غلب على مجموعته التي بين يدينا ·· وهذا الطابع نجده أوضح ما يكون في النصف الأول منها الذي يقدم « الجردات » ـ دول العرب ـ عكس الثاني ـ عظماء الاسلام ـ الذي يكثر فيه التحسب والتشخيص

وكمثال لهذا الطابع التعليمي والنزع الارشادي يقول شوقي في قصيدته « لغة العرب » :

لسانك الاول في الكتاب
ولغة الصبوة والعتاب
فخض عباب فقهه وسره
وغص على صميمه ودره
لا ترض منه مبلغ الرعاع
وحصة الاعمى من الشعاع
وأخل علوم السلف والاعلام
فانهما معالم الكلام

و[illegible] « حافظ » قصيدة شهيرة
[illegible]
[illegible]
على لسانها :

أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي
وسعت كتاب الله لفظا وآية
وما ضقت عن آي به وعظات

شوقي يفتن العقول ·· وحافظ يفتن القلوب والاثنان شاعران خالدان في فم الزمان ·· وان قصر رداء أحدهما عن الآخر في موضوع اشتركا في وتوجه وتشبيه ·· فقد طال رداء كل منهما في كثير مما انفرد به وصار له السهم النافذ فيه وقبل أن نغادر هذه القصيدة نتوقف عند « بيت » فيها ·· لفت اهتمامنا فاعدنا قراءته ودخلنا من خلاله الى فترة من تاريخ « مصر » كان الجديد فيها يرفض لمجرد انه جديد فترة اشتهرت بالضجة التي أحدثها « طه حسين » أو أحدثها كتابه « الادب الجاهلي » ·· وكتاب ثان عظيم « الاسلام وأصول الحكم » ـ علي عبد الرازق ـ الذي رد فيه أمر حكم المسلمين الى أصلحهم ولاية ·· وأكثرهم اتباعا ·· وأسف شديد فان الكتاب لم ينقد من خلال منطق علمي أو « ديني » ·· أو « تاريخي » بل كان الهجوم عليه من خلال الدفاع عن « شرعية » فؤاد ملك مصر « سلطانها في ذلك الحين » ·· وهو كتاب قيم يحق ·· والتمنى لو يعيد قراءته من سبق اليه ويبحث عنه من لم يقع في يديه ··

في هذه الفترة التي كان الجديد يواجه فيها صماصية شديدة وتقريرا وازورارا ·· اشتهر من هذه الفترة أعلام « معطلون غير مقيقين لما اعتقدوه » ·· أو غير هاضمين لما قرأوه وبالتالي غير مشفقين اليه ·· وأمثال هؤلاء يكونون بسلوكهم وادعاءاتهم حربا على الجديد الذي هو « هم » !! وقد قيل « أقصى اليسار هو أقصى اليمين » باعتبار المردود والناتج ·· والى أقصى هذا اليسار يشير « شوقي » في ختام قصيدته عن « اللغة العربية » الى « شبلي شميل » محذرا من طريقته في التداء الجديد فحبيبه الصاد « وحصيدة رشاد » ورايسانه تقي الايمان ·· وأين ؟ ·· في مصر حضن آل البيت ورواق الازهر ومزارات الاولياء الصالحين ·· ولما كان لا غنى لنا عن الجديد وجب أن نمشي في طريقه بحذر نميل نحو ما يلائم ونتحرف عن غيره وعلى حد قول شوقي :

بين الجديد والجديد ميل
لا تتبع طريقة « الشميل »

والمقصود هو الكاتب والمفكر والطبيب « شبلي شميل » أحد أعلام مجلة « المقتطف » التي كانت ذائعة الصيت في الجيل قبل الماضي وكان « شبلي » صاحب مذهب في التجديد يعتمد على ما كان يذاع من آراء

حول فكرة النشوء والارتقاء .

ويختم شوقي قصيدته عن اللغة العربية بنصيحة أخرى وأخيرة يحذر من الخلط بين الثقافات في محاولة تلفيقية تجعل مقتنيها يحجل في مشيته بين هنا وهناك :

لا تزلط الاعجام بالاعراب
تحجل - وقاك الله - كالغراب

ثم ينتقل الى قصيدته عن «التاريخ» مؤكدا انه نشأ في احضان الاحجار وخرائب المعابد والآثار .. يقول

قد نشأ التاريخ فيحجر الحجر
بفتح الحاء

وشب ما بين الكهوف والحجر
بضم الحاء

اليس في الصخر وفي الاديم
جل حديث العالم القديم ؟

ومن خلال انتقالنا مع قصيدة « شوقي » عن التاريخ من بيت لبيت يتضح لنا مفهومه للتاريخ وهو « حكاية ما حدث » .. تعريف كما نرى غاية في البساطة ومع ذلك فلا لوم على شوقي والترحيب فهو ليس بالمنظر التاريخي .. هو شاعر يبسط على كل العلوم والنشاطات روحا سحريا لا تبرق له بالتعقيد والتقعير ولهذا فلن ننتظر منه ان يتبنى نظرية « اكتون » التي بسطها في « تاريخ كمبردج الحديث » .

ومؤداها ان « التاريخ » عملية « استصلاحية » وليس هناك « تاريخ نهائي » .. كذلك لا نتوقع منه ان يتبنى « النظرية » المضادة التي قدمها « جورج كلارك » وتعلن ان التاريخ « معرفة الماضي » التي جرت صياغتها بواسطة العقول البشرية وعليه فهي « تستعصي على التغيير وباختصار « لا توجد حقيقة تاريخية موضوعية » .. نظريتان كما نرى متعارضتان .. الاولى : تحكي وجهة نظر العصر الفيكتوري المؤمن بالمسلمات والحقائق النهائية .. والثانية : تعلن عن حيرة وشك الجيل الوجودي .. ومع ذلك وكما قلنا لا ننتظر من « شوقي » الشاعر ان يكون شوقي المنظر التاريخي فلتأخذ « فكرته » عن التاريخ بنفس البساطة التي قدمها بها .. رغم تأكيدنا في بداية هذا الحديث ان شوقي في هذه « المجموعة » يفتن العقول .. فليس بالضرورة ان يكون ما يفتن العقل - دائما - هو « المركب » والمحاط بمجيد الاقواس والمعقود في سمي تدو تعريف جامع مانع ! .. وان الاوان لنتابع بعض ما لمع من ابيات قصيدة شوقي عن « التاريخ »

سبحانه فمن حديث الدم
على تنائي العهد والتقادم
ورفع التاريخ اعلى منزلة
بنصه في كتبه المنزلة
بين الاناجيل علت اصواته
وفي « التواريخ » غلت قصواته

وليسامحنا « شوقي » اذا عبرنا الى هذه الابيات غير مسبوقة بما قبلها وشفيعنا انها تكاد ان تستقل بمفردها لاتحاد وتسلل فكرتها اضافة الى اقترابها كثيرا من اعلى مستويات الجودة المتوقعة من هذا اللون من الكتابة الشعرية .

ذلك كتاب الناس والايام
من ادم الجد الى القيام
فائق الدهر به ما شاء
واتقن التاليف والانشاء
يكبر ان يطويه السجل
وعن نوائب البلى يجل
عال على كف المغير الماحي
ولو مشت عليه بالرماح
لا يمحي من الجميل ما رسم
ولا يزول في القبيح ما وسم
فان وجدت خاطرا مطالبا
ونازعا من الطباع غالبا
فقف على اثار اعيان الزمن
واغش الطول وتتل في الدمن
فالروح في التاريخ « الاعتبار »
وحكمة تودعها الاخبار
وخذه من محقق امين
وميز الغث من السمين
ما اقبح الكذب على الرفات
واته من ارذل الصفات
من غش نفسا جمع القبائحا
ماذا ترى فيمن يغش عالما ؟!

وفي البيت الاخير - الذي فوق هذه الجملة مباشرة - يستجمع شوقي ما بقي من نفسه الشعري ويطلق حكمة هي مسك الختام وخلاصة الكلام في عبارة رشيقة مقتضبة موحية فيها كل مواصفات « الحكمة » التقليدية التي نطالعها بوفرة في شعرنا القديم ويقول عنها بعض النقاد « بيت القصيد » .. اما نحن فلا نلتزم بهذا القول لاننا نرى في القصيدة اكثر من الشاعية فكيف نسميها « بيت القصيد » الذي من التجاوز اطلاق الجزء على الكل والفرد على الجمع ؟!

ومضى شعبا مسلم ... الاعجوبة

-٢-

ثم يطوف بنا شوقي في جولة شجن وهو يتحدث عن « الوطن » وهو لا يخرج عن قطعة من الارض صغرت ام كبرت ومع ذلك فهي ملء القلب والعين والذاكرة ٠

وجانب من الذي يدعي الوطن
ملء العيون والقلوب والفطن
ونزعة الناس الى اوطانها
كنزعة الابل الى اعطانها
يحبه الاقوام مذ كانا
ولا يساوون به مكانا
اذا الناهم ايسر النداء
منه جروا لغاية الفداء
او ذكر المثين والمقالة
لم تجر الا باسمه الانقالة
كم من دماء سلن حول حوضه
ومن عروض زلن دون عرضه

ولان الوطن خصب كريم رءوف رحيم ٠٠ فقد وسع الكل ولهذا تحملت الكل باسمه الاشياء والاشرار والدجالون والسرقاء ٠

وباسمه كم تاجر الفساق
وانقادت الناس لهم فساقوا

ولكن ومهما « انساق الناس » في ضوء بريق الغواشي والاضاليل ٠٠ فليس على الصوت مقياسا للموت من اجل الوطن ٠

ثم يعبر « شوقي » بنا الى قصيدته « البيت الحرام » والحديث عنها اكثر من وارد ، فالبيت الحرام ، كان منذ شهرين هدفا للئام الذين استحلوا حرمته واباحوا قدسيته ، ولكن القادر الذي اوحى ببنائه الى ابراهيم وابنائه ، قادر على حفظه وحمايته ، واستدامة رايته خفاقة ما خفق قلب مسلم الى ان يرث الله الارض ومن عليها ٠٠ وصدقت يا عبد المطلب في كلمتك الخالدة « للبيت رب يحميه » وقد حماه ورعاه ، ورد سهم الظالم الى حشاه ٠٠ وان فالحديث عن قصيدة شوقي « البيت الحرام » يأتي في سياقه بالتمام والتمام ٠

والذي يقال انها قصيدة سابغة صافية ، سلمة صافية ، ولكنه ليس من نوع الصفة السائل الوجداني والرصاح الذي بلي الغلاف ، ظل في مشاء يحج اليه ويستلف تموله ٠٠ ويصفه له المنجدة الاشعر واقرأوا معي :

تلك جباه الرسل في ترابها
وخد « ابراهيم » في محرابها
تواضعت بين شعاب الوادي
لم تتخذ تبرج الاوطاد
لايد مخلوق ارمقت فيها البشر
ولا « سليمان » لها الجن حشر
بل صنع شيخ مقبل مزاول
اعين بابن يافع مناول
الله يوحي والامين يشهد
وتخشع الارض ويعلو المعهد
حتى تجلت قبة الايمان
ممدودة الظل على الزمان
دعائم من خشية وتقوى
على تطاول الزمان تقوى
وما بنى الحق له الثبوت
وما بنى الباطل عنكبوت !

ارأيتم ! ٠٠ هل كنت ابالغ حين قلت عنها « سابغة صافية ، صائغة صافية » !

ومن التعميم للتفصيل ٠٠ والشمول الى الدخول ٠٠ يكون مدار لقائنا القادم ٠٠ هذا اذا شاء الله ، وابقانا الى اللقاء ٠

الزوجة الوفية



لما استشهد الخليفة الثالث « عثمان بن عفان » ومرت اسابيع على استشهاده ، نظرت زوجه « نائلة » الى مرآتها فلفت نظرها اتساق اسنانها التي بدت كالدر المنتظم السلوك ٠٠ فاخذت « نائلة » حجرا صغيرا وسلمت به مقدمة هذه الاسنان الجميلة !

سألوها ٠٠ « لماذا » اجابت :

الحزن يبلى كما يبلى الثوب ، فخفت ان يبلى حزني على عثمان فاتزوج بعده ٠٠

وفي الاتجاه المضاد ـ تماما يروون ان احد الحكماء كانت له زوج جميلة تتباهى بوفائها امامه وكيف انها لن ترضى بعده وفاته بغيره بديلا

ولما كان الزوج حكيما ٠٠ بل وحكيما جدا ٠٠ فقد طلب منها ان تعاهده فقط على عدم الزواج اذا مات الا بعد ان يجف قبره ، واستكثرت الزوجة الجميلة ، الوفية ، هذا الطلب ٠٠ ولكنه ما زال بها حتى قبلت ٠٠ وبعد ايام « تماوت » الزوج وكان قد اتفق مع صديق صدوق له على هذا الامر وجهزا « دمية » بحجم الحكيم واقيمت لها الجنازة ومراسيم الدفن ٠٠ واختفى الحكيم عند صديقه وفي اليوم التالي ذهبا لزيارة « المقبرة » ٠٠ وكانت المفاجأة ! ٠

الزوجة الجميلة « الوفية » هذا تمسك بمروحة تحرك بها الهواء ليجف بناء القبر في اسرع وقت ٠٠ ٠٠ دنيا !!



زوجتي والمصعد

دفعته بعض الشئون الى مغادرة قريته للمرة الاولى الى المدينة حيث رأى « المصعد الكهربائي » للمرة الاولى أيضا !

ووقف صاحبنا يتأمل باعجاب هذه الغرفة الصاعدة الهابطة بمجرد لمسة .. وفيما هو كذلك رأى « الاسانسير » يصعد بسيدة عجوز ثم يهبط وتخرج منه فاتنة حسناء .. وهنا لم يتمالك صاحبنا نفسه فأخذ يتمتم « آه .. ليتها جاءت معي .. » ويهمز ان الحسناء كانت أهل معنا بحسب فقد التفت اليه رجل وسأله : من هي ؟

فأجابه : زوجتي .. زوجتي يا سيدي !

داود سليمان بطيخ
العراق — بغداد



مصرع عنترة بن شداد

الشاعر الفارس العاشق الذي رفعه سيفه من العبودية الى الحرية ورفعه حبه الى مرتبة العشاق الخالدين .. كيف انتهى به المطاف وبالتحديد كيف مات .. هل على سريره ؟ .. هل في معركة ؟ .. اسفا .. فليس في فراشه .. ولا بين وميض السيوف وارتطام الرماح !

فهو قد عاش وامتد به العمر — أرذل العمر — حتى صار شيخا عاجزا .. لا يمس ولا يضر ! .. وكان ما زال يعيش في مضارب « عبس » فتركه القوم لبعض الشئون فانقضت صاعقة من السماء فاصابته ومات بها للفوره .. شيخا مقعدا .. وحيدا .

هكذا كانت نهاية الشاعر الفارس العاشق !

بيان

لا تجعلني من من
— اذا استفتى بطن
— وان افتقر قنط
— وان سأل الح
— وان سئل منع
— وان قال لم يحسن ، وان قيل له لم يفهم !

لقطة الشهر

فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال القارىء خليفة سعيد اليتيمي — دولة الإمارات العربية —

مقامات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور

المقامة المشيخية





قال عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور :

[illegible]

التي يحدث مرة ان دعاني ، وكان هذا يحزني ، لكنه من الخجل لم يغرني . لقد احببت خفة ظله ، وطيب سنهله ، الى ان حدث والتقينا وانا اسمع السلام الهوسيقي ، فانتظر لدعوتي ، وقلبت وانا اكثر تحكما ، لعلي الهنا دعوة الشطر ، حتى لا يتوقع صاحبها اي خير ، ومسألته للشراء عليه سجائر ، فأبدى استعداده لشرائها كالجمل الطائر ، فهذا البقال يرحم كثير ، وانا في راية مهم وخطر ، يمن كان من لسيقة البائع ، لا يتبقى له مواجهة الرعاع فلما رفعت امر عشق استعطافي ، وانبر في وكالتي ، وبرنا وجاوزنا البقال وزحلة الموسيقار مصطفى سلامة ، الى ان وقفت امام القاهي ، والشربت منه كملو ... ، والتي من البرتقال ، وعدنا في الحال ، يحصل مصطفى الاكياس ، وانا امشي الاولاد التي .

وحين فتح بابه خرج الى عزيز ، وهو يلعن المستقبل ، ويسب خاله الذي اوقفه ، في هذه القرية الدائمة التي انتاب فيها تحسو خمس زجاجات ، بعضها مربوطا وبعضها سائب ، وجاء يقلق وقال : هل الله ، في تذوق هذا الكعك ؟ الذي بعضه معاملة له ، وقد والتهمن شلفة ، لقد كان مختلف الاشكال والشاني ، من ناحية المذاق والعجين ، واقسمت له بما اكل فيه ، فقال انسه من اكثر مكان يشتريه ، ولهذا به عن يختلف الشكل والعمر ، والتفت لانه يلقي القيم الالهية ، فما فضحت يزيارتي الا السماع له .

ومرت الايام عن السنجاب في الفضاء ، والتقيت ان احد الاصدقاء يشتري ، محلا ، جديدا ، ويعني يقلد يكون زجيلة ، لقد دفع فيه ، خلو عظم ، ، الذي جنه عشق سبيل العظيم ، والتواضع صحة الرقي الى عالم الزينة الفاقة ، وجودة صاحبي ان يشتري الى خبالة القلب ان اعاني ما اشتراه ، الارو

ما يخص بيت ما بعد الجيلة وبالفعل ذهبنا ، وفي ، القرافة ، جيئا ، وملكني الملل وهاهني الاكتئاب ، وانا افكر في الرحلة في دار كبار ، الاول فانية ، والاخرى خالدة ، لبيتها الزاهد والزاهد ، للشيخ كما اري ميتافيزيقي ، لم يخرجني منه الا صوت فتي ، وابلغت فوراً اني اعرف هذا الصوت ، فالتفت وقلت ، اتصحا مستقلا ، وانا به الشيخ مصطفى ، الذي رأني وكأنه ما رآني ، وملكتني اللاجئة فوقفت في مكاني ، وجلا صوته لتشريح الرتيل ، والعالمين من الشبابي والتسه يحب الحسنين .

ويا شيخ مصطفى يا بائي عليك لمرة الا على اعقر ملك ، وانت لو تركتب اليه ولا ذنبا ، ركتنا الدنيا ... [illegible]

وامثل القراءة لا يائي عليك ، وحسبلنا الله لا تمد يديك ، والما تقسم ظلة الاحياء ، ورحمة الراحلين الاعزاء ، وامثل القراءة وامثل ، وسادوة الليلة في عشاء ، مقامـل ، وهي التي يسميها الشـافة ، عوارع ، ويتحدثون عن سرها البائع ، ثم اذهب بك الى حلواني اللطافة ، لتلتهم ما شئت من الكنافة ، فقد قلت لي بالامس ، لا اقلب في الدنيا اكثر من حمص ، الحمد شأن ، وصحن ابل له شـأن ، وكرطـة كنافة ، في عـسل الملاهي ، وشاي البل وسيجارة تلام الجميل ... كل هذا سيكون لك ، الوافعل ولا عليك .

● العسر خطيئة يرتكبها الذهن حين ان يفشل في توجيه قدر كاف من الانتباه لصاحبه .

● الحياة يمكن فهمها فقط بالرجوع الى الوراء ، ولكننا يجب ان نحياها بالتقدم الى الامام .

● تأخر من بعض الوزراء نديم : فقال يا غـلام : هات النديم الذي لا يتغير ولا يغيب قال الغلام من هو ؟ قال الوزير : الكتاب .

● لو تحطمت كل مظاهر الحضارة الحديثة وبقيت الكتبات لتمكن رجال العصر من اعادة بناء هذه الحضارة ولكن لو تحطمت الكتبات فان عصر القوى الآلية وعصر الذرة يصبحان شيئا من آثار الماضي .

عبد الفتاح محمد عبد الرحمن
السودان

وقـ...ـالآ...ـة

شكى رجل الى بعض الخلفاء من عقوق ابنه فاستدعاه الخليفة وأنبه فقال الولد : أليس للابن حقوق يا امير المؤمنين ؟ قال : بلى ... فسأله الولد ما هي ؟ فقال الخليفة ان ينتقي امه تصديقا لقول الرسول « تخيروا لنطفكم » وان يحسن اسمه بلا يختار له ما يستقبح وقد غير الرسول اسم احد المعاصرين انه من « صعب » الى « سهل » ... ثم ويعلمه الكتاب « القرآن » .

فقال الولد : أما أبي فزوجته كانت متزوجة من « مجوسي » وقد اسماني « حقرة » ولم يعلمني حرفا واحدا من الكتاب .

فالتفت الخليفة الى الاب وقال لقد عققته ان يعقك ... والتفت الى الولد وقال « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » .

زين الدين فريد العثماني
المغرب

جحويات

الجائع والباربيكيو

جاع قبل ساعة الغداء
وكان قد اقطر بالهواء !
فدار في البيت على رغبة
منقبا خوافي الاشياء
فلم يجد الا رغيفا به
اثار من الفار والخرساء
فصد كفيه له حاملا
وغاسلا اطرافه بالماء
وسار في الشارع حتى رأى
لحما ولحما طيب الاشاء
في مطعم صاحبه واقف
ببابه كالصخرة الشماء
وراح يأكل الرغيف شاكرا
وحامدا للغيمة الخشاء
« ادامه » رائحة كأنها
أزكى من المسك القريب النائي
وحينما أوشك ان ينتهي
من أكله فوجيء بالشواء



يمسكه من كمه طالبا
أجر الهواء دونما حياء
فقال من أين ؟ وماذا جرى
مني؟ فدعني، خل واترك ردائي
فقال : هذا اللحم ملكي انا
وذلك الدخان في اجوائي
واشتكيا، وكان يمضي جحا
فاحتكما اليه في الضوضاء
اصغى جحا اليهما ولما
انتهيا من نثرة الانباء
امسك دينارا وراح يهوي
به على « البلاطة » الصماء
وقال للبائع ماذا ترى ؟
قال : رنين الفضة البيضاء
رد جحا هذا الرنين مثله
في امره روائح الشواء
فاسمع باذنيك كما تشتهي
واغرقكما شذى من الاسماء !

للعلم فقط

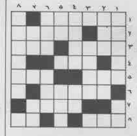
سكان استراليا الاصليون ليس في لغتهم من الأعداد الحسابية الا رقمي « واحد واثنان » أو كما يقولون « نثان - نايس » فاذا ارادوا عد ثلاثة قالوا « نثان ونايس » واذا ارادوا « اربعة » كرروا « نايس » اربع مرات .. وهكذا الى سبعة وما زاد عن ذلك يعبرون عنه بأنه كثير !

وبالمناسبة فان عدد اللغات المعروفة والتي أمكن للعلماء حصرها يتراوح بين ٤٠٠٠ الى ٦٠٠٠ لغة ولهجة .

وبالمناسبة أيضا فان قاموس اللغة الانجليزية يضم ٢٥ ألف كلمة والعربية نحو ٨٠ الف كلمة بما فيها من مستعمل ومهجور غير مشهور .

سمير الفاروق
مصر - الجيزة

الكلمات المتقاطعة



الرأسي :

١ ـ منظمة بترول عربية
ـ اسم فعل امر بمعنى اسكت
٣ ـ الاسم الثاني لابراهيم اشرى
ـ صوت الرقبة
٣ ـ وحدة التعامل النقدي في قطر
٤ ـ من انواع الجاتوه ـ مال
٥ ـ صوت معدني ـ عظمة
٦ ـ كشف ـ ابصر
٧ ـ باضافة حرف ثالث للوسط يصبح ضد اليد

اسماء الفائزين في مسابقة الكلمات المتقاطعة العدد ٤٨

١ ـ زاهر الزعبي ـ الكويت
٢ ـ احمد الظفر ـ السودان
٣ ـ السيد حامد ـ الزقازيق

حل مسابقة شهر ديسمبر ١٩٧٨

الأفقي

١ ـ حي من احياء فرنسية في التعبير البطل الحيوي وجمع الوسط بدلا الوسط زاوية ـ كاف .
٢ ـ واضع الاسطورية ـ فعل ـ بلاد ـ جزوء
بحيرة ... ...
٣ ـ الاسم الاول ... من ... جواد كبيرة ... ...
٦ ـ فن شعري عرفه الاغريق على يد « هوميروس » .
٧ ـ مسافة
٨ ـ اول من بناء خوفو
ـ حرف عطف للاستدراك

واحدة بثلاثة

استاجر احدهم حمالا ليحمل له قفصا فيه قوارير ، على أن يعلمه ثلاث خصال ينتفع بها ، فلما بلغ ثلث الطريق ، قال الحمال : هات الخصلة الاولى .

فقال : من قال لك ان الجوع خير من الشبع فلا تصدقه .

قال : نعم .

فلما بلغ الثلث الثاني قال : هات الثانية .

فقال : من قال لك ان المشي خير من الركوب فلا تصدقه .

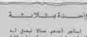
قال : نعم .

فلما انتهى الى باب الدار قال هات الثالثة .

فقال : من قال لك انه يوجد حمال اجهل منك فلا تصدقه .

فرمى الحمال بالقفص فكسر جميع القوارير وقال :

ـ من قال لك انه بقي في القفص قارورة لم تنكسر فلا تصدقه .



سليمان محمود سليمان قنديل
القاهرة

حل مسابقة من اين ما

حل مسابقة شهر ديسمبر ١٩٧٩



من :
ابو حفص
اين :
دار الارقم
ما :
الإيمان

١ ـ والعفو عند رسول الله مأمول
قائله : كعب بن زهير
٢ ـ الكاشري ـ الديفوتي ـ الطباشيري



٣ ـ ١٨٧٨
٤ ـ النيكل
٥ ـ ابن سينا
٦ ـ ١٩١٧
٧ ـ الامير محمد السديري
٨ ـ لا العبارة ليست صحيحة علميا
٩ ـ كامل الشريف
١٠ ـ مرتين اثنتين

نتيجة مسابقة ديسمبر

● فاز بالجائزة الاولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطري والاشتراك لمدة ستة أشهر القارىء مصطفى ميرغني ـ السودان

● فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطري والاشتراك لمدة ستة أشهر القارىء محمد الشاذلي ـ القاهرة

● فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطري والاشتراك لمدة ستة أشهر القارىء جواد عبد الجبار ـ العراق

الفائزون باشتراك مجاني لمدة سنة

اماءة الريس ـ دمشق
عبد الله الضو محمد ـ السودان
محيي الدين حسين ـ العراق
طارق موفق جمعه ـ دمشق
الصديق علي الحسن ـ السودان
بهدية خليل مصطفى ـ مصر
طاهر علي الحرازي ـ صنعاء
عماد احمد الاسطى ـ سوريا
عز الدين البيجاني ـ اليمن
عبد الحميد طه مروان ـ مصر
عبد القدوس علي ـ اليمن

من اين ما

● يهودي تنديق نادى بمحاربة الاديان معتمدا على ان كثيرا ممن يدعون التدين يمتصون دماء الشعوب ويعيشون مترفين متخمين بينما يجوع الآخرون . اسمه من كلمتين وتسعة احرف :
٢ ـ ٤ ـ ٨ ـ ٣ ـ ٥ صفة حاتم الطائي
١ ـ ٦ ـ ٩ ـ ٧ صفة للوحل

● قطر عربي لو استثمر العرب جزءا من اموالهم لزراعة اراضيه مالبثت العلمية لاصبحنا مصدرين للحبوب والمنتجات الزراعية الكثيرة بدل اعتمادنا الكلي تقريبا على استيراد طعامنا في كل الاقطار العربية بلا استثناء . اسمه من سبعة احرف :
[illegible] عكس اين
١ ـ ٢ ـ ٧ [illegible] من المنوه

● نبت جيدا لو يستخدمه العرب بدل المشروبات المستورده لانه ينمو في الصحاري وله فوائد صحية جمة اسمه من كلمتين في ستة احرف :
٦ ـ ٢ ـ ٣ اخذ خفية
٥ ـ ٤ ـ ١ عكس ضيق

الجواب الصحيح

● المستشرق الذي وصف العالم المسلم ابا الريحان البيروني بانه اعظم عقلية في التاريخ هو :
إدوارد سخاو ـ جولد تسيهر ـ ماسينيون

● خططت الحدود الدولية بين مصر وفلسطين فيما بين رفح شمالا وبير طابا جنوبا بالاتفاق بين بريطانيا وتركيا العثمانية في سنة :
١٨٨٨ ـ ١٨٩٣ ـ ١٩٠٦

● إذا كان احد عقارب الساعة عند الرقم (١٢) والعقرب الاخر عند الرقم (٣) تكون الزاوية بين العقربين مقدارها :
٥٥ درجة ـ ٦٣ درجة ـ ٩٠ درجة

● الشاعر الجاهلي امرؤ القيس بن حجر كان من قبيلة :
الحويطات ـ كندة ـ تميم ـ بلي ـ الطوارق

● الكعبة الشريفة مبنية من احجار الرخام .
هل هذه العبارة صحيحة ؟

● اول عالم تنبأ بوجود موجات كهرومغناطيسية هو :
كلارك ماكسويل ـ محمد خليل عبد الخالق ـ جوليلمو ماركوني .

● توفي العالم العبقري المصري الدكتور علي مصطفى مشرفة باشا في السادس عشر من يناير سنة :
١٩٤٠ ـ ١٩٥٠ ـ ١٩٥٢ .

● وقعت معركة الكرامة التي بحرت فيها القوات الصهيونية امام التعاون بين الجيش الاردني والثوار الفلسطينيين في مارس سنة ١٩٦٧ ـ سنة ١٩٦٨ ـ سنة ١٩٧٠

● « السيف أصدق انباء من الكتب ..... » اكمل البيت واذكر اسم قائله ومتى؟ .

● يتكون اللون الاخضر من امتزاج لونين من الالوان التالية :
الازرق ـ الاحمر ـ الاصفر ـ البنفسجي





حاولنا أن تعرفنا

مدينة عربية سياحية يقصدها الكثير من الأوروبيين والعرب ... اشتهر [illegible] ... وهي تبعد [illegible] ... [illegible] يقترب من ... فهل تعرف على [illegible] المدينة ؟

العيون معصوبة .. والأيدي مربوطة إلى الخلف .. وكلمة الناس أصدرت حكمها على هذا الرجل الذي في طريق العبر ..

حاول أن تجد تعليقة يعبر عن محنة الإنسان !

حل مسابقة حاول أن تعرف عدد ٨١

الفيلسوف الاجتماعي هو ابن خلدون .

— الفائزون في الصورة الأولى :

● توفيق [illegible] — [illegible]
● كامل خليل — سوريا

البناء هو برج بيزا المائل .

وعجائب الدنيا السبع هي :

١ — برج بيزا ٢ — أهرامات الجيزة ٣ — منارة الإسكندرية ٤ — حدائق بابل المعلقة ٥ — سور الصين العظيم ٦ — هيكل ديانا ٧ — تمثال زيوس .

الفائزون في الصورة الثانية :

● محمد [illegible] — تونس
● بشر فرج — الإسكندرية

كاريكاتير وتعليق



ضع التعليق المناسب لهذه الكاريكاتير واربح ١٠٠ ريال

أسماء الفائزين في مسابقة كاريكاتير عدد ٨١

● موظف الاستقبال : غريبة ! إنها لا تشبه عروس الشهر الماضي .

وليد أبو ربة — الدوحة

● موظف الاستقبال : هل تريد نفس الجناح الذي قضيت به شهر العسل الماضي ؟

بثينة السيد — الدقهلية

● موظف الاستقبال : عفوا سيدي .. [illegible] !

كوثر حسين — الجيزة

● موظف الاستقبال : معذرة يا سيدي .. لقد انتهى شهر العسل .. نحن الآن في شهر فبراير

أحمد عبد الغفار — محافظة الغربية

د. عماد الدين خليل

نوح وبداهات الوراثة

وهاكم واحدة من نماذج سوء الفهم في التعامل مع معطيات القرآن الكريم .. سوء الفهم الناتج عن ضيق الأفق ، وعدم القدرة على الاستشراق ، وانعدام الرؤية الشمولية .. للفكاك عن ترسبات المواقف الجائحة والقلق الفكري .. وهي جميعاً تقف كالسدود أمام فهم القرآن والتمثل بعطاء المعجز الكريم ..

قال لي أحدهم يوماً وملامح الحيرة [illegible] على وجهه .. قال ولكن هذه [illegible] نوح [illegible] : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً » .. [illegible] تناقضاً صريحاً مع معطيات القرآن [illegible] الكافر إلا فاجراً ؟ [illegible] بينما يؤكد القرآن في أكثر من [illegible] ولا يؤخذ بجريرة أحد [illegible] الطور ، ويقول « ولا تزر وازرة وزر أخرى » [illegible] ليس للإنسان إلا ما سعى » النجم ، [illegible] وتلك ما كسبتم » البقرة ، [illegible] تلك « الإسراء » .. إلى آخره .. فكيف [illegible] الأبناء وزر الآباء [illegible] قاعدة الكفر في العالم ؟؟

[illegible] يتحدث عن حيرته ، [illegible] المتصلة .. [illegible] له : [illegible] يا هذا [illegible] فهم الآية المذكورة [illegible] كتاب واسع الاطلاع ..

[illegible] الشيخ [illegible] أن يتكلم ، [illegible] لقد أعطيتك مجالاً واسعاً [illegible] إلا الأخير .. إن نوحاً عليه السلام يدعو [illegible] من موقع الغضب والانفعال على قوم [illegible] الإيمان [illegible] سنة فلم يستجيبوا .. [illegible] من ألف طريق وطريق فلم يستجيبوا ، [illegible] ودليل فلم يستجيبوا ، ومن [illegible] وأنت تعلم أن [illegible] في الاتجاه ..

وتصور كيف يكون غضب [illegible] سنة من دعوة الناس كانوا يضعون أصابعهم في آذانهم ويستغشون ثيابهم لئلا [illegible] إلى [illegible] التي جاء بها [illegible] ..

إنه دعاء من موقع الغضب .. والقرآن لا يفصل أكثر من أن يطرح [illegible] دون أن [illegible] ، ولو [illegible] .. [illegible] هذه مسألة أخرى ، [illegible] القرآن [illegible] السور [illegible] نوح عليه السلام ..

والأخيار [illegible] .. والخلاء موقف [illegible] التاريخي ، أو [illegible] في الغد ..

هذه واحدة ، ولكن الأمر لا يقف عند هذا الحد .. [illegible] الثانية [illegible] الآيات القرآنية ، والتفتنا إلى سورة أخرى لتابعة موقف نوح عليه السلام [illegible] عن آية أخرى [illegible] الصورة [illegible] .. نوح [illegible] الله أن [illegible] ابني من أهلي [illegible] الحاكمين ، هود ، فها هو نوح [illegible] القرآن [illegible] الأبوية .. [illegible] الله [illegible] في الهالكين .

[illegible] العاطفة [illegible] .. [illegible] النبوة [illegible] على [illegible] .. [illegible] كل جبل أو هاوية [illegible] .. وهل لم يجبه الله سبحانه [illegible] نوح [illegible] من أهلك ، إنه عمل غير صالح ، فلا تسألني ما ليس لك به علم ، إني أعظك أن تكون من الجاهلين ، هود [illegible] القرآني [illegible] الفريد .. [illegible] عليه السلام في [illegible] من مواقع الانفعال ، والقرآن الكريم [illegible] هذا [illegible] .. إلى سبيل الأخبار .. ولكنه في المرة الثانية يكشف عن الجانب الآخر من الحدث ، وهو حكم القرآن في الموقف .. [illegible] .. فليس ثمة في سبيل الإيمان علاقة ما بين الآباء والأبناء .. [illegible] الإيمان ، [illegible] طريق العصيان .. [illegible] يجب [illegible] من تسبيح [illegible] مع ابنه [illegible] .. [illegible] العق [illegible] .. والسلالة .

[illegible] .. [illegible] القرآني على دعوة نوح عليه السلام ، وفي الموقف عموماً ، [illegible] وأنت [illegible] التعارض [illegible] بين بداهات العلم والوراثة وبين معطيات القرآن .. [illegible] أبناء يعصون [illegible] في [illegible] الآباء .. [illegible] الآباء [illegible] .. [illegible] يكونوا مؤمنين [illegible] الإيمان ..

وما [illegible] الكفار الذين [illegible] في عهد الصراع [illegible] في مكة .. [illegible] أبناء [illegible] طريق الدعوة الجديدة ، [illegible] .. [illegible] في [illegible] الإسلام الأول في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، [illegible] ، [illegible] الأبناء [illegible] ، [illegible] عن [illegible] أيضاً [illegible] الطريق .. [illegible] من الأخطاء [illegible] سوء الفهم ، وضيق الأفق وعدم القدرة على الاستشراف .. في الحكم على معطيات القرآن .